الاستشراق

ماهيته، فلسفته ومناهجه

الدكتور
محمد قدور تاج



مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع
دار الرواد

الاستشـــراق

ماهيته، فلسفته ومناهجه

الاستشراق

ماهيته، فلسفته ومناهجه

تأليف

الدكتور

محمد قدور تاج

جامعة ابن خلدون/الجزائر

الطبعة الأولى

2014م – 1435هـ

مكتبة المجتمع العربي

مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2013/4/1353)

956

تاج/ محمد قدور

الأستشراق ماهيته فلسفته ومناهجه/محمد قدور تاج.- عمان: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، 2013

( ) ص

ر.إ. : 2013/4/1353

الواصفات: /التاريخ الأسلامي//الحضارة الأسلامية//الأستشراق والمستشرقون/

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

عمان – الأردن

الطبعة العربية الأولى

2014م-1435هـ



عمان – وسط البلد – ش. السلط – مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس 4632739 ص.ب. 8244 عمان 11121 الأردن

عمان – ش. الملكة رانيا العبد الله – مقابل كلية الزراعة –

مجمع زهدي حصوة التجاري

www: muj-arabi-pub.com

Email: Moj_pub@hotmail.com

ISBN 978-9957-83-282-7 (ردمك)

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

ماهية المنهج الاستشراقي

المقدمة

يؤسس الاستشراق مقولاته على أرضية سياسية – أيديولوجية قوامها تأكيد المركزية الغربية والتفوق الغربي المستند إلى نظرية جنسية "عرقية"... فالشرق فيها مادة درس يشكلونه، يسمى فيحدد، فيجرد من حدوده الأصلية، ثم تؤخذ سماته وتجتث من جذورها التاريخية" ليقدم كما تقتضي موجبات الاستشراق أن يقدم..

يشكّل الاستشراق ظاهرة اتسمت بها العلاقة بين هذا الشرق والغرب، فقد استرعت دراسات المستشرقين اهتمام الباحثين واستقطبت انتباه الدّارسين والنّقاد، فقد أثار بما يطرحه من مقولات عن الشرق وخصوصياته الحضارية المختلفة قضايا فكرية كثيرة ترتبط ارتباطا وثيقا بروح الشّرق وهذا من حيث الاهتمام والميادين التي طرقها المستشرقون درسا وتحليلا وتعمّق في البحث.

قد باتت الرحالات والتقارير السرية والمعايشات المستمرة رصيدا استراتيجيا لا يكاد يتحرك الغرب إلا بموجبه. وقد استطاعت هذه التقارير أن تطوّق الشرق واحتوائه، وتمثله بالكيفية التي يريدها والتحكم فيه.. وكان ينبغي لذلك أن يصوّر الشرقي كائناً مختلفا أولا، ومتخلفا دونيا ثانيا، وعاجزا عن تجاوز حالته بنفسه ثالثا.

فمنذ أن انطلق الاستشراق في دراسة الشرق وضع في حسبانه أنّ الشرق النقيض الحضاري والند المماثل الذي يكون المرآة العاكسة، لتموقعه في السيطرة على العالم، فالنظرة الكلية للعالم الإسلامي، لها ما يبررها في سياسات الغرب المختلفة نحو الشرق.

قد أشرف الاستشراق على رسم صورة الشرق في أذهان الغرب، وذلك بناء على أهدافه التي سطرها واستراتيجيته الحضارية المؤسسة على المركزية.

قد يبدو لنا و نحن نتصفح كتب المستشرقين روح الانفصال والتخصص وروح الانعزالية في الدراسات، وتشعر عند قراءة تحقيقاتهم وشروحهم بانبعاث الروح العلمية خلال فصول كتاباتهم ببراءة المقصد والترفع عن كلّ دانية أو نابية. فلازال كارل بروكلمان المرجع الذي لا يمكن أن يستغني عنه أي باحث في دراسة تاريخ الأدب العربي، كما لا تخلو دراسة عن فكرة الانتحال من الحضور الاستشراقي.

هذا ما يؤدي بنا إلى الوقوف على مختلف منجازات المستشرقين في ميدان العطاء الإسلامي، فالحضور الاستشراقي، أمر لا ينكره باحث، و في ميدان الانسانيات خاصة.

لقد طفق المستشرقون يتتبعون عيون الفنون، فلم يتركوا أدبا إلا و اقتربوا منه دارسين ومنظرين، ولم يتركوا تاريخا إلا وخاضوا غماره، يناقشونه دون تهيب من الأخذ من كتب التاريخ الإسلامية، ولم يتركوا بابا من أبواب الفقه إلا وخاضوه خوض المتمكن المتخصص، وبالعموم فإنّ التراث العربي كان ميدانا فسيحا صال فيه المستشرقون وجالوا.

فمن منا لا يذكر دائرة المعارف الإسلامية؟ التي تعاقب على تحريرها مئات المستشرقين من مختلف الأقطار والأمصار والأزمنة، ولازالت هذه الدائرة مرجعهم وذاكرتهم ومن منا لا يذكر المجهودات الجبارة التي يبذلها المستشرقون في سبيل دراسة عربية ما، فقد يغادر الواحد منهم أهله لعقود صارفا ماله مضحيا بوقته، لقد "اهتم المستشرقون بجمع واستقصاء مخطوطات الكتاب المراد تحقيقه، واستفادوا من وجود قناصلهم وسفرائهم في بلدان العالم، الذين كانوا يقومون بأنشطة ثقافية، ولم يكونوا ليقبعوا في مكاتبهم، كما استفاد المستشرقون من المعاهد التي

أقاموها في البلاد العربية مثل: المعهد الفرنسي بالقاهرة ودمشق – والمعهد الألماني للآثار في استانبول والقاهرة وبيروت ثم – الجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت"[1].

ودليل الاهتمام ما ورد عن المستشرق إلياس جون جيب الذي "أرادت والدته تخليد ذكراه بمبرة دائمة الريع، فاقترح عليها المستشرق إدوارد جرانفيل براون، وقف مبلغ من المال، ينفق ريعه على نشر البحوث العلمية، في تاريخ العرب والفرس والترك، وآدابهم وفلسفتهم وديانتهم، وهي العلوم التي كان ابنها قد تخصص فيها ويتعذر على طلاب الاستشراق إيجاد ناشر يتكلّف طبع مصنفاتهم فيها، لكساد سوقها، فأوقفت مبلغا كبيرا من المال، لذلك الغرض العلمي، وتألفت لجنة من أعلام المستشرقين، لإنفاق ريعه على المؤلفات التي تختارها للتحقيق والنشر وكان من حظ نشر عدد من أمهات المصادر"[2].

ولكن كيف تناول المستشرقون التراث العربي والإسلامي؟ هل اتسموا بالروح العلمية التي تفرض على الباحث التجرد والانسلاخ من التبعات الذاتية للمواقف؟ إلى أي مدى كان الاستشراق مؤسسا للثقافة العربية والإسلامية؟

أفاق العالم الإسلامي من صدمة الاستعمار، وبدأ يجمع شتات القيام بما يجعله يقف معتمدا على مقومات شخصيته التي ورثه عن تاريخه الطويل.

لم يكن المستشرقون بعيدين عن مجال التخطيط لهذا الإنسان الجديد، فكان لزاما على الغرب أن يسهم في بناء ثقافة الشعوب المستقلة، لأنّ الذاكرة الغربية لم تنس سنابك خيل المسلمين وهي تطأ الأندلس وصقلية وشرق أوربا مع الدولة العثمانية.

وما دام الأدب يشكل قلب التراث وخاصة الشعر العربي الذي هو ديوان العرب، فقد شغل فكر المستشرقين واهتمامهم، إذ أولوه عناية كبيرة لما يحمله في

(1) مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص 220

(2) المرجع نفسه ص215-216

طياته من أيام لهم ومواقف، وحوادث، ومسرات، ومآتم، ومفاخر، ومثالب، وعفة، وطهارة، فهو القلب النابض للغة العربية، وهو جامعها وأحد مصادرها. فقد خلّد لشعراء الجاهلية انتماءهم القبلي ولشعراء الإسلام انتماءهم العقيدي وللأمويين والعباسيين سياستهم وإمارتهم وسلطتهم وجاء بعدهم من الدول والممالك مجدهم وانتصاراتهم، وهو على العموم القاموس العربي.

لذلك قلما نجد مستشرقا، مهما كان تخصصه، لم يعقر ذبابة فكره ويقيّدها للبحث عن شاعر، أو الحديث عن قضية أدبية في تاريخ الأدب العربي.

قراءة الاستشراق هي، إذن، وعي لشخصيتنا أننا نرى الذات في مرآة الغرب، إنها اكتشاف التغريب السياسي والثقافي الذي يمارسه الغرب ضدنا بأيدينا، إنها أيضاً دعوة لمعرفة من نحن؟ ودعوة إلى العودة إلى الذات، ولكن ليس إلى ذات مبهمة أو مشوهة، فالذات العربية منذ بداية القرن العشرين أصبحت مشوهة، فلم تعد شرقية ولا غربية.

تهدف هذه الدراسة إلى تصويب المرايا التي نرى فيها أنفسنا، ونقيّم من خلالها وجودنا وترسم بملامحها سلوكنا ومواقفنا من الآخر فلهذا كان توجهنا نحو الاستشراق لعلنا نقف على مختلف التوجهات التي تركها المستشرقون في أدبنا، والتي لازالت تشكل قاموسا كبيرا يرتوي منه تاريخ الأدب العربي وكذلك النقد العربي، فقد أصبح الاستشراق الأدبي إن جازت هذه التسمية الظل الذي تستأنس له عقولنا فيرشدنا، ويشكل المنظار الذي يحدد أفكار الدارسين، ويوجه مناهجهم.

وبعد، كان من واجب الأجيال العربية والإسلامية أن تكون على علم بمختلف التوجهات التي أطرت الاستشراق ولازالت تسعى إلى ذلك؛ لأنّ الاستشراق لا يشكل ظاهرة أدبية ينتهي نشاطها عند حدود الأدب والأدبية، بل يتعداها إلى البحث عن فضاء هذه الدول المنتجة له والقفز عليها ولعل التسميات الأخيرة التي أخذها لدليل على ما ذهبنا إليه، فقد اتصف مصطلح الاستشراق بالعمالة للكنيسة وللغرب مما دفع بالمستشرقين لإحلالّ – "مصطلح الدراسات الاجتماعية للعالم العربي والإسلامي وكذلك مصطلح مكتب دراسات الشرق الأوسط" – محله وغيرها من المصطلحات ذات الهدف الاستراتيجي المسطر الذي يبتغي السيطرة على العالم الإسلامي.

الفصل الأول

الاستشراق
بين المصطلح والمفهوم

الفصل الأول
الاستشراق بين المصطلح والمفهوم

مما لاشك فيه أنّ صراع الحضارات تتحكّم فيه يد الغرب حاليا وتسيّر وقائعه نحو روح التنافس القائم على فكرة التقدم والرقي بكل وسيلة تكفل لهذا البلد أو لذاك دواعي التفوق.

وقد تم التفكير عند الغرب وغيرهم في إقامة منهجية تستهدف احتواء ثقافة الآخر وركزت في ذلك على دراسة البيئة العربية الإسلامية لأسباب تاريخية تعلقت بخصوبة الحضارة العربية الإسلامية في زمن النضج والازدهار، وشمل هذا محاولة احتواء الجوانب العلمية والفكرية والثقافية واللغوية والدينية، واستحضر أصحاب الاحتواء أجهزة محكمة توافقت مع منهجيتهم في العمل والانجاز، ومن بين هذه الأجهزة، التي أدت وظيفة بين السلب والإيجاب ظاهرة عرفت بموضوع الاستشراق.

شكل موضوع الاستشراق هاجسا لدى الباحثين، فأولوه عناية كبيرة لأنّه لا يهتم بجانب معين من جوانب الحضارة، بل يحاول أن يتخصص في مختلف الجوانب الحضارية للشرق، ومن بين المسائل التي أشكلت على الدارسين: مفهوم الاستشراق، وأسباب ظهوره، وعلاقته بالدوائر الاستعمارية، وعلاقته بالتبشير، وعلاقته بالتوجهات الحضارية ككل.

تعريف الاستشراق:

قد يبدو أنّ الخوض في تعريف كلمة الاستشراق هو من باب التكرار فقد خاض فيه المختصون، وامتلأت به كتبهم، فلذلك ليس ثمة ما يبرر تكرار ما هو تحصيل، ومعروف بالضرورة، ولكن "ليس من السهل على الباحث التعريف بالأفكار العلمية المجردة" لأنّ العلم دوما قابل للتطور، ولأنّ هذا التطور المستمر يكشف عن

جوانب دفينة من قبل أو كانت ناقصة ليست وافية بالغرض والمجال الذي يعالج فيه ذلك العلم، وظاهرة التطور والتغيّر تشمل جميع العلوم حتى التطبيقية منها، والتي بلغت شأوا في الثبات والتحديد، ويعتقد معه أنّها بمنجاة من ذلك التطور والتغيّر[1].

وخاصة أنّ المستشرقين قد أخذوا مواقف اتجاه التسمية "الاستشراق" وذلك لارتباطه بدوائر مشبوهة كالتنصير، والاستعمار، والمخابرات، وهذا ما جعل بعضهم يتنصل من التسمية ويتهرب منها.

1) الاستشراق لغة:

الاستشراق كلمة مركبة من الشرق وإضافة إلى الحروف الزائدة (الهمزة والسين والتاء "أ س ت") والتي تعني في قواعد اللغة العربية طلب الشيء، فالإستشراق إذن طلب الشرق.

والشرق كما جاء في لسان العرب في مادة شرق "شرقت الشمس" — تشرق شروقا، طلعت، اسم الموضع المشرق، وكان القياس المشرق ولكنه أمر من هذا القبيل، وفي حديث ابن عباس نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس.[2]

يقال: "شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت، فإن أراد الطلوع فقد جاء في الحديث الأخر حتى تطلع الشمس، وإذا أراد إضاءة فقد ورد في حديث آخر حتى ترتفع الشمس، والإضاءة مع الارتفاع".

ولفظة استشراق مولدة استعملها المحدثون من ترجمة كلمة "orientalisme" ثم صاغوا الفعل المزيد اسما وحددوه باستشراق في اللغات

(1) الحاج سالم سامي: نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي -بنغازي- ليبيا ج1، ط1، يناير 2002 /ص17

(2) ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر/ الطبعة الأولى (1410هـ - 1990م) بيروت، /ص 173

الأجنبية مرادف في الفعل العربي، والجدير بالذكر أن الكلمة التي نبحث عن مفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية المختلفة القديمة، غير أن هذا لا يمنع الوصول إلى معناها الحقيقي استنادا إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق[1].

جاء في «تاج العروس» الشرق، حين تشرق الشمس، وقيل: الشرق، الضوء الذي يدخل في شق الباب وشرقت الشمس شرقا وشروقا، طلعت وأضاءت وانبسطت على الأرض[2].

ب) الاستشراق اصطلاحاً:

لم يتفق الباحثون على تحديد بداية تاريخية بعينها للاستشراق و"لعل مرد ذلك إلى أن الدراسات الاستشراقية كانت تسبق ظهور مصطلح الاستشراق orientalisme بزمن طويل يصل إلى قرابة ألف عام"[3].

فالاستشراق بتعبير موجز: هو دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته[4].

أما المستشرق فهو ذلك الغربي الذي يدرس تراث الشرق وكل ما يتعلق به وبعلومه، والدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته، وعليه فالاستشراق دراسة يقوم بها غير الشرقيين لتراث الشرق، إذا ما أجزنا المفهوم الواسع للاستشراق والذي يعنينا — كما يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق— هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه، وهذا هو المعنى الذي ينصرف إليه

(1) إسحاق موسى: الاستشراق: نشأته، تطوره، أهدافه – مطبعة الأزهر– القاهرة– سنة1967/ص 01.

(2) الزبيدي:تاج العروس من جواهر القاموس،، تحقيق:علي بشيري، – دار الفكر– د.ط سنة 1994. ج13./ص237-

(4) عبد القدوس الأنصاري، : مجلة الأدب والعلوم الثقافية – دار المنهل، د.ط، د.ت، ص129

(5) محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية – – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت، ط1/ 1982 ص 11

الذهن في عالمنا العربي والإسلامي، عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين[1].

ورغم تداول مصطلح استشراق في مختلف الدراسات والكتابات والمؤتمرات، إلا أنّ ثمة اختلاف وتباين في تحديد مفهومه في كتابات المفكرين العرب، والمفكرين الغربيين، ذلك أنّ المنطلقات تختلف من جهة لأخرى.

– التعريف العربي للإستشراق:

عرف الاستشراق بعدة تعاريف، من قبل الباحثين العرب والمسلمين، وذلك بسبب التوجهات الفكرية لكل دارس. فمنهم من يراه عبارة عن دراسة يقوم بها بعض المفكرين الغربيين وفي ذلك يقول الدكتور حسن حنفي عنه: "تلك المحاولة التي قام بها ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي، وحضارته وثقافته وعلومه، كما يطلق لفظ مستشرق على المفكرين المنشغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومصطلح شرق يشمل الشرق الأدنى، الأوسط والأقصى".

ومن الدارسين من نظر إلى من يقوم بالعمل الاستشراقي نظرة دينية فقد وصفهم احمد عبد التواب بالكفر فيرى أنّ الاستشراق "دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون– من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة كانت أو شريعة وثقافة وحضارة وتاريخا، ونظما وثروات وإمكانات....بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم، وفرض التبعية للغرب ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات[2]. ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي "ليست كل الدراسات أكاديمية".

---

(1) سعد المرصفي: المستشرقون والسنة – مكتبة المنار الكويت ومؤسسة الريان– بيروت –لبنان– ص9

(2) أحمد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق– سلسلة تصدر عن المنتدى الاسلامي- Educational Centre LONDON U.K. ب ط ص7

ومنهم من يحدد الاستشراق بأنّه "أسلوب فكري غربي (أي منهج غربي في رؤية الأشياء والتعامل معها) يقوم على أنّ هناك اختلافا جذريا في الوجود والمعرفة بين الشرق والغرب، وأنّ الأول يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الثاني"[1] كما هو الأمر عند أرنست رينان.

وهو بالنسبة لآخرين عبارة عن دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه: تاريخه وثقافته، وأديانه ولغاته ونظمه الاجتماعية والسياسية وثرواته وإمكانياته..من منطلق التفوق العنصري والثقافي على الشرق، ويهدف للسيطرة عليه لمصلحة الغرب، وتبرير هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعلمية والموضوعية[2].

إنّ المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه[3].

وهو التخصص في فروع المعرفة المتصلة بالشرق وهو ما يطلق عليه عادة المفهوم الأكاديمي أو الجامعي[4].

لقد اختلفت اتجاهات وانشغالات المستشرقين. فقد اهتم – بالشرق قديما وحديثا – الرحالة والمبشرون والضباط ورجال الإدارة الاستعمارية واللغويون واللاهوتيون وعلماء الآثار والانتروبولوجيون، ومؤرخو الحضارات والتربويون والرومانسيون ورجال المخابرات والسياسيون والمهتمون بالشرق كافة[5].

بينما يراد "يراد بالاستشراق اليوم حسب احمد حسن الزيات" دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره.

---

(1) أحمد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق ص3

(2) المرجع نفسه ص 6

(3) الحاج سالم سامي: نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية مرجع سابق ص22

(4) شكري النجار:لماذا الاهتمام بالاستشراق، ، مجلة الفكر العربي، يونية 1983 السنة الخامسة ص60

(5) رضوان السيد: ثقافة الاستشراق ومصائره-مجلة الفكر العربي، المرجع السابق ص8ومابعدها

ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه مناثر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجامحة[1].

بينما يذهب كل من أحمد الإسكندري وأحمد أمين في تعريفهما للمستشرق بأنّه "كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية، وتقصي آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانتها أو علومها وآدابها أو غير ذلك من مقومات الأمم والأصل في كلمة (استشرق) أنّه صار شرقيا كما يقال استعرب إذا صار عربيا [2].

ويرى مالك بن نبي أنّه "يجب أولا أن نحدد المصطلح: إننا نعني بالمستشرقين: الكتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات على صنفين:

أ) من حيث الزمن:طبقة القدماء مثل جرير دورياك والقديس توما الأكويني وطبقة المحدثين مثل: كاردوفو وجولدسيهر.

ب) من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها[3].

ويتوسع علي عناني في فهمه للاستشراق فيقول: "من صيغة هذه الكلمة تعرف أنّ المستشرق هو المشتغل بالعقليات الشرقية سواء أكانت سامية أو غير

---

(1) أحمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي– دار نهضة مصر للطبع والنشر– القاهرة ط25 ب ت ص512

(2) أحمد الإسكندري، وآخرون: المفصل في تاريخ الأدب العربي– مطبعة مصر– القاهرة، 1934 20/408 نقلا عن أحمد سمايلوفيتش، في كتابه فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر– دار الفكر– القاهرة د ط، 1998 ص27

(3) مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد – بيروت -لبنان ط1 /1969 ص5/6

سامية، ولكن هذه الكلمة في اصطلاح العلماء والأدباء تطلق على المشتغل بالعقليات السامية خاصة، ويتبع ذلك البحث في اللغات الحامية [1].

أما أحمد الشرباصي فيرى أنّ:"المستشرقين قوم من أوربا، نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث وشغلوها في أغلب الأحيان بالبحث في التاريخ والدين والاجتماع، ولكل منهم لغته الأصلية التي رضع لبانها من أمه وأبيه ومجتمعه وبيئته، فصارت له "اللغة الأم" كما يعبرون، فهو يغار عليها، ويتأثر بها، ولكنه مع ذلك تعلم اللغة العربية بجوار لغته الأصلية ليدرس حضارة الشرق وعلومه وآدابه"[2].

فالاستشراق إذا: هو الدراسات الغربية للشرق الإسلامي"... وبمعنى أقرب هو محاولة بعض المفكرين اختصاره في دراسة الإسلام وحضارته..

رغم الكتابات التي كتبت حول الاستشراق.لم تكن وخزاتها ذات بال لأنّها كانت تنطلق من ردود فعل عاطفية، ولم تستطع تفجير هذا الخطاب من داخله وتشكل خطابا جديدا ورؤية متبصرة لطبيعة الاستشراق، إلا أنّ ثمة لحظات كان لها الدور في تغيير التصور العام للاستشراق سواء في المنظومة الفكرية العربية أو المنظومة الفكرية الغربية، فقد كانت هناك محاولات للوقوف مع الذات وإعمال الفكر وتيقظه والتي منها:

- موقف جمال الدين الافغاني الذي، زاد فضوله المقال الذي كتبه أحد الجزائريين المقيمين بفرنسا –ردا على رينان – فانيري للرد على شبهات رينان التي تمحورت حول اتهام المسلمين بالعجز العقلي، واتهام الإسلام بازدراء العلم والفلسفة واضطهادهما، ورد ذلك إلى عوامل عرقية وعنصرية. فدحض جمال الدين هذه التهم في مقال نشره في الصحيفة ذاتها في 18أيار 1883 .ويتلخص ما أورده جمال الدين من مناقشته بقوله" إنّ المرء ليتساءل – بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها – أصدر هذا الشيء عن الديانة الإسلامية نفسها، أم كان

(1) علي العناني: المستشرقون والآداب العربية–الهلال – أغسطس ج1/ السنة 1932 ص40

(2) أحمد الشرباصي: التصوف عند المستشرقين، – مطبعة نور الأمل– سلسلة الثقافة الإسلامية 1966 ص6

منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الإسلامية في العالم، أم أنّ أخلاق الشعوب التي اعتنقت الإسلام أو حملت على اعتناقه بالقوة، وعاداتها وملكاتها الطبيعية هي جميعا مصدر ذلك"[1].

- موقف الشيخ محمد عبده الذي حاور رينان في نظريته البيولوجية وادعاءاته السلبية في علاقة الإسلام بالعلم[2].
- مواقف محمد البهي في كتاباته المختلفة عن علاقة الاستشراق بالاستعمار والتنصير[3].
- موقف مالك بن نبي الذي ضيق الخناق على المستشرقين بدون تمييز... فكلهم يتحمل خطيئة التأثير سلبا على الفكر الإسلامي [4].

فأما اللحظة الأولى فهي لحظة انور عبد الملك (1963) حيث نشر مقالته الشهيرة " الاستشراق مأزوما" في مجلة ديوجين Deogene رقم 44العدد (1963)، وقد ترجمت هذه المقالة إلى العربية من قبل الأستاذ محمد قبيسي بعنوان" الاستشراق في أزمة". ونشرت في مجلة الفكر العربي في عدد 31 سنة 1973 وهو عدد خاص عن الاستشراق، فقد تضمنت أفكارا نقدية جدية في باب تفكيك بعض أوليات الخطاب الاستشراقي. والسعي لرد الاعتبار إلى الذات التي تقوم داخل هذا الخطاب في مقام الموضوع المتشيىء ومن أهم تلك الأفكار[5]:

- إنّ سبب تأزيم الاستشراق التقليدي، يعود رأسا إلى منجزات حركات التحرر الوطني في القارات الثلاث "المنسية" التي أدت حتما إلى تحويل البلدان المستعمرة من وضع الموضوع – الشيء إلى وضع الذات المستقلة الفاعلة.

(1) حسن حنفي: ماذا يعني علم الاستغراب؟-دار الهادي- بيروت، ط2000/1 ص 7

(2) ينظر كتاب الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، محمد عبده- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية –الجزائر، النشر الثاني 1990

(3) ينظر كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي -دار الفكر – بيروت، ط1970/5

(4) ينظر كتاب إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي – دار الإرشاد –بيروت، ط1/ 1969

(5) سالم حميش: الاستشراق في أفق انسداده، -منشورات المجلس القومي للثقافة العربية- الرباط، ط1991/1 ص 97

- إنّ الاستشراق تعبير إيديولوجي متقدم عن المحورية الأوربية Europeocentrisme، القائمة أساسا، على تضخيم المركز الأوربي من حيث الوضع، والوظيفة، وتهميش ما سواه في التبعيات، والملاحق، مما ينتج عنه على الصعيد المعرفي، التنقيص من شأن الدارسين والباحثين القوميين وتسييد الكتابات الاستشراقية بدعوى علميتها وتقدمها المنهجي.
- التبعية الاستشراقية للاستعمار والتنصير والصهيونية.
- تطور العلوم الاجتماعية والإنسانية في الغرب.
- غياب المنهج في الدراسات الاستشراقية [1].

ولعل أكثر الدراسات جرأة هي الدراسة التي قام بها ادوارد سعيد في كتابه الهام "الاستشراق" فهو يعرفه بأنّه" فرع من فروع المعرفة الذي يتناول الشرق بطريقة منظمة من حيث هو موضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق"[2].

استطاع ادوارد سعيد– الذي عاش في الغرب مدّة طويلة وخبره – أن يصل إلى أنّ الطموح الغربي يتجاوز حدود الدراسة العلمية، ولذلك ف" الاستشراق حقل ذو طموح جغرافي وافر، مادام المستشرقون تقليديا قد شغلوا أنفسهم بالأشياء الشرقية (فالمختص بالفقه الإسلامي، تماما كالمختص باللهجات الصينية، أو الديانات الهندية، وهو مستشرق في عرف من يسمون أنفسهم مستشرقين"[3].

لا يمكن فهم المناقشة الاستشراقية أو المناقشة الدائرة حول الاستشراق بين المثقفين العرب من جهة، والمستشرقين من جهة أخرى، إلا إذا موضعناها ضمن إطارها العام من الصراع الكائن بين الشرق والغرب، فالخطابات تعبير عن الجهة التي تطلقها أو تصدر عنها، والخطابات العربية –الإسلامية تعبير عن العرب والمسلمين، مثلما أنّ الخطابات الاستشراقية تعبر عن الجهة الغربية وعن مصالحها

(1) عقيلة حسين: المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي– دار ابن حزم– بيروت، ط2004/1، ص 36

(2) ادوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر/ كمال أبو ديب –مؤسسة الأبحاث العربية – لبنان، ط4، 1995 ص260

(3) المرجع نفسه.ص 83

وامتيازاتها، والحرب لا تكون فقط بواسطة الأسلحة النارية والحرب الاقتصادية والمادية، وإنما تكون بواسطة الخطابات الكلامية والفكرية، فـ"الاستشراق قراءة الشرق بمنطق سلطوي، يؤسس للتمييز بين نمط المعرفة الغربية، التي توصف دائما بالعقلانية، وبين الثقافة الشرقية التي بدت في كل التقريرات الاستشراقية عنوانا لنمط التفكير الأسطوري، ونموذجا لعقل لا يمتلك الربط بين البرهان، وبين المقدمات والنتائج"[1].

– التعريف الغربي للإستشراق:

إذا كان الاستشراق قد أخذ أبعادا مختلفة لدى المثقفين العرب والذين نظروا إليه برؤى تشكلت بحسب انتماءاتهم الفكرية وحسب تكوين كل مثقف، وحسب ردود الفعل التي كان يتخذها هؤلاء المثقفين كلما كان الموقف يتطلب ذلك، فإنّ التعاريف التي صدرت عن المستشرقين أو الدارسين الغربيين وحتى القواميس المختلفة لا تنفى الطابع العلمي عن مختلف الدراسات الاستشراقية كما أنّها لا تختلف في كثير من الأحايين عن المواقف العربية في ردود الفعل والتكوين الثقافي.

يقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودسون عن الاستشراق" إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق، والحاجة كانت ماسة لوجود متخصص للقيام على إنشاء المجالات والجمعيات والأقسام العلمية".

وأما رودري بارت فيقول "الإستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي".

والمستشرق بالمعنى العام، تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه.

---

(1) إدوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر/ كمال أبو ديب ص83

وقال ميكائيل انجلو جودي "ليس صاحب علم الشرق(أوالمستشرق) الجدير بهذا اللقب الذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف غرائب عادات بعض الشعوب، بل انه هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق، وبين الوقوف على القوة الروحية والأدبية الكبيرة، والتي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية وهو من تعاطى درس الحضارات القديمة، ومن أمكنه أن يقرر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى أو في النهضة الحديثة"[1].

لا يختلف اثنان من المستشرقين في علمية العمل الذي يقومون به والمتمثل دراسة الشرق من حيث جوانبه الحضارية، واكتشاف ذات المنطقة، ولذلك نجد أنّ المستشرقين يفتخرون بما أنجزوه في ميدان التحقيق والنشر والتعريف بالثقافة العربية الإسلامية، ونفي علاقتهم بالدوائر الاستعمارية والتنصيرية.

ولما أظهر العرب ردود أفعال ومواقف حيال الاستشراق لعلاقته بالدوائر المشبوهة كالمخابرات والاستعمار، ظهرت على التو، مواقف وانسحابات من هذا التصنيف، فأصبح من كانوا يعتزون بهذا المصطلح يتسابقون لإخراج شهادة وفاته.

كان لكتاب ادوارد سعيد الأثر البالغ في تغيير المواقف لدرجة أنّ الذين أطلق عليهم اسم (مستشرقون) أصبحوا يسارعون لنفي التسمية عنهم. وفي أهمية الكتاب ودوره في إحداث هذا التغيير في المواقف يقول محمد موفق الأرناؤوط:"لم يعد من المبالغة القول: أنّ كتاب إدوارد سعيد الاستشراق أصبح يؤرخ به، أي ما قبل وما بعد الاستشراق حيث إنّ صدور هذا الكتاب بطبعاته المختلفة أثّر ولا يزال يؤثر سواء في دوائر الاستشراق أو في دوائر البحث حوله، مما أنتج ما يمكن أن يسمى "مراجعة الاستشراق"[2].

---

(1) عقيلة حسين: المرأة المسلمة والفكر الإستشراقيص33.32.31. مرجع سابق

(2) محمد أرناؤوط: مراجعة الاستشراق: ثنائية الذات / الأخر نموذج يوغوسلافيا-المدار الإسلامي- طرابلس، ط1/ 2002/ص7

فبعد أن فضح ادوارد سعيد المستشرقين والاستشراق، بدأ المصطلح في التقلص، وأصبح الذين كانوا يتظللون بظلاله فيما سبق، يتنكرون له ويحاولون تغييره فهاهو

المستشرق الفرنسي اندري ميكال (1929م) يرفض أن ينتمي إلى هذا التصنيف ويرد على من يصنفه ضمن المستشرقين بقوله" أنا أجهل معنى تعبير الاستشراق. تاريخيا، الاستشراق يعني أنّ باحثا غربيا يقوم بأبحاث حول الشرق، والشرق يمكن أن يكون العالم العربي او الصين، انا لست مستشرقا، وارفض هذه الكنية، أنا عروبي سحرني الأدب العربي، فانكببت عليه بحثا ودراسة"[1]. ويقول في موضع أخر "لست مستشرقا، اهتمامي يدور حول اللغة والأدب العربيين، وبصفة خاصة الكلاسيكي، أي حتى القرن التاسع عشر، فأنا متخصص في اللغة والأدب العربيين.. في النهاية، إذا شئت، فأنا أفضّل أن يطلقوا عليّ لفظ مستعرب أكثر من مستشرق[2]. بل ويتنكّر أندريه ميكيل لهذا المصطلح ويرى أنّه غريب و"لا يعرفه ولا علاقة له به، وأنّ ما يهمه هو الشرق وحده بل العالم العربي من المحيط إلى الخليج، أدبه ولغته وحضارته، وهو يحاول أن يتخصص فيه على الأقل[3].

- أما المستشرق الفرنسي دوميميك شوفالييه (1928) فـ "ينكر المصطلح ويحمله تبعات تاريخية، ليست إيجابية"[4] فهو يرى أنّ "كلمة مستشرق اتخذت ملامح جدالية خلافية في السنوات الأخيرة، ويعزوها بعضهم إلى الإمبريالية. وأنا اعتقد أنّ الاستشراق وجد من زمن بعيد في الغرب"[5].

(1) انظر حوار مع المستشرق اندريه ميكيل مدير المكتبة الوطنية الفرنسية ص193- 194 في الاستشراق، ع2 شباط 1987م - بغداد: دار الشؤون العامة، 1987- ص197- 86- سلسلة كتب الثقافة المقارنة.

(2) أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق، -المركز العربي للدراسات الغربية- القاهرة، ط1/1999 /ص 81- 88

(3) مع المستشرقين كلود كوهين واندري ميكيل، مقابلة أجراها عبد الغني أبو العزم، شؤون عربية، ع 12 (شباط /فبراير/ فيفري)1982ص 284

(4) علي بن ابراهيم النملة: الالتفاف على الاستشراق محاولة التنصل من المصطلح - مكتبة الملك عبد العزيز العامة- الرياض، ب ط /2007 ص65

(5) أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق ص 115- 116مرجع سابق

- أما المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون(1910– 2004) فإنّه لا يستطيع أن يتحدث عن مصطلح لا وجود له، فبالنسبة له"توجد أنظمة علمية، لها موضوعاتها وإشكالياتها النوعية، مثل علم الاجتماع، وعلم الاقتصاد السياسي، والألسنية، والإناسة، والفروع المختلفة للتاريخ"[1].
- ويقف المستشرق الفرنسي جاك توبي الموقف نفسه، ويتشبث باختصاص المؤرخ، بل ويستنكر على من يدعوه بالمستشرق بقوله: "مستشرق! لا، كما لا أعرف إذا كان ما يزال هناك وجود لبعض المستشرقين أم لا، هذا مصطلح قديم.. بالنسبة إليّ لست مستشرقا، ولكني مؤرخ للعلاقات الدولية، وفي هذا الإطار أرّخت للمنطقة العربية في فترة محدودة"[2].
- ويعترف المستشرق الفرنسي دانيال ريج بكراهية المسلمين والعرب لمصطلحي الاستشراق والمستشرق، ويشير إلى " تطابق مصطلح الاستشراق في الجرس والوزن مع لفظ الاستعمار في ذهن المسلمين"[3].
- وقد مست هذه التراجعات في ميدان العمل الاستشراقي أقطاب الاستشراق. فقد أصبحوا ينسلون الواحد والآخر من هذه التسمية التي أصبحت في رأيهم لا تشرف صاحبها، واختاروا تسميات أخرى تتناسب وتخصصاتهم المختلفة فها هو كلود كوهين لا يرى نفسه مستشرقا، بل هو مؤرخ للإسلام من العصر العباسي إلى العصر العثماني، ويجيب عمن سأله عن الاستشراق بأنّه (أي الاستشراق) لم يعد يتلاءم والواقع ولذا ينبغي إعادة النظر في دلالته التاريخية.
- أما المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشوفسكي (1883– 1951) فقد أسس الاستعراب الروسي الجديد وهو يتهرب مما يسمى بالاستشراق، بل ويكتب كتابا يعنونه بالاستعراب الروسي الذي يقول فيه:"العصر الجديد في تاريخ الاستعراب الروسي يبدأ من المرسوم الجامعي سنة 1804، لأنّ هذا المرسوم

---

(1) أحمد الشيخ:من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق – ص 37– 45 المرجع نفسه

(2) المرجع نفسه ص 157– 168

(3) محمد حسن خليفة: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، – جامعة الإمام بن سعود الإسلامي –الرياض، ط2000/1 ص 25– 27

أدخل تدريس اللغات الشرقية في برنامج الدراسات العليا، وأسس الأقسام الخاصة لهذه اللغات"[1].

أما المستشرق الفرنسي جاك بيرك (1915– 2004) يقول: أنا باحث[2]

- ويرفض المستشرق الاسباني بيدرو مارتينيث مصطلح مستشرق، بما يقرب من الغضب، وهو ما فعلته المستشرقة كارمن من أن تكون مستشرقة. ومنذ اللحظة الأولى ظلّت تردّد، لمرات، أنّها باحثة وأستاذة جامعية متخصصة في الآداب العربية"[3].
- وأكثر المستشرقين رفضا لمصطلح الاستشراق، المستشرق الامريكي "برنارد لويس"(1916) والذي يمقت المصطلح ويدعو إلى رميه في زبالة التاريخ. هذا إذا كان للتاريخ زبالة! ويؤكد على رميه في مزبلة التاريخ، ويقول أيضا "وهكذا تمّ رمي مصطلح المستشرق في مزبلة التاريخ"[4].

– نشأته:

بداية الإستشراق:

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في اي وقت كان ذلك؟ ولكن مما يجدر ذكره أنّ بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن الكريم، والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على يد العلماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

---

(1) فاطمة عبد الفتاح: إضاءات على الاستشراق الروسي، –اتحاد الكتاب العرب– دمشق، 2000 ص 12

(2) مصطفى عبد الغني: ترجمة جاك بيرك للقرآن –من القراءة إلى التفسير، الاجتهاد ع49 /السنة 12/ شتاء للعام 2001ص 115– 137

(3) المرجع نفسه ص117

(4) محمد أركون وآخرون: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، إعداد هاشم صالح– دار الساقي– بيروت، ط2 2000/ ص 261

يقول: د عمر فروخ "إن أوائل المستشرقين منذ القرن الرابع عاشر هجري كانوا من الرهبان خاصة، ذلك لأن العلم كان في ذلك الدور من تاريخ أوربا قاصرا على الرجال الكهنوت، فلا عجب إذن إذا نحن قلنا أن " جربرت gerbert" الفرنسي الذي أصبح بابا باسم "سلفستر الثاني 999- 1003 كان أول المستشرقين، وأول بابا فرنسي يرقى سدة الفاتيكان"[1].

وكان إلى جانب "جربرت دي أورلياك gerbert de orlial الراهبان بطرس المحترم pierre le senere (1092– 1156) وجيرا ردي كريمون Gerard de crement(1114– 1178). وقد عمل هؤلاء تحت راية الكنيسة التي كان لها دور في دفع تكوين العملية الاستشراقية، وذلك بالتعرف على اللغة العربية وآدابها، لبدء عملية التبشير، فقد بدا للباباوات أن ينشئوا الرهبنة في القرون الوسطى لبثّ الدعوة الدينية بين أبناء الشرق في آسيا، وافريقيا، وفي الأندلس، وصقلية. من قارة أوربا ثبت لهم أنه لا سبيل إلى إنجاح هذا المشروع إلا بتعليم لغات المشارقة ولا سيما العربية.

وبعد عودة أولئك الرهبان إلى بلادهم، نشروا ثقافة العرب، ومؤلفات أشهر علمائهم، فأسست المعاهد للدراسات العربية. "وكانت أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوربا، هي التي أسست في طليطلة سنة 1250م وتدرس فيها العربية والعبرية. ومن أشهر خرجيها رايمو ندوس لوللوس raynum dus lulus حوالي سنة 1310م الذي كان يتقن العربية ويعرف المؤلفين العرب معرفة جيدة لا يضاهيه فيها أحد من الغربيين، حتى العصور الحديثة، وكثر إنشاء الجامعات في الغرب فتم تأسيس أول جامعة في أوربا الوسطى في كراكو من مدن بولندا سنة 1361م. وبعد أربع سنوات أنشئت جامعة "فيينا" وهي أول جامعة ألمانية"[2].

(1) عمر فروخ: الاستشراق بحث المستشرقون (ما لهم وما عليهم) – سلسلة كتب الثقافة المقارنة– بغداد، العدد1، ب ت ص45

(2) محمد كامل عباد: صفحات من تاريخ الاستشراق. مجلة العلمي العربي، ج1، 1960، ص 344– 375

نشأة الاستشراق[1]: رصد سمايلوفيتش لذلك مجموعة من آراء علماء العرب، وعلماء الغرب. نذكر منهم:

- محمّد البهي، الذي يرى أنّ بداية الاستشراق كانت في القرن الثّالث عشر الميلادي، في بعض البلدان الأوروبية.
- ويرى إبراهيم اللّبان، الّذي يرى أنّ البداية، كانت في القرن العاشر الميلادي ثم ازدهر بعد ذلك.
- أما علي الخربوطلي، فيؤكّد أن الاستشراق بدأ في العصور الإسلامية الوسطى، حينما كان العرب في الصّدارة.
- ويذهب أحمد الشّرباصي، إلى أنّ الاستشراق، بدأ تقريبا في القرن الثّالث عشر الميلادي.
- ويعيد جورجي زيدان، بدايته إلى القرن العاشر الميلادي، إذ أراد المستشرقون الاطّلاع على ما في العربية من علوم.
- أما نجيب العقيقي، فيرجع ظهور الاستشراق إلى ما قبل الحروب الصّليبية الّتي لم تكن – في رأيه– إلاّ نتيجة لوقوف الغرب على الشّرق.
- ويؤكد أسعد داغر، ما أكّده غيره من أنّ الاستشراق نشأ منذ القرن العاشر الميلادي.
- أما إسحاق الحسيني، فيرى أنّه من العسير أن يُحَدَّد ظهور الاستشراق بسنة معيّنة، وإنما يحدّده بالتّقريب، بما قبل مئة سنة من ظهور الإسلام.

أما سمايلوفيتش فيقول: "لو تتبع الباحث آراء العرب جميعا لرآها تقترب من هذه الآراء الّتي سردناها..."[2]

(1) أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر–دار الفكر– القاهرة د ط، 1998 ص 54– 56

(2) أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق، ص 56م س

أمّا آراء الغربيين، فيمكن التّمثيل لها بالأسماء التّالية:[1]

- يذهب الأب لامنس، إلى أنّ الأحبار الرّومان قرروا دراسة العربية في مدارسهم منذ القرن الثّالث عشر، إلاّ أنّهم لم ينفّذوا ذلك إلاّ في فترة قصيرة عام 1519.
- ويُخَطِّئ برنارد لويس، أولئك الّذين يعتقدون أنّ أوّل اتصال حدث بين أوروبا والعالم العربي، يعود إلى الحروب الصّليبية، فاحتكاك الغرب بالمسلمين، كان قبل ذلك.
- فيما يزعم ماكس فانتاجو، أنّ الاستشراق ظهر في بدايات القرن الثّاني عشر، بعد دخول الصّليبيين إلى القدس، وتمكّن علماؤهم من نقل خمسة عشر كتابا في الهندسة.

ويخلص سمايلوفيتش إلى القول أنّ ميلاد الاستشراق "كان حينما التقى الأوروبيون بالثّقافة العربية الإسلامية المتفوقة على حضارتهم. وظلّت حركة الاستشراق تنمو وتزدهر حتّى استطاعت تكوين صرحها العلمي في النّصف الثّاني من القرن العشرين"[2].

– الاستشراق في حركة التطور:

لقد تفرّغ المستشرقون في القرن العشرين للبحث، ومنحتهم أممهم المال والوقت، ووضعت تحت أيديهم المكتبات العامرة بالأبحاث والمخطوطات النادرة، وكلهم يعرف لغات عربية شرقية، فكان من الطبيعي أن تتسم آثارهم سمات التحقيق، والمثابرة والإطلاع، والموازنة، ومراجعة الأصول، والمخطوطات، ووضع الفهارس وغير ذلك مما كان مفقودا في الكتب العربية وقد صدرت في عام 1906م مجلة (العالم الإسلامي) عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب وتحولت بعد ذلك إلى مجلة الدراسات الإسلامية.

---

(1) م ن ص 57- 59

(2) أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص 70 مرجع نفسه

ويكفي أن نعلم أن في أمريكا وحدها الآن أكثر من خمسين مركزا مختصا بالعالم الإسلامي، ووظيفته هي تتبع كل ما يجري في العالم الإسلامي من أحداث ثم دراسته وتحليله مع أصوله التاريخية ومتابعة العقيدة.

يمكننا تلخيص تطور حركة الاستشراق في مرحلتين اثنتين[1]:

- المرحلة الأولى:

تلك الحقبة التي تبدأ من القرن الثامن الميلادي، وتستمر حتى النهضة الحديثة وفيها احتك الإسلام بالغرب سياسيا، وحربيا. وأسس مراكز حضارته في جنوب أوربا وجنوبها الغربي ووقف منها موقف المعلم يلقنها حضارة خصبة الجوانب كثيرة الروافد.

امتزج فيها، تراثه العربي بتراث الفرس، والهند، واليونان وغيرهم من الأمم التي دانت لسلطانه. وكان موقف أوربا من ذلك الدور، أشبه بموقفنا نحن من الحضارة الغربية في أوائل نهضتها الحديثة.

- المرحلة الثانية:

منذ أوائل النهضة الأوربية حتى القرن الحالي وفيها ظهر أثر الفكر الإسلامي واضحا في الفكر الغربي لا سيما أدبائه، فترجمت روائع الأدب الشرقي مثل ألف ليلة وليلة في نهاية القرن السابع عشر، التي ترجمها أنطوان جالان الفرنسي وكانت أول ترجمة (1704- 1712) وكما بدا التأثر في فلاسفته مثل أرنست رينان[2].

وأخذت المدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية. واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على الكتب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة،

(1) محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية- دار المعارف- د.ط، 1997، د.ت، ص 41- 42

(2) تأثر بابن رشد وكتبه (ابن رشد والرشدية) ونشره في باريس عام 1852م.

قرابة ستة قرون. ومنذ القرن الخامس عشر وربما قرن قبله أخذت أكثر الأمم الأوربية تبتاع بواسطة وكلائها وقناصلها وتجارها في الشرق مخطوطات عربية، تزين بها قصور ملوكها وأديرتها ودور العلم بها.

وقد انصرفت الجهود حتى القرن السادس عشر إلى الترجمة عن العربية التي كان يتولاها في الغالب يهود الأسبان واتجهت العناية هنا إلى نقل الكتب الطبية والفلكية والفلسفة إلى اللغة اللاتينية، والإطلاع على محتوياتها والاستفادة منها[1].

ويرى الدكتور "عمر فروخ" أنّ الاستشراق بالمعنى المقصود عندنا بدأ من القرن السادس عشر للميلاد 510. لأنه تمّ فيه الاهتمام باللغات الشرقية والتركية خاصة ويجمع المخطوطات العربية " نشرها والكتابة في موضوعات شرقية لغوية وأدبية خاصة، وأنه ظهرت في هذا القرن الطباعة العربية، والرحلات إلى الشرق التي حفزت حركة الاستشراق. ولما خمدت الثورة الدينية في الغرب، وقامت مكانها الثورة الصناعية، اشتدت الحاجة أكثر من قبل للإطلاع على آداب العرب، وغيرهم من أمم الشرق، فدخل علم المشرقيات في طور العلوم المنظمة منذ أواخر القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي، والاستيلاء على ممتلكاته، فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويصدرون لذلك مجلات في جميع الممالك المغربية ويشترون المخطوطات العربية، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، إذ بلغت في أوائل القرن التاسع عشر 250 ألف مجلدا ومازال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

وفي القرن التاسع عشر اشتدت حركة الاستشراق، لقيام الحكومات الغربية بتأسيس مدارس تعلم لغات الشرق ليسهل عليها حكم مستعمراتها. وقد أنشئت الجمعيات والمجلات الآسيوية، وعقدت المؤتمرات الشرقية تضم بين أعضاءها أقطاب

(1) محمد علي كرد: أثر المستعمرين من علماء المستشرقيات في الحضارة العربية، مجلة الإستشراق، العدد: 2 - بيروت- 1988 م، ص 100- 105

المستشرقين وتشجع الحركة تشجيعا قويا حتى تعدد دارسو لغتنا والمتبحرون في آدابها.

ثم بدأت تظهر الكتب الأوربية عن الإسلام وتاريخه والترجمات المختلفة للقرآن وأسست الجمعيات الآسيوية في انجلترا وفرنسا في النصف الأول من القرن 19م، وأخذ العلماء الأوربيون ينقّبون عن المخطوطات الشرقية ويحققونها ويشترونها ثم بدأت سلسلة المؤتمرات الدولية في النصف الثاني من القرن 19م إلى أن انتقلت العناية إلى دراسة الأمم الإسلامية في نهضتها الحديثة إلى وقتنا الحاضر.

- دوافع الإستشراق:

بلا ريب فإنّ ظهور الاستشراق في بداية أمره كان لأسباب حضارية بما لكلمة حضارة من مدلولات وامتدادات، وقد توزعت هذه الدوافع بحسب المظاهر الحضارية، وكأن العمل في مجال من مجالات الاستشراق هو بمثابة الدفاع عن مصالح الغرب، والرغبة في فرض ذاته لبناء صرح الحضارة الغربية وذلك بزوال حضارة الشرق، وهذه الأسباب والدوافع لا يختلف فيه المؤيدون والرافضون للفكر الاستشراقي و"في الحق أنّ كلا من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرقوا إليه من أبحاث، ونحن من قوم يأمرهم دينه بالعدل حتى مع أعدائهم"[1] "قال تعالى { "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[2]

للاستشراق بوجه العام من خلال دراساته العربية والإسلامية دوافع متفاوتة شدة وضعفا، إذ كان للمستشرقين عناية كبيرة بالإسلام والآداب العربية، وقد

(1) مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون – دار الوراق للنشر والتوزيع- بيروت، ط1، 1999/ص20- 21 بتصرف

(2) سورة المائدة الآية 8

اتسمت بعض هذه الدوافع بالطابع التبشيري بينما اتجه البعض الآخر بغرض استعماري، وخلص القسم الثالث باتجاه علمي، بالإضافة إلى دوافع أخرى:

أ) الدافع الديني:

استيقظ الغرب على فلول الفاتحين في القرون الوسطى تدك سنابك خيولهم آخر معاقل الرومان والبيزنطيين، وسرعان ما صنعوا في الأندلس حضارة كانت مركز عبور بين الشرق والغرب، ولم يكد الغرب يهضم الفتح الأول حتى شدّ الألوية رجل من أواسط آسيا جاء زاحفا يحمل مفاتيح مدينة القسطنطينية سنة 1483 ليتسلم أصول الخلافة ويبدأ حركة الزمن الإسلامي من جديد إنّه محمد الفاتح آل طغرل.

حينها تساءل الغرب عن سر تجمع القبائل العربية والطابع الحضاري الذي يحمله هؤلاء العرب وعن السر الذي جمع بين العرب والفرس والأتراك، وما كانت الإجابة بغائبة عنهم وما كانت الحقيقة لتخفى طويلا، إنّه الإسلام، هو الذي صنع هذه الجيوش المتكونة من العسكري والعالم والتاجر والفلاح والعربي والفارسي والتركي...الخ "لقد نظر النصارى منذ قرون طويلة سرعة انتشار الإسلام، وقدرته الفائقة على التوسع والتغلب على خصومه، وخاصة عندما غزا الإسلام الصليبية وانتصر عليها في عقر دارها وأقام حضارة ودولة في الأندلس[1]. وفند عقيدة النصارى وأبطلها وخاصة ما تعلق بعقيدة التثليث وبنوّة المسيح وحقيقة التوراة "والصلب والفداء.

ولما أيقن هؤلاء أنّ الإسلام أصبح يمثل خطرا، وتهديدا على النصرانية، وأوقف انتشارها وسلب منها أتباعها— الذين حوّلوا رموزها إلى رموز المسلمين (تحويل الكنائس إلى مساجد)[2]. — "هبّ المستشرقون يكتبون عن الإسلام بروح

(1) علي محمد إسماعيل، : الاستشراق بين الحقيقة والخيال مدخل علمي لدراسة الاستشراق-دار الكلمة- المنصورة،مصر ط/3 السنة2000 /ص28

(2) كنيسة أيا صوفيا التي حولت إلى مسجد.

متعصبة وقلوب مملوءة بالحقد، دأبت طائفة منهم على تشويه صورة الإسلام لدى الأوربيين حتى لا يقبلون عليه "ولم يتركوا نقيصة ولا رذيلة إلا وألصقوها بالإسلام ورسوله وتاريخه ورجاله، من منطلق كراهيتهم للإسلام واعتقادهم بأنّه دين معاد للنصرانية"[1].

ومنهم من أكد هذه الحقيقة أي حقيقة تشويه الإسلام، وإلصاق الرذائل والنقائص به، فقد قال –رودي بارت: حقيقة، إنّ العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط، كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرفهم على الإسلام وكانوا يتصلون بها على نطاق واسع، ولكنّ كلّ محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعا ما، كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل في أنّ هذا الدين المعادي للنصرانية لا يمكن أن يكون فيه خير، هكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا لتلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون بنهم كل الأخبار التي تلوح لهم مسيئة إلى النبي العربي وإلى دين الإسلام[2].

وكان لمستشرقين أهداف جمة خاصة بعد الإصلاح الديني الذي جرى في أوربا. فقد احتاج المصلحون إلى ما يساعدهم لدراسة تراثهم الديني، فلجئوا إلى التراث الشرقي – وقد اعتبر الأستاذ محمد البهي "إن اهتمام المستشرقين كان منصبا على الدافع الديني وذلك أن الحروب الصليبية تركت في نفوس الأوربيين آثارا مرّة وعميقة، فظهرت حركة الإصلاح الديني المسيحي فدفعت البروتستانت والكاثوليك إلى إعادة النظر في شرح كتبهم الدينية فاتجهوا إلى الدراسات العبرانية، التي دفعتهم إلى الدراسات العربية والإسلامية إضافة إلى رغبتهم في التبشير بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم إلى العالم الإسلامي، كما كان همهم الطعن في الإسلام وتشويه حقائقه والتشكيك في قيمه لإثبات فضل اليهودية عليه، والادعاء بأنها هي المصدر الأول، وقد انصب اهتمام المستشرقين بهذا الدافع بسبب ما تركته الفتوحات الإسلامية

---

(1) علي محمد إسماعيل: الاستشراق بين الحقيقة والخيال مدخل علمي لدراسة الاستشراق ص 28 مرجع سابق

(2) محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية ص32- 33 مرجع سابق

ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في نفوس الغربيين، من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله، فاستغلوا هذا الجو وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية[1].

ب) الدافع الاستعماري:

شكّل المستشرقون رتلا هاما من أرتال الجيوش الأوربية، فقد سبقوا الحملات التي شنتها أوربا عقب النهضة الأوربية الحديثة بل وقبل ذلك. إذ شهدت الفترة الممتدة بين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر غارات الصليبيين على الشرق الإسلامي فيما عرف تاريخنا بالحروب الصليبية والتي كانت "في ظاهرها دينية، غايتها تخليص بيت المقدس من يد المسلمين، بينما كانت في حقيقتها سبيلا للسيطرة على الشرق الإسلامي بما فيه من خيرات اقتصادية ومراكز حربية"[2].

وسرعان ما عادت جيوش الفرنجة تجرّ أذيال الخيبة بخفي حنين، فقد انكسرت جيوشها أمام صلادة جيش صلاح الدين الأيوبي. حينها راح الغرب يشدّ على أزره محاولا السيطرة والاستيلاء على البلاد العربية والإسلامية بالغلبة وقوة السيف"ودبّت أوربا دبيبا حول هذا العالم وجعلت تطوّق شواطئ القارة الإفريقية من الغرب إلى أن بلغت شواطئ الهند، طوقته يومئذ بطوق من الثغور تحتلها، ثم تنفذ من كل ثغر إلى بدن العالم الإسلامي شيئا فشيئا، على حذر شديد وبلا ضجيج يزعج"[3].

لقد انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين، وهي في حقيقتها حروب استعمارية، حينها لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب، وبلاد الإسلام فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، ولما تمّ لهم الاستيلاء العسكري

(1) علي ابن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية:مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. د.ط، 1414ه/1993م، ص 35- 34

(2) مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير الاستعمار في البلاد العربية- المكتبة العصرية -صيدا 1985 ب ط ص144

(3) محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار:- مطبعة المدني – القاهرة، مصر ط2 – السنة 1970 ص 183

والسياسي قامت الحركة الاستشراقية بإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وذلك عن طريق التشكيك في التراث والعقيدة والقيم الإنسانية، فنفقد الثقة بالنفس ونرتمي في أحضان الغرب[1].

ج) الدافع العلمي:

ويعدّ من أهم الدوافع التي ساهمت في:

- نقل الحضارة العربية الإسلامية والإطلاع عليها.
- رسم صورة العربي والمسلم حتى تصبح صورة نمطية، يعتمد عليها عند التعامل معه في مختلف اللقاءات، وخاصة أنّ العرب يحتلون جزء هاما من البحر الأبيض المتوسط بينما يحتل الغرب الجانب الآخر.

وقد أخذ هذا الدافع اتجاهين هما:

- الدافع العلمي الذي يقصد منه دراسة علوم الشرق الإسلامي في مختلف التخصصات العلمية، ونقلها إلى الغرب لتنهض أوربا وتتقدم.
- الدافع العلمي الذي يقصد منه البحث العلمي الخالص، ودراسة الإسلام وعلومه، بتجرد عن الهوى ونزاهة عن التعصب[2].

وتحقيقا للاتجاهين باشر المستشرقون عملهم على الكتب العربية: — قراءة —وشرحا — وترجمة — وتحقيقا، فالكثير منهم يعترف أنّ الحضارة الإسلامية محرك النهضة الأوربية الحديثة فـ"أوربا تدين للعرب وللحضارة العربية. وأنّ الدين الذي في عنق أوربا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدا وكان يجب على أوربا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد ولكن التعصب الديني واختلاف العقائد أعمى عيوننا وترك عليها غشاوة حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتابا من مائة فلا نجد فيها

(1) مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)/ص22 مرجع سابق

(2) علي محمد إسماعيل: الاستشراق بين الحقيقة والخيال (مدخل علمي لدراسة الاستشراق): مرجع سابق ص38- 42

إشارة لفضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة، اللهم إلا الإشارة العابرة إلى أن دور العرب لا يتعدى دور ساعي البريد الذي نقل إليهم التراث اليوناني[1].

ما يلاحظ على طبيعة هذه الكتب أنّها شملت كلّ العلوم والفلسفة والآداب والفنون.

وخلال فترة النقل والتعامل مع المادة التراثية العربية الإسلامية، كانت تتنازع نفسية المستشرقين نوازع مختلفة تتخطفها الخلفيات الفكرية والمنطلقات العقيدية، ولكننا نجد "من المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدّس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين[2].

ومن أمثلة هؤلاء :المستشرق الألماني، يوهان ج رايسكه (1716– 1774) الذي كان واحدا من علماء العربية في عصره، وأول مستشرق الماني جدير بالذكر – كما يقول الدكتور زقزوق واليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية في ألمانيا. ولكن عصره ومعاصريه تجاهلوه، وحاربه رجال اللاهوت متهمينه بالزندقة. ولعل ذلك يرجع إلى موقفه الإيجابي من الإسلام. فقد امتدح الدين الإسلامي في كتاب له باللاتينية، ورفض وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب أو التضليل، أو وصف دينه بأنّه خرافات مضحكة، كما كان ذلك سائدا حينذاك – كما رفض تقسيم تاريخ العالم إلى تاريخ مقدس وتاريخ غير مقدس، ووضع العالم الإسلامي في قلب التاريخ العالمي، وفوق ذلك عبر عن أرائه بأعظم قدر من الصراحة غير مكترث بكل العواقب المترتبة على ذلك، وقد جرّ عليه ذلك ويلات كثيرة،

(1) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب تر/ فؤاد حسنين علي، مكتبة رحاب – الجزائر، ط/ 1986/ص أ-ب

(2) المرجع السابق ص41

وعاش طول حياته في ضائقة مالية، مات بائسا مسلولا وهو في الثامنة والخمسين من عمره[1].

وهذا نموذج ضمن النماذج الكثيرة التي وقفت موقف الباحث الذي ينشد الحقيقة، ونذكر أسماء لهؤلاء وقد أصابهم ما أصاب رايسكه من ويلات كالضائقة المالية ومضايقة رجال الدين ورجال السياسة ومنهم: المستشرقة الاسترالية المعاصرة، تساريس وادي –اللورد هيدلي – ايتيان دينيه –جون فيليب والدكتور جرينيه الذي كان عضوا في مجلس النواب الفرنسي وقد سئل عن سبب إسلامه فقال: إنني تتبعت الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها في صغري وأعلمها جيدا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كلّ الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنني تيقنت أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بالحقّ الصراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر وأنّ كلّ صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كلّ الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارنت أيضا، لأسلم بلا شك إن كان عاقلا خاليا من الأغراض[2].

وهناك مجموعة من المستشرقين اندفعت إلى الشرق (العالم الإسلامي) نتيجة للانبهار بالحضارة والتاريخ الإسلاميين، والانبهار بالعقيدة الإسلامية التي بنيت على التسامح مع الآخرين، الأمر الذي لا يتحقق في إطار الدين الواحد في المسيحية مما جعلهم يغوصون في علوم الإسلام، وانتهى المقام بالكثير أن يخرجوا من مكانة الاستشراق ويصبحوا في عداد المسلمين، والإيمان برسالتهم والانصراف عن الاستشراق، وهؤلاء لم تكن غايتهم المضرة بالإسلام[3].

---

(1) محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية /ص43– 44 مرجع سابق.

(2) علي جريشة ومحمد شريف الزيبق أساليب الغزو الفكري – دار الاعتصام– القاهرة ص29

(3) مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم).. ص27– 26 مرجع سابق

كما توجد دوافع أخرى ليست بمثل أهمية الدوافع السابقة، وكان لها أثر في تنشيط الاستشراق وهي:

د) الدافع التجاري:

وتجلى في انشغال بعض المستشرقين في بعض الجوانب الخرافية المنسوبة إلى الشرق والتجارة بها كترجمة ألف ليلة وليلة، ورباعيات عمر الخيام[1].

ه) الدافع السياسي:

حيث يوجد في كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى الدول العربية الإسلامية، سكرتير أو ملحق ثقافي، يحسن الثقافة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والسياسة والصحافة، ليتعرف إلى أفكارهم ويبث فيهم اتجاهاته السياسية[2].

عمل الإستشراق:

من أهم الأعمال التي قام بها المستشرقون تمثلت فيما يلي:

- طبع الكتب العربية المخطوطة والعناية بضبطها، وإتقان فهارسها، وإتمام شروح ما يلزم فيها.
- الاحتفاظ بالمخطوطات العربية في المكتبات الكبرى في عواصم أوربا كما قامت بإعادة كتابة الآداب العربية.
- إقامة المكتبات، وإنشاء الجمعيات، وتأسيس المعاهد وإلقاء المحاضرات، وتشجيع البعثات وترتيب الدعاية في الصحف والمجلات لأبحاثهم عن الشرق وآدابه[3].

(1) المرجع السابق ص23

(2) علي إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية، ص37- 39 مرجع سابق

(3) علي محمد إسماعيل: الاستشراق بين الحقيقة والخيال (مدخل علمي لدراسة الاستشراق)ص 79- 98

ومن أبرز المستشرقين الذين عرفهم العرب بشكل جدي الأستاذ بلاشير (1900– 1973) الذي كان استاذا بجامعة السربون بفرنسا ومديرا للمعهد الإسلامي بفرنسا، وله مؤلفات عدة ونشاطات مشكورة في خدمة اللغة العربية وآدابها كاعتنائه بالمتنبي والكتابة عنه الذي تناوله فيما بعد طه حسين.

ومارجليوث (1836– 1940) الإنجليزي ومن أثاره مختارات أرسطو مترجمة بالعربية، وترجمت الجزء الرابع من تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان، وفهرس الديوان لأبي تمام سنة 1905 وأصول الشعر العربي سنة 1911م[1].

أما جب (HAR GIBB) فكانت أثاره واضحة في ترجمة بعض الكتب كطريق الإسلام الذي ألفه بالاشتراك مع آخرين، وقد ترجم من الانجليزية إلى العربية، إضافة إلى الاتجاهات الحديثة في الإسلام سنة 1947، الذي أعيد طبعه وترجم إلى العربية، وله مقالات أخرى متفرعة[2].

إضافة إلى مستشرقين آخرين والذين كان لهم الأثر على الآداب العربية كالألماني بروكلمان والهولندي دي غويه، والانجليزي توماس ارلوند ونيكلسون والفرنسي دي سلان وليفي بروفنسال وجاك بيرك.

وسائل الإستشراق:

لقد حدد الاستشراق منذ نشأته دوافعه التي وإن اختلفت شكلا فهي تتفق جوهرا. فمن دافع تبشيري، استعماري إلى دافع اقتصادي وسياسي، إلى دافع علمي ثقافي، إلا أن الموضوعية كانت قليلة بالمقارنة مع حجم الدراسات الكبيرة جدا، ومن أجل تحقيق كل الأهداف والدوافع اتخذ الاستشراق جملة من الوسائل من بينها:

---

(1) علي محمد إسماعيل: الاستشراق بين الحقيقة والخيال (مدخل علمي لدراسة الاستشراق)؛ ص 79– 98

(2) نجيب العقيقي: المستشرقون – القاهرة– دار المعارف– ج1، ط4، 1985، ص182

إنشاء المعاهد والجامعات:

لقد اهتمت الجامعات الغربية والأمريكية بالدراسات الشرقية عبر معاهد متخصصة أو في مجالات التدريس الغربية" كالفلسفة والتاريخ والسياسة وعلم الاجتماع"[1]. وقد كان المسئولون أنفسهم يهتمون بترقية الآثار الإسلامية ف"لقي الفن الإسلامي والآثار الإسلامية في متحف القيصر فريدريش في برلين رعاية خاصة بإشراف ف.سار(F.Sarre)"[2].

إنشاء المكتبات واقتناء الكتب:

لم يتأخر المستشرقون في اقتناء الكتب العربية، وإعمار مكتباتهم بها وكان هذا الاقتناء عن طريق الشراء أو السرقة أو النقل المباشر خاصة أثناء فترة الاستعمار وتكاد الكتب المهمة التي نجدها في بلاد المسلمين توجد في بلاد الغرب[3].

جمع المخطوطات وفهرستها:

لا تخلو مكتبة أو مركز علمي بأوربا، من المخطوطات العربية الهامة في مختلف العلوم والفنون، وتحصلت عليها أوربا، إما عن طريق الشراء أو الأخذ، وقد كان اهتمام المستشرقين بالمخطوطات كبيرا جدا، وذلك بوعيهم قيمة المخطوطات حضاريا وثقافيا[4].

---

(1) عقيلة حسين: المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي/ ص50 م س.

(2) أحمد محمود هويدي: الاستشراق الألماني (تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية)، -دار التعاون للطبع والنشر- القاهرة ب ط / 2000 ص49.

(3) عقيلة حسين: الإستشراق والمرأة المسلمة، ص51 م س.

(4) المرجع نفسه، ص51

تحقيق المخطوطات ونشرها:

لم يكن عمل المستشرقين مقتصرا على اقتناء المخطوطات وملأ رفوف المكتبات بها؛ بل انتشرت في أوربا حركة نشيطة لتحقيق المخطوطات ونشرها. والغرض هو"الإطلاع أكثر على تراث المسلمين"[1]. فحققوا الكثير من الكتب ونشروا الكثير كذلك[2].

تأليف الكتب والبحوث والدراسات:

لقد كان نشاط المستشرقين كبيرا في تأليف الكتب والبحوث في الموضوعات المختلفة عن الإسلام واتجاهاته والرسول صلى الله عليه وسلم — والقرآن الكريم — والسنة والتاريخ والأدب وعلم الاجتماع والتصوف وعلم الكلام وكانت هذه الكتب تتسم بالموضوعية حينا وبالتعصب والبعد عن المنهج العلمي أحيانا كثيرة[3].

تأليف المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف:

لم يؤلف المستشرقون دراسات وبحوث في مجال معين فقط. بل كانت جهودهم كبيرة في تأليف المعجم والموسوعات الضخمة والكبيرة التي تتطلب جهدا ومالا ووقتا، فقد كان لهم باع طويل في تأليف المعاجم والقواميس اللغوية. وكان أول قاموس أنجز هو قاموس "لاتيني عربي" في القرن الثاني عشر ميلادي، كما ألف المستشرقون دائرة المعارف الإسلامية والتي صدرت سنة 1913م– 1938م في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية[4].

---

(1) عقيلة حسين: الاستشراق والمرأة المسلمة، ص54– 55

(2) المرجع نفسه، ص51– 52

(3) عقيلة حسين: الاستشراق والمرأة المسلمة، ص52

(4) المرجع نفسه ص53

الاعتناء بالترجمة:

لم يقتصر نشاط المستشرقين على التأليف والتحقيق والنشر، بل تعداه إلى الاهتمام بالترجمة، وذلك لتمرير الثقافة إلى كل الشعوب الأوربية التي لا تتقن العربية، وقد قاموا بترجمة عدد كبير من الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوربية كافة، ومن الكتب التي ترجمت: الكثير من دواوين الشعر والمعلقات[1].

إصدار دوريات ونشرات ومجلات:

لقد أصدر المستشرقون العديد من المجلات والدوريات والمطبوعات المختلفة والمتخصصة في العالم الإسلامي والعربي، ومنها مجلة "ينابيع الشرق" التي صدرت في فينا سنة 1809م– 1818م ومجلة الإسلام بفرنسا عام 1890م تسمى musulman Le monde ومجلة عالم الإسلام سنة 1906م[2].

عقد المؤتمرات والندوات:

لقد عقد المستشرقون العديد من المؤتمرات والندوات العلمية حول الاستشراق. وكانوا يحضرون من كل مكان. وكان الهدف هو تنسيق الجهود وتبادل المعارف حول الشرق الجذاب، ويمكن حصرها في حوالي 30 مؤتمرا منذ سنة 1872م[3]. وفي غالب الأحيان فإنّ أهدافها تنحصر في:

- إيجاد روابط وعلائق باسم الصداقة والتعاون.
- استمرار الجهود المبذولة لهدم الإسلام أو تطويره وجعله آلة من آلات الدعاية الاستعمارية لصيانة المصالح الأمريكية والغربية.
- التقرب المباشر من المسئولين[4].

---

(1) المرجع نفسه ص54

(2) المرجع نفسه ص54

(3) عقيلة حسين: الإستشراق والمرأة المسلمة ص54 م س

(4) مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام– دار اشبيليا– الرياض، ط2000/1 ص174

إلقاء المحاضرات في الجامعات والتجمعات العلمية:

كان المستشرقون يترددون على الجامعات بالدول العربية لإلقاء المحاضرات، ولقاء الباحثين والمناقشة معهم في كل المجالات العلمية. فقد ترددوا على الجامعات "دمشق- لبنان- الرباط- الجزائر"[1]. ولأهمية الدور الذي يقومون به أصبح المسلمون يعودون إليهم في كثير من قضاياهم. ويتعجب الأستاذ أبو العلى المودودي من هذا الأمر فيقول:

وأسفاه، لقد أصبح المسلمون يرجعون إلى اهل الغرب(أوربا وأمريكا) ويسألونهم: ما هو الإسلام وما تاريخه، وما هي حضارته؟....ويستوردونهم تدريس التاريخ الإسلامي وكل ما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين...."[2]

إنجازات المستشرقين:

خلافا لخصوم المستشرقين. فقد حقق هؤلاء إنجازات علمية ومعرفية وثقافية هي بصورة عامة لصالح العرب والمسلمين. فالمستشرقون هم الذين عرّفوا بالثقافة العربية الإسلامية، وقدموها إلى المجتمعات الغربية والعالم، مما رفع مكانة العرب والمسلمين، إذ أخذ العالم ينظر إليهم كأمة ذات حضارة عريقة.لقد أسهمت جهود المستشرقين بصورة جوهرية في تحسين صورة الشرق. وذلك بتقديمه على الرأي العام الغربي والعالمي كموطن لشعوب ذات حضارة راقية لا كشعوب همجية بربرية، مثلما تدعي الأوساط الاستعمارية والصهيونية، وبهذا الخصوص كان هناك تعارض صارخ بين جهود المستشرقين التي أبرزت منجزات الحضارة العربية الإسلامية، وبين المساعي الاستعمارية والصهيونية التي صوّرت العرب كهمج متوحشين، وسوّغت بذلك قيامها باستباحة بلادهم واحتلالها ونهبها ولا أظن أن أحدا يجهل ما قاله مؤسس الحركة الصهيونية " تيودور هرتزل" بخصوص الدولة

(1) عقيلة حسين: الإستشراق والمرأة المسلمة، ص54 مرجع سابق.

(2) أبو الأعلى المودودي: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص 24 نقلا عن عقيلة، حسين: الإستشراق والمرأة المسلمة ص 56

الصهيونية التي ادعت أنها "ستكون قلعة للحضارة والديمقراطية وسط بحر الهمجية والبربرية السائدتين في الشرق"[1]

أما من أبرز الإنجازات الاستشراقية التي جاءت لصالح العرب والمسلمين فهي:

- **دراسة التراث العلمي والأدبي والثقافي العربي الإسلامي وصيانته وحفظه من الضياع والتلف:**

وذلك بفهرسة المخطوطات العربية، وتحقيقها، ونشرها والتعريف بها للرأي العام الغربي والعالمي، بأنّ هذه الأمة التي تتعرض للاستعمار والاحتلال والتمزيق هي أمة ذات حضارة عريقة تستحق الإعجاب والتقدير.

وقد كانت حركة الاستعمار والنفوذ الغربي تستهدف التجزئة والتفرقة بتشجيع اللهجات العامية ومحاولة فرضها وإتاحة السيطرة الفعلية للغات الأجنبية وقد حاول "جاك بيرك" أن يصور هذه الحركة حين قال: "إن العرب في ظل الاستعمار لجأوا لحماية هويتهم وأصالتهم إلى اللغة العربية التي ناضلت بنجاح، ليس ضد غزو اللغات الغربية المسلحة بقدرة عملية على الاتصال وحسب، وإنما ضد اللهجات التي حاول الاستعمار تغذيتها لزرع الفرقة والتجزئة[2].

ترجمة روائع الأدب العربي– قديمه وحديثه – إلى اللغات الأوربية وتقديم العرب والمسلمين للرأي العام في الغرب:

وذلك من خلال آدابهم، مما كان له الأثر في تحسين، صورتهم وهذا ما شكل مقدمة لتفهم قضاياهم، والتعاطف معهم. فالأداب خير رسول ينقل صورة أمة من الأمم إلى العالم. ولو لا جهود المستشرقين لما نقل شيء من أدبنا إلى اللغات الأجنبية، ولما عرف العالم شيئا عن ذلك الأدب، وعن الأمة التي أبدعته. وفيما

(1) عبده عبود: الأدب المقارن "مشكلات وآفاق": من منشورات إتحاد الكتاب العرب، د.ط، 1999م، ص 145

(2) أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن:. الموسوعة الإسلامية العربية "10"، دار الكتاب اللبناني – بيروت – دار الكتاب المصري " القاهرة"، د.ط، د.ت/ص 286– 287

يتعلق بهذه المسألة الجوهرية بالتحديد فإن للمستشرقين دورا لا يمكن تجاوزه، فالمترجمون الذين ينقلون الأعمال الأدبية العربية هم بالضرورة من المستشرقين الذين درسوا اللغة العربية وآدابها[1].

تعليم اللغة العربية لغير أبناءها والناطقين بها:

مما شكل قناة إضافية هامة للتعرف إلى الثقافة العربية وفهمها، فالمستشرقون هم الذين يعلمون العربية في جامعات بلادهم ومعاهدهم ومدارسهم ويطوّرون أساليب التدريس والمواد والتقنيات التعليمية اللازمة بذلك، وهم بذلك يسدون خدمة ثمينة للغة العربية، ويساعدونها في اجتياز حدودها القومية، والصمود في المنافسة الدولية بين اللغات، وهذا عمل يستحق القائمون عليه الاحترام والعرفان. وقد أحدثوا لغرض التعليم مؤسسات خاصة لهذا الغرض مثل "المجلس البريطاني" "المركز الثقافي الفرنسي" "ومعهد غوتة" – المركز الثقافي الألماني – معهد ثيريانتيس الإسباني – وهي مؤسسات تنفق عليها الحكومات المعنية مبالغ طائلة.

أثر حركة الإستشراق في اللغة العربية وآدابها:

لقد تفرغ المستشرقون للبحث، ووضعت تحت أيديهم المكتبات العامرة بالأبحاث والمخطوطات النادرة، وكلهم يعرف عدة لغات غربية وشرقية، فكان من الطبيعي أن تتسم آثارهم بسمات التحقيق والإطلاع، ومراجعة الأصول والمخطوطات. واشتهروا بتحقيقاتهم اللغوية وأبحاثهم في أصول اللغات، والساميات وتميزوا باكتشافاتهم الأثرية في بلاد العرب وتجلى أثر المستشرقين في الكتب العربية التي ألفت على نمط كتبهم وكذلك الدراسات الأدبية، وتاريخ الأدب بصورته التي نعرفها اليوم هي أثر من آثار المستشرقين، ويتضح ذلك في الكتب العربية التي ألفت على نمطهم.

---

(1) أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن:. الموسوعة الإسلامية العربية "10"/ص272 مرجع سابق

وهكذا نرى أن للمستشرقين عناية خاصة بما ينشرونه من الكتب العربية، وتمتاز منشوراتهم "بالضبط ومراجعة الأصول المتعددة من المخطوطات كما كان لهم إسهام في نقل آداب العرب إلى الغرب فمنها ما نقلوه شعرا حيث نقلوا طائفة من نخبة الشعر العربي إلى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومما نقل إلى اللاتينية "ديوان الحماسة"، ومنها ما نقلوه نثرا من كتب الأدب واللغة إلى الفرنسية مثل "أطواق الذهب" للزمخشري و"ملحمة الأعراب" و"ألف ليلة وليلة" و"مقدمة ابن خلدون"، و"مقامات الحريري"، و"الأجرومية"، و"كليلة ودمنة"، و"كتاب المستطرف" ونقلوا إلى الإنجليزية، "أدب الكاتب"، "رسالة حي بن يقظان" و"كتاب سيبويه"[1].

مواقف من الاستشراق:

يرى الباحث والمختص في ميدان الاستشراق أحمد سمايلوفيتش أنّ خصائص الاستشراق تكمن في:

1. إرهاصات الاستشراق، ظهرت قبل الميلاد، في كنف اليونان القدامى.
2. وُلِد في أحضان الحضارة الإسلامية بالأندلس، في القرن الثّامن الميلادي.
3. ترعرع في ظل الكنيسة، وعاش في حمايتها، أمدا طويلا ولا زال كذلك.
4. ساهم في تكوين النّظرية الاستعمارية، وأنشأ حركات مشبوهة لخدمته.
5. تولّدت عنه العديد من الدّراسات، والبحوث، والاكتشافات، والمواقف.
6. طرق كلّ المجالات المتعلّقة بلغات الشّرق وآدابه، وعاداته وتقاليده.
7. أقام مدارس وأكاديميات، وأنشأ الجمعيات والمجلاّت، وعقد المؤتمرات.
8. نقّب عن المخطوطات وحقّق عددا كبيرا منها ونقلها إلى المكتبات الغربية.
9. وضع الفهارس للكتب العربية المتواجدة في المكتبات الغربية، ونظّمها.
10. امتاز أصحابه بمعرفتهم لأكثر من لغة، وبسعة ثقافتهم، وتنوّع معارفهم.
11. أثار قضايا فكرية، وخلافات مذهبية أو قومية، ومعضلات فلسفية[2].

---

(1) جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية- موفم للنشر- الجزائر، ج4: 1994ب ط ص292- 293

(2) أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق / ص 104- 107 م س

بينما ينظر محمّد الدّسوقي إلى الاستشراق بمنظار آخر فهو في مقال له نشره في مجلة الحضارة الإسلامية تحت عنوان: تقويم الفكر الاستشراقي أو الفكر الاستشراقي في ميزان النّقد العلمي. يعرف الاستشراق تعريفا موجزا ويرى "أنّ المفهوم ينسحب على كلّ فكر غير إسلامي، بحث ودرس التّراث الإسلامي"[1] ثمّ يتناول آراء الباحثين العرب حول الاستشراق فوجدها لا تخرج عن ثلاثة اتجاهات، هي:

1. المُفْرِطون في الثناء عليه.
2. الرّافضون له.
3. المعتدلون بين الرّفض والقبول.

وفي معرض حديثه عن المفرطين، ذهب إلى أنّهم يُجمعون على أنّ فضل المستشرقين يتمثل في أمرين[2]:

أ) فهرسة المخطوطات ونشرها.

ب) توجيه الفكر الإسلامي إلى الأخذ بالمنهج العلمي في البحث والدّراسة.

وللتّدليل على ذلك أخذ يسرد شهادات بعض الباحثين العرب، الخّص منها ما يلي:

- رأي الأستاذ محمّد كرد علي في مجهودات المستشرقين، الّذين أسدوا إلينا خدمات أياديهم البيضاء، فهم –عنده– مهما كانت نيّاتهم، قد أفادوا العرب والعربية؛ ممّا يفرض علينا الاعتراف لهم بالفضل[3].

---

(1) محمّد الدّسوقي، تقويم الفكر الاستشراقي أو الفكر الاستشراقي في ميزان النّقد العلمي،، .. مجلّة الحضارة الإسلامية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، العدد 7، السنة 2001/ ص 99.

(2) المرجع نفسه، ص100

(3) محمّد الدّسوقي، تقويم الفكر الاستشراقي أو الفكر الاستشراقي في ميزان النّقد العلمي ص101.

- كما جاء في كتاب (المنتقى من دراسات المستشرقين) لصلاح الدين المنجد: "إنّ المستشرقين طرقوا كل ناحية من نواحي ثقافتنا... متبعين في دراساتهم وأبحاثهم طرق البحث المنهجي المنظم"[1].
- ويستشهد الدّسوقي بمقتطف من كتاب(في الأدب الجاهلي) لطه حسين الّذي يقول:"وكيف نتصور أستاذا للأدب العربي لا يُلِمُّ ولا يُنتظر أن يُلِمَّ بما انتهى إليه الفرنج (المستشرقون) من النّتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة، وإنّما يُلتمَس العلم الآن عند هؤلاء النّاس، ولابد من التماسه عندهم حتّى يُتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ونطير بأجنحتنا، ونستردّ ما غلبنا عليه هؤلاء النّاس من علومنا وآدابنا وتاريخنا"[2].
- ويورد الكاتبُ لزكي مبارك قوله: "وليس لديّ ما يمنع من الاعتراف بأنّ أثر المستشرقين أبقى في ذهني وأوضح، وأن فضلهم على اظهر وأرجح"[3]. فزكي مبارك، مع إقراره بأخطاء المستشرقين، فإنّه –حسب الكاتب– يرى لهم فضلا كبيرا في نشر الكثير من التراث الإسلامي.

وبعد بيان آراء المادحين للاستشراق والمستشرقين، ينتقل الدسوقي إلى الحديث عن الذين لا يرون لهم أيّ فضل، بل يرون في الاستشراق، إساءة للتراث الإسلامي، وأنّه عمل مخطّط مدروس يسعى إلى إضعاف الطّاقة الإسلامية، ويأتي بمجموعة من آراء هؤلاء:

- يذكر إجابةً لمالك بن نبي عن سؤال(حول سبب نقل تراثنا إلى الغرب) إذ أجاب: بقوله: "في الماضي كان لتعديل ثقافي، ثم استغله في العصر الحديث لتعديل سياسي". ويرى الدسوقي أنّه يقصد أنّ علوم المسلمين هي التي أخرجت الغرب من ظلمات العصور الوسطى.

---

(1) المرجع نفسه ص 102.

(2) طه حسين: في الأدب الجاهلي نقلا عن الدسوقي، ص103.

(3) زكي مبارك: نفع المستشرقين أكثر من ضررهم. مجلة الهلال، العدد 3، سنة1933، ص321

- كما يسرد مجموعة أخرى من الآراء في هذا الباب دون التّصريح بأسماء أصحابها، غير أنّه يحيل عليهم في الهامش، من هؤلاء نذكر: العقاد في "مطالعات"، وفؤاد سزكين في "محاضرات في تاريخ العلوم عند العرب"، وأنور الجندي في "الإسلام والدّعوات الهدّامة" وغيرهم[1].
- ويناقش الدّسوقي رأيا لعائشة بنت الشاطئ، ويخلص منه إلى أنّها قرّرت حقيقة تاريخية في كون المستشرقين نقلوا تراثنا، وفهرسوه، ثم نشروا بعضه، وهي ترى أنّهم اعتمدوا أدقّ المناهج، غير أنّها لا تعزو ذلك إلى حبّهم للشّرق، ولا بغية خدمة تراثه، وإنّما كان الهدف من وراء ذلك هو خدمة مصالحهم[2] ثمّ يتحدّث عن علاقة الاستشراق بالمسلمين، ويجد أنّه مرّ بمرحلتين[3]:

1. المرحلة الأولى:

وتبدأ من اللّحظات الأولى للاستشراق إلى غاية ظهور الاستعمار المسلّح، وقد عمل فيها الفكر الاستشراقي على تقديم الإسلام في صورة منفّرة، وفي هذا الظّرف بالذّات لم يكن للمسلمين اهتمام بما يدور من نشاط فكري بين المستشرقين، ولم يكن أولئك الرّحالة من أوروبا، في نظر المسلمين إلاّ طلاّب علم.

2. المرحلة الثانية:

وتبدأ بالغزو الأوروبي للعالم الإسلامي، وبسط نفوذه عليه، إذ أخذ الفكر الاستشراقي يكوّن النّخب في العالم الإسلامي من أبناء المسلمين الذين سيقومون بدور فعّال في بث أفكاره، وتَمَظْهَرَ ذلك جليّا في البعثات الطّلابية إلى أوروبا، وهنا يستشهد الدّسوقي بكلام لعمر فروخ، جاء فيه: "أنا أعرف أشخاصا درسوا في فرنسا وفي غير فرنسا، ثمّ عادوا إلى بيروت وإلى غير بيروت، فوجدوا مناصب تنتظرهم، قد

(1) زكي مبارك: نفع المستشرقين أكثر من ضررهم، ص 105.
(2) محمد الدّسوقي، تقويم الفكر الاستشراقي أو الفكر الاستشراقي في ميزان النّقد العلمي 110. م س
(3) المرجع نفسه/ ص 111 ــ 134.

فعلوا ما عجز المستشرقون والمنصّرون عن تنفيذه، وزادوا في الشّر على ما كان المستشرقون والمنصّرون يريدونه"[1].

ويتساءل الباحث في نهاية بحثه بقوله: أليس للاستشراق...جانب إيجابي؟.ويجيب بأنّ بعض المستشرقين قالوا في الإسلام كلمة حقّ غير أنّهم قلّة وصوتهم غلب عليه ضجيج المناوئين الحاقدين على الإسلام.

ثمّ يستخلص في الأخير أنّ الفكر الاستشراقي في جملته لم يكن علميّا ولا خالصا لوجه الحقّ والإنصاف، لأسباب يمكن إيجازها فيما يلي[2]:

- رعاية كلّ من الكنيسة والاستعمار للاستشراق عبر كل مراحل تطوّره.
- نشأته في أحضان الرّهبان والقساوسة، واهتمامه بالأباطيل والسّخافات.
- مجافاة المنهج العلمي في الزّعم ببشرية القرآن، وعدم صدق الرّسول ص.
- إهمال المصادر الإسلامية الأصيلة والاحتفاء بغيرها من المصادر المشبوهة.
- التّظاهر بالموضوعية والتّجرّد، ثمّ دس السّم في الدّسم، بالتمويه والتّلبيس.

ويقرّر الدّسوقي في النّهاية أنّ الاستشراق لم يتخلّ عن الطّعن في الإسلام، وتلمّس مواطن الضّعف للهجوم عليه، رغم تخلّيه أحيانا عن بعض الأكاذيب والنّعوت الحادّة[3].

أمّا العيّنة الثّالثة فيمثلها الكتاب الّذي أثار تحوّلا في نقد الاستشراق حتّى قيل في صاحبه: "لو لم يكتب إدوارد سعيد غير كتابه "الاستشراق" الصادر عام 1978 لكفاه ذلك شرفا؛ فقد كان كتابا فارقا في منهجه وأثره عن كل ما سبقه وكثير ممّا لحقه من معالجة لموضوع الاستشراق وظلّ بعد مرور ربع قرن على صدوره محتفظا بأهميته ومصدرا لمعرفة تأسيسية ظاهرة الاستشراق في أسبابها

(1) عمر فروخ: المستشرقون:مالهم وما عليهم.(الاستشراق) سلسلة كتب الثقافة المقارنة، بغداد، العدد1، ص39 مرجع سابق
(2) محمّد الدّسوقي، تقويم الفكر الاستشراقي أو الفكر الاستشراقي في ميزان النّقد العلمي، ص134مرجع سابق ـ137.
(3) محمّد الدّسوقي، تقويم الفكر الاستشراقي أو الفكر الاستشراقي في ميزان النّقد العلمي، ص 138.

وتحولاتها وتجلياتها ووظيفتها الثقافية والسياسية، في تحديد هوية الغرب وتبرير موقفه من الشرق"[1].

جاء الكتاب في مقدّمة وثلاثة فصول، ضمّتها (366) ثلاثمئة وستّ وستون صفحة، ففي المقدّمة يشير الكاتب إلى المدلول الجامعي للاستشراق، فيقول: "أعني بالاستشراق عددا من الأشياء هي جميعا، في رأيي، متبادلة الاعتماد. إنّ الدّلالة الأكثر تقبّلاً للاستشراق دلالة جامعية(أكاديمية). وبالفعل فإنّ الملصقة لا تزال مستخدمة في عدد من المؤسسات الجامعية"[2]. وهناك دلالة أخرى للاستشراق بوصفه أسلوبا من الفكر القائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشّرق والغرب. يقول سعيد"ويرتبط بهذا التراث الجامعي...معنى أكثر عمومية للاستشراق. فالاستشراق أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي(انطولوجي) ومعرفي (ابستمولوجي)، بين الشّرق وفي (أغلب الأحيان) الغرب"[3]. وقد لاحظ سعيد أنّ جمعا كبيرا من المهتمين الغربيين قبل بهذا التّقسيم، فيضيف قائلا:"وقد تقبّل هذا التمييز الأساسي، بين الشرق والغرب جمهور كبير جدّا من الكتّاب الغربيين وبينهم شعراء وروائيون وفلاسفة ومنظّرون سياسيون واقتصاديون، وإداريون استعماريون"[4]. أمّا الدّلالة الثّالثة فقد حدّدها بقوله:"الاستشراق أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وتحقيق السيادة عليه"[5].

أمّا في الفصل الأول، فيتطرّق إدوارد سعيد إلى نشأة الاستشراق ومراحل نموه ومن خلال وصفه للعلاقة بين الشرق والغرب، يرى أنّ الإسلام ظلّ بالنّسبة لأوروبا مصدر قلق دائم وخطر مستمر، وأنّ الاجتياح الفائق الّذي سجّله الإسلام لم يمكّن أوروبا من إظهار تفاعل إيجابي، سوى الخوف من هذا الكيان الثّائر على الأوضاع الفاسدة آنذاك، والشّعور بالرّهبة منه. ولم يهتم المؤلّفون المسيحيون الّذين

(1) أيمن شرف "الاستشراق".. معركة مع المعرفة حين تصبح سلطة.http:/ /www islamoline.net.l

(2) إدوارد سعيد: الاستشراق(المعرفة. السلطة. الإنشاء) ص38. م س

(3) م س، ص38.

(4) إدوارد سعيد: الاستشراق (المعرفة. السلطة. الإنشاء) ص38.

(5) إدوارد سعيد: الاستشراق (المعرفة. السلطة. الإنشاء) 39.

عاصروا الفتوحات الإسلامية بما أنتجه الإسلام من علم، ونتيجة لذلك ظهر ميل ثابت لدى رجال الكنيسة خلال العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة لخلق هوّة بين الأوروبيين والعقيدة الإسلامية النّابعة من القرآن، والّتي كانت قادرة على إقناع المسيحيين[1]. وبعد هذا، يقسّم سعيد الفصل إلى أربعة مباحث كالتّالي:

1. التّعرّف على الشّرق: وهنا يشير إلى العلاقة بين المعرفة والقوّة، فالمعرفة حينما تُوضع حيز التّطبيق تصبح سلطة قويّة، و" ليس ثمّة من قائمة نظرية تسرد خصائص الشّرقيين إلاّ وتطبّق على سلوك الشّرقيين في العالم الفعلي"[2].
2. شَرْقَنَةُ الشّرق: وهنا، يحاول أن يؤكّد أنّ الشّرق في أدبيات المستشرقين ليس دوما كما هو في الواقع، بل كما صوّره المستشرقون أنفسهم، ويستدل على ذلك بكلام لدانييل حيث يقول:"أصبح الإسلام صورة لم تكن وظيفتها أن تمثّل الإسلام في ذاته بقدر ما كانت تمثيلَ الإسلام للمسيحي القروسطي[*]"[3].
3. مشاريــع: ويدخل في سياق هذه المشاريع كلّ ما خطّط له الاستعمار ونفذه، والشّرق على هذا الأساس، لم يعد مفهوما جغرافيا، بل إنّ: "مفهوم (الشّرق) يصبح مفهوما إداريا أو تنفيذيا، يغدو خاضعا للعوامل السّكانية، والاقتصادية والاجتماعية"[4].
4. أزمــات: يرى إدوارد سعيد أنّ الاستشراق، وبدايةً من عشرينيات القرن العشرين، وقع في أزمات، ولم يحصر إدوارد سبب الأزمة في أثر الحركات الوطنية، بل أسند الخيبة أيضا إلى ما لحق بالمناهج والتّصوّرات[5].

أمّا الفصل الثّاني فقد خصّصه للحديث عن البنى الاستشراقية، وإعادة خلق البنى، وهنا يركّز على المراحل الأولى الّتي كوّنت الاستشراق الحديث،

(1) م ن ص 40 – 60.

(2) م ن ص 79.

(*) مصطلح القروسطي: العصور الوسطى وقد استعمل المترجم هذا المصطلح.

(3) إدوارد سعيد: الاستشراق ص128.

(4) إدوارد سعيد: الاستشراق، ص117.

(5) إدوارد سعيد: الاستشراق ص 128.

وعناصر انبعاثه بشكل جديد، وحدّد هذه العناصر قائلا:" تشكّل العناصر الأربعة الّتي وصفتها: التوسّع، المجابهة التّاريخية، التّعاطف، التّصنيف – التّيارات الفكرية في القرن الثامن عشر الّتي تعتمد عليها البنى الفكرية والمؤسساتية للاستشراق"[1].

ويشير في نهاية هذا الفصل إلى صراع المصالح في الشرق بين البريطانيين والفرنسيين؛ فتَحْتَ ذريعة حماية الأقليات، عمل كلّ طرف على التّدخل في الشرق لحماية مصالحه فيه."ففي العام1860، أثناء الصّدامات بين الموارنة والدّروز في لبنان دعمت فرنسا المسيحيين، بينما دعمت انجلترا الدروز، ذلك أنّ ما كان يقف في المركز من السّياسة الأوروبية في المشرق بأكمله هو مسألة الأقليات...[و قد] خُطّط لها، وتؤمر عليها من قِبَلِ القوى الأوروبية الّتي كانت ترتجل، كما كانت تصوغ وتبني، سياساتها الشّرقية"[2].

وفي الفصل الثّالث الّذي جاء تحت عنوان (الاستشراق الآن)، يتحدّث إدوارد سعيد عن الاستشراق الكامن والظّاهر، وعن دنيوية الاستشراق، ثمّ يتفحّص الاستشراق الأنجلو. فرنسي الحديث في ذروة ازدهاره، ليختم بالحديث عن الاستشراق الأمريكي المعاصر، فبعد ما وصف حقائق الاستشراق بأنّها " مثل أيّة حقائق أخرى تنقلها اللّغة، متجسّدة في اللّغة؛ وأيّ حقيقة هي حقيقة اللّغة..."[3] فبعد هذا، وبناء عل دور اللّغة في تجسيد الحقائق، أو إخفائها، ينتهي إلى "أنّ الشّرق من حيث وُجِدَ في وعي الغرب، كان لفظة تنامَى لها فيما بعد حقل واسع من المعاني والتّرابطات والتّضمينات، وأنّ هذه جميعا لم تكن تشير بالضّرورة إلى الشّرق الحقيقي، بل إلى الحقل المحيط باللّفظة"[4].

ويبدو لي أنّ أهمّ ما لفت سعيدُ النّظرَ إليه في هذا المبحث من الفصل الثّالث هو الفرق بين مظهرين من الاستشراق: استشراق ظاهر وهو الّذي يُعَبَّر فيه عن

(1) م ن ص 143

(2) م ن ص204.

(3) إدوارد سعيد:الاستشراق، ص214.

(4) م ن، ص 215.

الآراء المتعلّقة بكلّ مكوّنات المجتمع، وتتميّز آراؤه بالمرونة والمداراة. أمّا المظهر الثّاني فهو استشراق كامن، وهو الّذي يتميّز بـ (الإجماعية، والاستقرار، والثّبات)، كما نبّه الكاتب على أثر ذلك في ما يكتب عن العرب والمسلمين، وضرب لذلك أمثلة كثيرة حول وصف المستشرقين للقرآن والرّسول محمّد صلى الله عليه وسلم[1]، هكذا فإنّ الاستشراق –حين يُنظر إليه من زوايا مختلفة– يبدو ظاهرةً مثيرة وموضوعًا خطيرا، واستراتيجية محكمة، وهو معرفة واسعة، وسلطة قويّة، وإنشاء وتأليف وخلق لصورة الشّرق، كما يريده؛ وليس غريبا، بعد هذا، أن نجد من يسجّل أنّه: "تُقدّر الأبحاث والكتب التي كتبها المستشرقون عن الإسلام، في الفترة من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين، بنحو ستين ألف كتاب!!"[2] فلِمَ كلّ هذا الاهتمام؟

إنّ الاستشراق يرمي من وراء ذلك إلى غايتين[3]:

1. حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام، فيؤمن به...
2. معرفة الشرق، ودراسة أرضه، ومياهه، وطقسه، وجباله وأنهاره، وزروعه... وثماره، وأهله، ورجاله، وعلمه وعلمائه، ودينه، وعقائده، وعاداته، وتقاليده، ولغاته و... و... كل ذلك لكي يعرف كيف يصل إليه.

(1) إدوارد سعيد:الاستشراق، ص 252 ـــ 325.

(2) عبد العظيم الديب، الاستشراق في الميزان...http://forum.rayaheen.net تاريخ الرسالة:2003/09/25.

(3) م ن

المدارس الاستشراقية الهامة:

لعل أهم ما يميز الدراسات الاستشراقية بعد عملها في ميدان الشرق، أنها بأعمالها في مختلف الميادين العلمية أخذت تتشكل وتتقوى لتصبح فيما بعد مدارس، لها رجالها الذين يسندونها ويصنعون شهرتها.

لقد أحصى الأستاذ نجيب العقيقي في كتابه (المستشرقون) عشرين مدرسة استشراقية، فرنسا، إيطاليا، انجلترا، اسبانيا، البرتغال، النمسا، هولندا، ألمانيا، بولونيا، الدانمارك، روسيا، سويسرا، السويد، المجر، الولايات المتحدة الأمريكية، بلجيكا تشيكوسلوفاكيا، فلندا رومانيا، يوغسلافيا[1].

غير أننا اكتفينا بذكر أهم المدارس الاستشراقية الكبيرة، بحكم قدمها في ميدان العمل الاستشراقي، وصلة هذه المدارس بالشرق من جهة. واحتواءها على أكبر الكراسي للغات الشرقية التي اهتمت باللغة والأدب العربي من جهة ثانية.

- **المدرسة الإيطالية:**

لا بد من البدء في إيطاليا، ذلك أنها مهد الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، فقد كان البابوات هم الذين وجهوا إلى دراسة اللغة العربية، ومن هنا صدر القرار البابوي بإنشاء ستة كراسٍ لتعليم اللغة العربية في باريس ونابولي وسالونيكا وغيرها، وقد تعاون مجموعة من نصارى الشام مع الكنيسة الكاثوليكية لنشر الديانة الكاثوليكية في المشرق، وقد بدأ هذا التعاون باتحاد الكنيستين المارونية والكاثوليكية عام 1575م، وقام المارونيون بترجمة العديد من كتب اللاهوت إلى اللغة العربية.

نجد – في كتاب مستشرقو المدرسة الإيطالية "البحث عن الشرق" لـ كارولين جولر– ترجمة لكثير من المستشرقين الإيطاليين لقد بلغ عددهم سبعا

(1) للمزيد يمكن الرجوع إلى كتاب نجيب العقيقي "المستشرقون"

وأربعين مهتما بالشرق، وهذا بين رسام وأديب ورحالة، وهذا يكشف مدى أهمية الشرق في الثقافة الإيطالية، فربما ينبع ذلك من مكانة روما في قلوب المسيحيين والدور التاريخي الذي لعبته خلال الحروب الصليبية، فمما يذكر أنّ فيليبو باراتي الذي عمل بين 1868–1901 الذي تعتبر من أوائل تيمته "الإسلامية" لوحة معروفة باسم "الاستسلام" مؤرخة عام 1879 تدور أحداثها في قاعة ابن السراج في قصر الحمراء في غرناطة، وعلى الرغم من أنّ هذا القصر وفر المادة الزخرفية للعديد من الآثار الفنية التي تتناول الاحتلال العربي لإسبانيا"[1]، ولعل هذا الاختيار نابع من خلفية الحروب الصليبية ومن منظور استشراقي تشبّع بروح الكنيسة وفيما يأتي بعض أعلام المدرسة الاستشراقية الإيطالية:

1) ديفيد سانتيلانا (1931–1855) David Santillana

ولد في تونس، حصل على الدكتوراه في القانون من جامعة روما وتخصص في الفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية، أسهم في وضع القانونين المدني والتجاري بالاعتماد على الشريعة الإسلامية، عمل في الجامعة المصرية أستاذاً لتاريخ الفلسفة، ثم عمل في جامعة روما أستاذاً للقانون الإسلامي، له العديد من الآثار في مجال الفقه والقانون المقارن.

2) الأمير ليوني كايتاني Caetani Leone (1869– 1926)

من أبرز المستشرقين الإيطاليين، فقد كان يتقن عدة لغات منها العربية والفارسية، عمل سفيراً لبلاده في الولايات المتحدة، زار الكثير من البلدان الشرقية منها الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان، من أبرز مؤلفاته حوليات الإسلام المكون من عشرة مجلدات تناولت تاريخ الإسلام حتى عام 35هـ. وأنفق كثيراً من أمواله على البعثات العلمية لدراسة المنطقة، يعد كتابه الحوليات مرجعاً مهماً لكثير من المستشرقين.

(1) جولر كارولين:مستشرقو المدرسة الإيطالية "البحث عن الشرق"، تر/رانيا قرداحي –دار المدى– دمشق، ط1 2005ص 29.

3) المستشرق كارلو نيللو:(1938 –1872) Carlo Alfonso Nallino

"مستشرق ايطالي عظيم" حسب بدوي "فقد ولد كارلو الفونسو ناليلو بمدينة تورينو، كان له منذ طفولته ولع بالجغرافيا، فأقبل على ما كان يكتب فيها يقرؤه بشغف شديد، وبخاصة كتب الأسفار، التي استهوت خيال الطفل، فجعلته يحلم بأن يصير في يوم ما من الأيام رحالة مغامرا"[1]، وقد شغل قرابة عشر سنوات المنبر العربي في جامعة بالرمو، عاصمة صقلية، وله جهود مثمرة في دراسة صقلية الاسلامية. وكان فيه نهم صوفي عجيب للاطلاع على ما يتعلق بالعرب الذين وقف عليهم جهوده كلها يقول نالينو لأحد زملائه في بالرمو: "لا يحوّلني عن دراسة العلوم العربية شيء ما، فإني أحاول ان أعرف كل شيء عن العرب"[2] و دعي من قبل الجامعة المصرية محاضراً في الفلك ثم في الأدب العربي ثم في تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام.

- المدرسة الفرنسية:

اتصال فرنسا بالشرق:

تعد المدرسة الفرنسية من أهم المدارس الاستشراقية. وبخاصة منذ إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795م. والتي كان رأسها المستشرق المشهور سلفستر دي ساسي، وقد عدّ هذا المستشرق عميدا للاستشراق الأوروبي في النصف الأول من القرن التاسع عشر دون منافس[3].

ويقول السامرائي عن كتاب ساسي في قواعد اللغة العربية إنّه "قد لوّن الاستشراق الأوروبي بصبغة فرنسية، "أما اهتمامات دي ساسي فقد تنوعت حيث

---

(1) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين- دار العلم للملايين- بيروت، ط2، ص408- 409

(2) أحمد غلبي، :طه حسين رجل وفكر وعصر-دار الاداب -بيروت، ط1، 1985 ص225- 226 الهامش.

(3) للمزيد من التفاصيل يمكن العودة الى كتاب نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية لساسي سالم الحاج ص 107 م س وكتاب فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر لحمد سمايلوفيش ص 222 م س

شملت اللغة العربية وآدابها والتاريخ والفرق والجغرافيا، وهي فترة كما يقول السامرائي افتقدت إلى التخصص، حيث كان المستشرق بمجرد دخوله هذا المجال يظن أنه يستطيع أن يكتب في كل ما يخص الإسلام والمسلمين. ولكن هذا النمط استمر كثيراً بعد هذه الفترة حتى يومنا هذا[1].

نشأت صلات فرنسا بالشرق الأدنى منذ أن غزا العرب مقاطعات منها – ووصولهم إلى بواتيه Poitiers " واستمرت في محاولة تعاون الرشيد وشارلمان على الخلافة الأموية في قرطبة، والإمبراطورية البيزنطية والقسطنطينية وقيام الحروب الصليبية 1096– 1291م. وإنشاء طرق للتجارة، وتبادل السفراء، وتوالي الرحلات، واحتلال شمال إفريقيا 1830– 1962م، وحملة نابليون على مصر 1798– 1801، وفتح قناة السويس 1956، والانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان 1920– 1947م.

ونشط الاستشراق الفرنسي قبل الحملة الفرنسية على مصر وبعدها: فقد اصطحب نابليون معه عدداً كبيراً من العلماء في المجالات المختلفة، ليجعل المسلمين وعلماءهم ينبهرون بالحضارة الغربية، وحتى يزداد تعمقاً في دراسة أوضاع المجتمعات الإسلامية، وقد صدر عن هذه الحملة كتاباً ضخما بعنوان (وصف مصر).

وقد استمر نفوذ الاستشراق الفرنسي بعد وصول محمد علي إلى السلطة.فبدأت البعثات العلمية في عهده، وكانت تحت إشراف المستشرق الفرنسي جومار، وأرسلت تركيا وإيران والمغرب الأقصى بعثات مماثلة، وفي يقول الأستاذ محمد الصباغ عن الابتعاث ومخاطره أن السبب في أن أولى البعثات العلمية قد توجهت إلى فرنسا، أنها كانت أول الدول الأوروبية التي اتخذت العلمانية منهج حياة، وأن الفساد الأخلاقي كان ينتشر فيها أكثر من غيرها من الدول الأوروبية.

(1) الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقية في جامعة الإمام للسامرائي 1408ص9 وكذلك كتاب نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية لساسي سالم الحاج ص 107 م س وكتاب فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر لحمد سمايلوفيتش ص 222

ولقد كانت الصلات متعددة ومتنوعة اختلطت فيها: الحرب بالسلم، والتجارة بالثقافة جميعا[1].

أثر الشرق في الأدب الفرنسي:

تأثر الأدب الفرنسي ببعض التيارات التي انتهت إليه من الشرق، ولا سيما الشرق العربي. وفي العصر الذهبي اشتق " كورناي " GORNEILLE مسرحية "السيد" 1632م من الاسبانية وفيها بعض حياة العرب، وكتب موليير Molière سنة 1670 "البرجوازي الظريف" وهي أول مسرحية عن الشرق، وترجم أنطوان جالان Antoine Galland ألف ليلة وليلة في اثنتي عشر مجلدا (1704-1708).

وكانت ألف ليلة وليلة أكثر الكتب تداولا بين القراء، وسعى أدباء فرنسا لمحاكاتها فكتب دي لاكرو DELAKRO قصة ألف يوم ويوم (باريس 1710-1712م) وهكذا ظلت الموضوعات الشرقية غذاء للأدب الفرنسي فوجا كاملا[2].

- بعض أعلام المستشرقين الفرنسيين:

1) انطوان جالان ANTOINE GALLAND (1646 -1715)

ولد في (رولدي) درس العربية في معهد فرنسا، "حضر دروس اللغات الشرقية في كوليج دي فرانس وسافر إلى استنبول للعمل بالسفارة، وهناك أتقن معارفه عن الشرق. وعاد بمجموعة نفيسة من النقود القديمة"[3] وبعد ان أصاب منها شيئا انتدب أستاذا للعربية في معهد فرنسا سنة 1807م، انتخب عضوا في مجامع علمية كثيرة.

(1) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، ص01،مصدر سابق

(2) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1: ج1، ص168- 174- 179- 182- 198- مصدر سابق312

(3) عبد الحميد حمدان: صالح طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي- ب ط /ب ت ص 22

آثاره:

كلمات مأثورة عن الشرقيين (باريس 1694م) أول مترجم لألف ليلة وليلة، وأمثال لقمان (1704– 1708)

2) سيلفستر دي ساسي Silvester de Sacy (1758م– 1838م)

ولد في باريس عام1758م، وتعلم اللاتينية واليونانية ثم درس على بعض القساوسة منهم القس مور والأب بارتارو، ثم درس العربية والفارسية والتركية. عمل في نشر المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، وكتب العديد من البحوث حول العرب وآدابهم وحقق عدداً من المخطوطات.

عين أستاذا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية عام 1795م وأعد كتاباً في النحو، ترجم إلى الإنجليزية والألمانية والدنماركية، وأصبح مديراً لهذه المدرسة عام 1833م، وعندما تأسست الجمعية الآسيوية انتخب رئيساً لها عام 1822م.

ومن أبرز اهتماماته "الدروز"، حيث ألّف كتاباً حولهم في جزأين، أصبحت فرنسا في عهده قبلة المستشرقين من جميع أنحاء القارة الأوروبية. ويقول أحد الباحثين إنّ الاستشراق اصطبغ بالصبغة الفرنسية في عصره، عمل دي ساسي مع الحكومة الفرنسية، وهو الذي ترجم البيانات التي نشرت عند احتلال الجزائر وكذلك عند احتلال مصر من قبل حملة نابليون عام 1797م، ومما كتبه:

مقامات الحريري – حققها وطبعها لأول مرة دي ساسي، على حسابه الخاص في المطبعة الامبرطورية 1812، وزوّدها بشرح بالعربية. ولا تزال هذه النشرة هي النشرة النقدية الوحيدة لهذا الكتاب.

- الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار" تأليف موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، النص العربي مع ترجمة فرنسية وتعليقات مستفيضة جدا في غاية الأهمية، Relation de l EGYPTE Par Abd al– Latif1810
- كليلة ودمنة تحقيق 1816
- بند نامه تحقيق وترجمة فرنسية 1819
- ترجمة فصول من كتاب"روضة الصفاء" تأليف ميرخاوند بن برهان الدين خاوند شاه، وظهرت الترجمة في Journal des Savants 1738[1]

3) لوي ماسنيون Louis Massingon (1883م– 1962م)

ولد في باريس وحصل على دبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب، كما حصل على دبلوم اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية الحية (فصحى وعامية) زار كلاً من الجزائر والمغرب، وفي الجزائر انعقدت الصلة بينه وبين بعض كبار المستشرقين مثل جولدزيهر وآسين بلاثيوس وسنوك هورخرونيه ولي شاتيليه. التحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة عدة أعوام (1907م– 1908م)، وفي عام 1909م عاد إلى مصر وهناك حضر بعض دروس الأزهر وكان مرتدياً الزي الأزهري، زار العديد من البلاد الإسلامية منها الحجاز والقاهرة والقدس ولبنان وتركيا، عمل معيداً في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا (1919م– 1924م) وأصبح أستاذ كرسي (1926م– 1954م) ومديراً للدراسات في المدرسة العلمية العليا حتى تقاعده عام1954م.

ولما انشئ المجمع اللغوي(مجمع اللغة العربية الآن)في 1933عين عضوا عاملا حتى 1956ثم عضوا مراسلا من 1957حتى وفاته.

تولى تحرير "مجلة العالم الإسلامي RMMفي 1919 وكان كما رأينا يوالي الكتابة فيها منذ 1908، وأصبح مديرا لها في 1927[2]، لقد اشتهر ماسنيون

(1) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص 232 م س

(2) م ن ص367 م س

باهتمامه بالتصوف الإسلامي وبخاصة بالحلاج حيث حقّق ديوان الحلاج (الطواسين) وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان (الام الحلاج شهيد التصوف) في جزأين وقد نشرت في كتاب تزيد صفحاته على ألف صفحة (ترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية) وله اهتمام بالشيعة والتشيع، وعرف عن لويس صلته بالحكومة الفرنسية. وتقديمه المشورة لها.

4) ريجيس بلاشير R.L. Blacher (1900م– 1973م):

ولد في مونت روج في ضواحي باريس سنة 1900 وتلقى علومه الثانوية في مدينة الدار البيضاء "مراكش" و تعلم العربية في كلية الآداب بالجزائر حيث أجيز منها سنة 1922. وعين أستاذا في معهد مولاي يوسف بالرباط "مراكش" ونال شهادة التفوق "الأكركاسيون" سنة 1924 وانتدب مديرا لمعهد الدراسات العليا المراكشية، ثم عين مدرسا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس سنة 1935 ونال شهادة الدكتوراه برسالة عن الشاعر المتنبي سنة 1936

وعين سنة 1938 أستاذا في جامعة الصوربون، وقد تخرج على يديه كثير من الطلاب الشرقيين فأكبروا فيه العلم الغزير والروح العلمية المجردة والتحقيق الواسع[1].

من ابرز إنتاجه ترجمته لمعاني القرآن الكريم وكذلك كتابه (تاريخ الأدب العربي) في جزأين وترجمه إلى العربية إبراهيم الكيلاني، وله أيضاً كتاب (ابو الطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي. المتبني ونقاده 1930م، عن المتنبي في دائرة المعارف الإسلامية، تعليق على ديوان المتنبي، حوليات معهد الدراسات الشرقية 1938م ومجمل شاعرية العرب الدراسة العلمية 1938م واهم مواضع شعر الغزل على عهد الأمويين بدمشق، حوليات معهد الدراسات الشرقية 1939م[2].

(1) ريجيس بلاشير.: تاريخ الأدب العربي.ترجمة: د.إبراهيم الكيلاني.الدار التونسية للنشر، سنة 1986م. ج1.ط1.ص:06

(2) نجيب العقيقي:المستشرقون.ص:420. م س

وإضافة إلى هذه المؤلفات فإننا نجد كتاب قواعد اللغة العربية بالفرنسية ومنتخبات من جغرافي العرب في القرون الوسطى، وترجمة القرآن الكريم في ثلاثة مجلدات مع مقدمة مسهبة مستقلة، وترجمة لطبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي، وكتابا عن حياة محمد(صلى الله عليه وسلم) إلى غير ذلك من الأبحاث والمقالات الأدبية والتاريخية المنشورة في المجلات الشرقية والغربية[1].

5) مكسيم رودنسونRodinson Maxim 1915م:

ولد في باريس في 26 يناير 1915م، وحصل على الدكتوراه في الآداب ثم على شهادة من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية والمدرسة العلمية العليا، تولى العديد من المناصب العلمية في كل من سوريا ولبنان في المعاهد التابعة للحكومة الفرنسية هناك، تولى منصب مدير الدراسات في المدرسة العلمية للدراسات العليا قسم العلوم التاريخية واللغوية ثم محاضراً فيها بقسم العلوم الاقتصادية والاجتماعية، نال العديد من الأوسمة والجوائز من الجهات العلمية الفرنسة والأوروبية.

له العديد من المؤلفات منها (الإسلام والراسمالية) و(جاذبية الإسلام) و(محمد) و(إسرائيل والرفض العربي)، وله العديد من الدراسات التاريخية والتاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي.

6) جاك بيرك Jacque Berque(1910- 1995):

ولد بارك Berque في الجزائر عام 1910م. ودرس في السربون ثم عمل بعد ذلك في المغرب وقد لاحظ الصلة الوثيقة التي تربط بين الفرنسيين والعرب في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، كما كان لأدائه للخدمة العسكرية الفضل في الاطلاع على الجانب الآخر من الحياة في المغرب مما أفاده كثيرا في دراسته لعلم الاجتماع.

---

(1) ريجيس بلاشير، : تاريخ الأدب العربي، ..تر/ إبراهيم الكيلاني،ص:07.م س.

وتعد رسالته التي تناول فيها الأسس الاجتماعية في أطلس العليا خطوة هامة بالنسبة للتطور الفكري في مجال الدراسات الشرقية فقد اتبع فيها منهجا واضحا وتوصل إلى نتائج ذات أثر فعال ليس فقط على الدارسين والباحثين ولكن أيضا على عامة الشعب إذ بدأت أوربا كلها تهتم بشؤون العرب وحياتهم.

وقد غادر بارك المغرب متوجها إلى القاهرة في أغسطس 1952ثم إلى لبنان وفي عام 1956 سافر إلى فرنسا شغل كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في كوليج دي فرانسCollege de France طوال ربع القرن. وكانت له علاقات وطيدة مع المثقفين العرب في المغرب والمشرق.

وظل يعمل بعد تقاعده، فأصدر أهم إنتاجه وهو ترجمة معاني القرآن الكريم بعنوان "القرآن" محاولة لترجمته (باريس، 1991) Le Qoran essai de traduction Paris 1991

وقد نجح بارك في خلق جيل جديد يعني بالدراسات الشرقية، وقد واصل عمله في الكتابة والسفر والمراسلة دون كلل وملل في نفس الوقت الذي كان يقوم فيه بترجمته معاني القرآن الكريم وهذا التتويج النهائي لأعماله في ختام حياته، حيث وافاه الأجل عام 1995م.

ومن اشهر أعماله:

- المغرب بين حربين (1962).
- العرب في الأمس وحتى الغد(1969).
- مصر الاستعمار والثورة (1967).
- الشرق الثاني L orient Second (1970)[1].

(1) عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي- ب ط /ب ت ص107

وهناك العديد من المستشرقين الفرنسيين البارزين مثل هنري لاوست وكلود كاهن وشارل بيلا واميل درمنجهم والأب لويس جارديه والأب لامانس: البلجيكي الأصل الفرنسي الجنسية. وأندريه ريموند، وروبير مانتران. وغيرهم.

- المدرسة الإنجليزية:

كان الاستشراق الانجليزي من أول وأوثق واوسع ما عرفته أوربا من استشراق منذ اتصال بريطانيا بالشرقيين الأوسط والأقصى اتصالا ثقافيا وعسكريا واقتصاديا واستعماريا في الأندلس، القدس، والصين والهند، والعراق، ومصر، وفلسطين.

لقد طلب الرواد الإنجليز الثقافة العربية عن طريقتين:

طريق المتضلعين أمثال الفيلسوف الاسباني إبراهيم بن عزار من مدينة طليطلة الذي وفد على لندن ودرس فيها (1158- 1159م).

طريق العلماء الذين قصدوا صقلية والأندلس وأخذوا الثقافة العربية على إعلامها في مدارسها منهم: توماس براون فتثقفوا بالثقافة العربية وترجموا الكثير منها وشرحوا وصنفوا[1].

وفي خلال القرنين الثامن والتاسع عشر اتخذ الاستشراق الإنجليزي طابعه العلمي عندما توفرت عند المستشرقين أسبابه وتنوعت أعراضه وانقطعوا إليه واخلصوا فيه.

وقد تم إنشاء أول أقسام اللغة العربية في الجامعات البريطانية في عامي 1632م و1636م في جامعتي كمبريدج وأكسفورد على التوالي، وكان يغلب على الدراسات العربية الإسلامية الطابع الفردي، ولكن في هذه الأثناء كانت شركة

(1) نجيب العقيقي: المستشرقون.: ج2، ص420

الهند الشرقية تعمل جاهدة على إكمال احتلالها للهند ثم تسليمها للحكومة البريطانية، وقد قامت الشركة بإنشاء مراكز استشراقية في الهند لتدريب موظفين يستطيعون التعامل مع أهل البلاد. وانشئت كذلك جمعيات استشراقية مثل الجمعية البنغالية في أواخر القرن التاسع عشر.

ثم انتشرت المراكز الاستشراقية في بريطانيا وظلت العاصمة لندن خالية من مثل هذا المركز حتى صرح اللورد كيرزن في إحدى جلسات البرلمان الإنجليزي بضرورة إنشاء مثل هذا المركز وأنه من المكونات الضرورية للإمبراطورية، وتأسست مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية عام 1916م، وانتقل إليه بعض المستشرقين الكبار من أمثال توماس آرنولد والفرد جيوم وغيرهما، واستمرت المدرسة في النمو والازدهار حتى أصبحت المركز الاستشراقي الأول في بريطانيا، بل تنافس أكبر المراكز الاستشراقية في العالم.

كلفت الحكومة البريطانية لجنة لدراسة أوضاع الدراسات السلافية والأوروبية الشرقية والشرقية والأفريقية عام 1947م، ووضعت اللجنة تقريراً تضمن توصيات مهمة منها زيادة دعم مراكز الدراسات الاستشراقية، وتوفير الكثير من الوظائف والمنح للدارسين، وحددت اللجنة الجهات المستفيدة من هذه الدراسات وهي الحكومة البريطانية في المقام الأول، والبعثات التنصيرية، وهيئة الإذاعة البريطانية ووزارة التجارة والمؤسسات التجارية التي لها مصالح مع العالم الإسلامي.

واحتاجت الحكومة البريطانية إلى إعادة النظر في أوضاع الدراسات العربية والإسلامية بعد الحرب العالمية الثانية فكلفت لجنة برئاسة سير وليام هايتر عام1961م للقيام بهذا العمل، وقدمت مؤسسة روكفللر دعماً مالياً لهذه اللجنة لزيارة عشر جامعات أمريكية وجامعتين كنديتين للإفادة من التجربة الأمريكية في مجال الدراسات العربية الإسلامية، وقدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن خلاصة الرحلة الأمريكية ومقابلات مع المسئولين عن الدراسات العربية الإسلامية في

الجامعات البريطانية، وجاءت التوصيات من جديد لدعم هذه الدراسات والإفادة من الخبرة الأمريكية.

- أثر الشرق في الأدب الانجليزي:

تأثر الأدب الانجليزي بالشرق تأثرا متواصلا متزايدا متبلور في أقلام عدة منها:

- شكسبير في مسرحيتي عطيل وتاجر البندقية.

لقد احتل الأدب العربي مكانا مرموقا لدى معظم الأدباء الانجليز فاطلعوا في القرن الثامن عشر على ترجمات المستشرقين، واستوحوا منها ولا سيما من ألف ليلة وليلة وغيرها من القصص العربية، والفارسية والهندية، وعالجوا الموضوعات الشرقية التي وسمت آدابهم بسمات شرقية.

قصة عنترة لـ: الوارد، بيرون وشللي في تقليد عن العربية، ذكريات ألف ليلة وليلة ومحاكاة معلقة امرئ القيس لـ الفردتيسون[1].

- بعض أعلام المستشرقين الانجليز:

1) تشارلس جيمس ليا 1840- 1920م J CHERLES TYALL

تخرج من كمبريدج، عمل في الهند 1867- 1868، درس العربية وأتقنها، عني بشعرها الجاهلي عناية خاصة، كان أحد رؤساء تحرير مجلة الجمعية الملكية الأسيوية، دمج كثيرا من الفصول الشرقية في دائرة المعارف البريطانية.

(1) نجيب العقيقي: المستشرقون: ص421 م س

2) وليام بدول (1516م– 1632م) William Bedwel

عمل راعياً لكنيسة إيلبيرج وجمع إلى عمله الكنسي دراساته وبحوثه في اللغة العربية. ظهرت له كتابات امتلأت بالحقد على الإسلام وهي حول الرسول صلى الله عليه وسلم.

3) جورج سيل(1697م– 1736م)George Sale

ولد في لندن التحق في البداية بالتعليم اللاهوتي تعلم العربية على يد معلم من سوريا وكان يتقن اللغة العبرية أيضاً، من أبرز أعماله ترجمته لمعاني القرآن الكريم التي قدم لها بمقدمة احتوت على كثير من الافتراءات والشبهات، ومن الغريب أن يقول عنها عبد الرحمن بدوي "ترجمة سيل واضحة ومحكمة معاً، ولهذا راجت رواجاً عظيماً طوال القرن الثامن عشر إذ عنها ترجم القرآن إلى الألمانية عام 1746م "ويقول في موضع آخر" وكان سيل منصفاً للإسلام بريئاً من تعصب المبشرين المسيحيين وأحكامهم رغم تدينه المسيحي

4) ديفيد صموئيل مرجليوث

SamuelMargoliouth David (1858م– 1940م)

ولد في لندن "17 سبتمبر 1858" وتوفي سنة 1940 وهو أكبر أولاد أبيه "حزقيل مرجليوث" الذي كان مبشّرا، أما أمه فهي "جيسي" ابنة "قسّيس" يدعى بابن "سمث"، كان أسقف "كانتربري" 1896[1].

درس في ونشستر والتحق بجامعة "أكسفورد" وحصل فيها على الماجستير والدكتوراه في الآداب، واشتغل أستاذا في تدريس اللغة العربية منذ 1889، ومنح لقب عضو ورفيق في المجتمع البريطاني 1915، كمّا عيّن مدرّسا للغات الشرقية في

(1) محمد مصطفى هداوة: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، ج1، دط، 1985، ص:10.

جامعة لندن "1913"، ومحاضرا في جامعة "هيبر" في السنة ذاتها، كما تقلّد منصب أستاذ خاص في تاريخ الشرق في جامعة "البنجاب" بين (1916– 1917).

وتكريما له عيّن عضوا فخريا في المجمع العلمي بدمشق "1921"، كما كان عضوا في كثير من الجمعيات والمجامع العلمية في بلاده والأقطار الأخرى.

ومن آثاره أحصى له "العقيقي" ثمانية وستين أثرا، منها ما صنفها ومنها ما أقام بالإشراف على طبعها، وهي تتصل بالأدب العربي مثل: "رسائل أبي العلاء المعرّي" سنة "1898" وكتاب "محمد ونهضة الإسلام" "1905"، وكتاب "القاهرة والقدس ودمشق" سنة 1907، والدّيانة المحمدية سنة 1911 وغيرها[1].

والكتب التي نشرها كتاب الشعر لأرسطو 1911، ومعجم الأدباء "لياقوت ط1 1907– 1925 وديوان سبط بن التعاويذي" ونشوار المحاضرة للتنوخي، كما وضع كتاب "الأدوار الأولى للإسلام" 1914 بالإشتراك مع الأستاذ "أمدروز"، وأفول "نجم الدولة العباسية" في سبعة مجلدات 1922 وحديث "مائدة مع قاضي عراقي سنة 1922 وهو ميروس وأرسطو 1924.

وترجم الجزء الرابع من تاريخ التمدن لـ "جرجي زيدان 1907"، وكذلك المناضرة بين بن يونس الغنائي" وأبي "سعيد السيرافي" لأبي حيان التوحيدي عام 1905، والشعر المحمول على السمو ال ما بين 1906 إلى 1907 وسيرة عبد القادر الجيلاني عام 1907 واصل الشعر العربي عام 1911 و"أصول الشعر العربي" عام 1925، كما نشر في كثير من المجلات أبحاثا في التراث العربي الإسلامي منها

(1) ديفيد صموئيل مرجليوث:أصول الشعر العربي، تر: يحي الجبوري، – مؤسسة الرسالة– بيروت، ط2، 1981، ص: 11.

"الفكاهة عند كتّاب العرب" عام 1927، وترجمة "تبليس إبليس" لابن الجوزي 1935– 1948"[1].

5) توماس وولكر آرنولد Sir Thomas Walker Arnold (1864م– 1930م)

بدأ حياته العلمية في جامعة كامبردج حيث أظهر حبه للغات فتعلم العربية وانتقل للعمل باحثاً في جامعة على كرا (عليكرا) في الهند حيث أمضى هناك عشر سنوات ألف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور، وفي عام 1904م عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذاً غير متفرغ في جامعة لندن، واختير عام 1909م ليكون مشرفاً عاماً على الطلاب الهنود في بريطانيا، ومن المهام العلمية التي شارك فيها عضوية هيئة تحرير الموسوعة الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعتها الأولى والتحق بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن بعد تأسيسها عام 1916م، عمل أستاذاً زائراً في الجامعة المصرية عام 1930م.

له عدة مؤلفات سوى كتابه الدعوة إلى الإسلام ومنها (الخلافة) وكتاب حول العقيدة الإسلامية وشارك في تحرير كتاب تراث الإسلام في طبعته الأولى، بالإضافة إلى العديد من البحوث في الفنون الإسلامية.

6) سير هاملتون جيب.Sir Hamilton R.A.Gibb (1895– 1971)

ولد هاملتون جيب في الإسكندرية في 2 يناير 1895م، انتقل إلى اسكتلندا وهو في الخامسة من عمره للدراسة هناك، ولكنه كان يمضي الصيف مع والدته في الإسكندرية. التحق بجامعة أدنبرة لدارسة اللغات السامية، عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام 1921م وتدرج في المناصب

(1) ديفيد صموئيل مرجليوث:أصول الشعر العربي، ص: 12. كما يمكن مراجعة كتاب " المستشرقون لنجيب العقيقي ص518– 520

الأكاديمية حتى أصبح أستاذاً للغة العربية عام 1937م، وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بعد أن عمل أستاذاً للغة العربية في الجامعة.

بالإضافة إلى اهتمامه اللغوي فقد أضاف إلى ذلك الاهتمام بتاريخ الإسلام وانتشاره وقد تأثر بمستشرقين كبار من أمثال تومارس آرنولد وغيره[1]. من أبزر إنتاج جب (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى) سنة 1923م ودراسات في الأدب العربي المعاصر وكتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) وشارك في تأليف (إلى أين يتجه الإسلام)، وقد انتقل جيب من دراسة اللغة والآداب والتاريخ إلى دراسة العالم الإسلامي المعاصر وهو ما التفت إليه الاستشراق الأمريكي حينما انشأ الدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق، وله كتاب بعنوان (المحمدية) ثم أعاد نشره بعنوان (الإسلام) وله كتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي سنة 1926اصدر كتيبا بعنوان "الأدب العربي" وهو كتيب صغير سطحي تافه قصد به الى القراء الإنجليز، وقد أعاد طبعه منقحا في 1963

وفي 1927 بدأ سلسلة مقالات في الأدب العربي المعاصر، نشرها في "مضبطة مدرسة الدراسات الشرقية BSOS، أولها مقالة عن الأدب العربي في القرن التاسع عشر..."[2].

7) مونتجمري وات Montgomery Watt .(1906–

ولد في كريس فايف في 14مارس 1909م، والده القسيس اندرو وات درس في كل من أكاديمية لارخ 1914– 1919 وفي كلية جورج واتسون بادنبرة وجامعة أدنبره 1927م– 1930م وكلية باليول بأكسفورد 1930م– 1933م وجامعة جينا

(1) عبد الحميد صالح حمدان:طبقات المستشرقين، – مكتبة مدبولي– ص111

(2) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين ص 106 م س

بألمانيا 1933م وبجامعة أكسفورد وجامعة أدنبرة في الفترة من 1938م إلى1939م ومن 1940م إلى 1943م على التوالي، عمل راعياً لعدة كنائس في لندن وفي أدنبرة ومتخصص في الإسلام لدى القس الأنجليكاني في القدس، وبعد تقاعده عاد إلى العمل في المناصب الدينية.

عمل رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من 1947– 1979. نال درجة الأستاذية عام 1964. دعي للعمل أستاذاً زائراً في كل من الجامعات الآتية: جامعة تورنتو 1963و1978 وكلية فرنسا في باريس عام 1970وجامعة جورجتاون بواشنطن عام 1978– 1979.

مستشرق معاصر بريطاني الأصل، تركزت اهتماماته الأساسية في مجال السيرة النبوية عمل عميدا لقسم الدراسات العربية في جامعة ادنبرة من مؤلفاته:

1) الجبر والاختيار في الإسلام 1948
2) محمد بمكة 1953
3) محمد بالمدينة 1956
4) محمد نبيا ورجل دولة 1961
5) عوامل انتشار الإسلام 1961
6) الوحي الإسلامي في العالم الحديث 1969
7) الفكرة التكوينية للفكر الإسلامي. ادنبرة 1973
8) العظمة التي كان اسمها الإسلام لندن 1974 وله من الدراسات في المجالات الاستشراقية[1].

(1) عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء وات – بروكلمان – فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية، – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية ط1/1997 ص9.

8) آرثر جون آربري Arthur John Arberry (1905م– 1969م)

ولد في 12 مايو 1905م في مدينة بورتسموث بجنوب بريطانيا، التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللغات الكلاسيكية اللاتينية واليونانية، وشجعه أحد أساتذته وهو منس على دراسة العربية والفارسية، ارتحل إلى مصر لمواصلة دراسته للغة العربية، عاد إلى مصر ليعمل في كلية الآداب رئيساً لقسم الدراسات القديمة (اليونانية واللاتينية) وزار فلسطين وسوريا ولبنان.

اهتم بالأدب العربي فترجم مسرحية مجنون ليلي لأحمد شوقي كما حقق كتاب (التعرف إلى أهل التصوف) واصل اهتمامه بالتصوف وذلك بنشره كتاب (المواقف والمخاطبات) للنفري وترجمه إلى الإنجليزية.

عمل آربري مع وزارة الحرب البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية مهتماً بشؤون الإعلام والرقابة البريدية، وأصدر كتابه (المستشرقون البريطانيون) سنة 1943م تولى منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، ثم انتقل لجامعة كمبردج ليحتل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في هذه الجامعة.

ولعل من أبرز جهود آربري ترجمته لمعاني القرآن الكريم حيث أصدر أولاً مختارات من بعض آيات القرآن الكريم مع مقدمة طويلة ثم أكمل الترجمة وأصدرها عام 1955م[1].

9) برنارد لويس Bernard Lewis (1916)

ولد لويس في 31 مايو 1916م وتلقى تعليمه الأول في كلية ولسون والمدرسة المهنية حيث أكمل دراسته الثانوية ولا تذكر المراجع أية معلومات عن تلقيه تعليماً دينياً يهودياً خاصاً. التحق بجامعة لندن لدراسة التاريخ ثم انتقل إلى

(1) عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين ص 84 م س

فرنسا للحصول على دبلوم الدراسات السامية سنة1937م متتلمذا على المستشرق الفرنسي ماسنيون وغيره. ثم عاد إلى جامعة لندن، فمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية وحصل على الدكتوراه عام 1939م عن رسالته القصيرة حول أصول الإسماعيلية.

"متأثر بحركة مصطفى أتاتورك، والتي يعدها انطلاقة تركيا الحديثة، ويعوّل عليها في أن تكون البديل الذي يريده، من خلال منطلقه الفكري والعقدي، ذلك أنه يرى ما لم يصرّح به، وهو أنّ البلاد الأخرى المشمولة في مصطلح الشرق الأوسط جغرافيا، كلها تميل إلى تطبيق الدين، في قضيتها مع اليهود في فلسطين المحتلة. ولذلك، فلابد، عنده من" مغادرة الإسلام" إذا أراد العرب التقدم، كما فعل الترك"[1].

استدعي في أثناء الحرب العالمية الثانية لأداء الخدمة العسكرية وأعيرت خدماته لوزارة الخارجية من سنة 1941م حتى 1945م، عاد بعد الحرب إلى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية لتدريس التاريخ الإسلامي وأصبح أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي عام 1949م ثم رئيساً لقسم التاريخ عام 1957م، وظل رئيساً لهذا القسم حتى انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1974م.

دُعي للعمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية والأوربية منها جامعة كولمبيا وجامعة انديانا وجامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس وجامعة أكلاهوما وجامعة برنستون التي انتقل إليها والعمل فيها من 1974م حتى تقاعده عام 1986م. وهنا عيّن مديراً مشاركاً لمعهد انانبرج اليهودي للدراسات اليهودية والشرق أوسطية في مدينة فيلاديلفيا بولاية بنسلفانيا.

يعد لويس من أغزر المستشرقين إنتاجاً (وإن كان له قدرة على إعادة نشر بعض ما سبق نشره بصور أخرى).وقد تنوعت اهتماماته من التاريخ الإسلامي حيث

(1) علي إبراهيم النملة:الالتفاف على الاستشراق محاولة التنصل من المصطلح، — ص 133 م س

كتب عن الإسماعيلية، وعن الحشاشين، وعن الطوائف المختلفة في المجتمع الإسلامي، . ولكنه في السنوات الأخيرة وقبل تقاعده بقليل بدأ الاهتمام بقضايا العالم العربي والإسلامي المعاصرة فكتب عن الحركات الإسلامية (الأصولية) وعن الإسلام والديمقراطية.

قدم خدماته واستشاراته لكل من الحكومة البريطانية التي كلفته القيام برحلة إلى العديد من الجامعات الأمريكية وإلقاء الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية عام 1954م، كما قدم استشارته للكونجرس الأمريكي أكثر من مرة. وفي إحدى المرات (8 مارس 1974م) ألقى محاضرة في أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكي حول قضية الشرق الأوسط ولأهمية هذه المحاضرة نشرتها وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد أسبوعين من إلقائها.

– المدرسة الألمانية:

قدم المستشرقون الألمان مساهمات كثيرة في مجال الدراسات الاستشراقية بصفة عامة، وفي مجال الدراسات الإسلامية بشكل أخص، "وتنوعت هذه الدراسات فشملت الدراسات الشرقية القديمة المرتبطة بالعصر الحاضر، فدرسوا اللغات والآداب والديانات والحضارات القديمة، واهتموا بالنظم الاجتماعية والاقتصادية والتيارات الدينية المعاصرة"[1].

– اتصال ألمانيا بالشرق:

مما لاشك فيه أن الدراسات العربية الإسلامية قد نشطت في القرن التاسع عشر، وبلغت أوجها في الجامعات الأوربية، وخاصة ألمانيا التي يرجع تاريخ اتصالها بالعالم العربي إلى الحملة الصليبية الثانية 1147– 1149.

---

(1) أحمد محمود هويدي: الاستشراق الألماني –تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، دراسات مختارة جمعها ونقلها من الألمانية إلى العربية، –مطابع دار التعاون للطبع والنشر– القاهرة – ب ط 2000ص9

فاهتم الباحثون الألمان بالدراسات العربية الإسلامية منذ عهد مبكر، فقد ثبت أن مارتن لوثر كان من الذين تأثروا بالفكر الإسلامي حينما تمرد على الكنيسة الكاثوليكية في روما، ولكن موقف لوثر كان عدائيا جداً من الإسلام وبخاصة الدولة العثمانية. وقد تميز المستشرقون الألمان بالجدية في البحث حتى اصطبغت الدراسات الإسلامية في أوروبا في وقت من الأوقات بالصبغة الألمانية. ويقول في ذلك الدكتور السامرائي "ومع كل هذا فإن المدرسة الألمانية وحدها أظهرت اهتماما علميا جادا بالإسلام في وقت مبكر عن غيرها من المدارس الاستشراقية الأوروبية" وذكر أمثلة على هذا الاهتمام بالمخطوطات وبالتاريخ الإسلامي حيث ظهر كتاب مغازي الواقدي وبدأ تحقيق كتاب الطبري، وظهرت جهود بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي[1].

وما زال الاستشراق الألماني مزدهراً في العديد من الجامعات، وقد لحق الاستشراق الألماني غيره في الاهتمام بالقضايا المعاصرة فقد قدم المستشرق راينهارد شولتز محاضرة في شهر سبتمبر 1986 في جامعة برنستون بالولايات المتحدة بعنوان "الإسلام السياسي في القرن العشرين.

أعلام الاستشراق الألماني:

1) يوهان جاكوب رايسكه(Johann Jakob Reiske (1716–1774)

يعد رايسكه مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا حيث بدأ تعليم نفسه العربية ثم درس في جامعة ليبزيج Leipzig وانتقل إلى جامعة ليدن لدراسة المخطوطات العربية فيها كما اهتم بدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية وإن كان له فضل في هذا المجال فهو الابتعاد بالدراسات العربية الإسلامية عن الارتباط

(1) أحمد محمود هويدي: الاستشراق الألماني- تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، دراسات مختارة جمعها ونقلها من الألمانية إلى العربية ص 17- 25

بالدراسات اللاهوتية التي كانت تميز هذه الدراسات في القرون الوسطى (الأوروبية)[1].

2) يوليوس فيلهاوزن 1918 –1844) Jullius Wellhausen)

تخصص في دراسة التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية، ومن أبرز إنتاجه تحقيق تاريخ الطبري، كما ألف كتاباً بعنوان "الإمبراطورية العربية وسقوطها" ومن اهتماماته بالفرق الإسلامية تأليف كتابيه "الأحزاب المعارضة في الإسلام" وكتابه (الخوارج والشيعة) وكتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه (تنظيم محمد للجماعة في المدينة) وكتابه (محمد والسفارات التي وجهت إليه).

3) تيودور نولدكه (Theodor Noldeke) (1930 –1836)

يعد شيخ المستشرقين الألمان من غير منازع وقد أتاح له نشاطه الدائب، وألمعية ذهنه، واطلاعه الواسع على الآداب اليونانية، واتقانه التام لثلاث من اللغات السامية (العربية والسريانية والعبرية) مع استطالة عمره حتى جاوز الرابعة والتسعين — أن يظفر بهذه المكانة، ليس فقط بين المستشرقين الألمان، بل بين المستشرقين جميعاً[2].

ولد في هامبرج في 2مارس 1836 وتلقى فيها اللغة العربية، ودرس في جامعة ليبزيج وفينا وليدن وبرلين. عيّن أستاذاً للغات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن، وعمل أيضاً في جامعة ستراستبرج. اهتم بالشعر والجاهلي وبقواعد اللغة العربية وأصدر كتاباً بعنوان "مختارات من الشعر العربي، من أهم مؤلفاته كتابه (تاريخ القرآن) نشره عام 1860 وهو رسالته للدكتوراه وفيه تناول ترتيب سور القرآن الكريم وحاول أن يجعل لها ترتيباً ابتدعه.

(1) عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين ص24 م س

(2) عبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقين-دار العلم للملايين- بيروت ط2 ص417

4) كارل بروكلمان (Carl Brockelmann (1868– 1956

ولد في 17 سبتمبر 1868 في مدينة روستوك، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، درس في الجامعة – بالإضافة إلى اللغات الشرقية– اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق نولدكه. اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله في هذا المجال كتاب مشهور "تاريخ الشعوب الإسلامية" ولكنه مليء بالمغالطات والافتراءات على الإسلام[1].

ومن أشهر مؤلفاته كتاب "تاريخ الأدب العربي" الذي ترجم في ستة مجلدات وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها. ومن ذا الذي يمكن أن يستغني عن "تاريخ الأدب العربي" بأجزائه الخمسة، تصنيف كارل بروكلمان؟ إنه لا يزال حتى الآن المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها[2].

5) جوزف شاخت Josef Schacht (1902– 1969)

ولد في 15مارس 1902، درس اللغات الشرقية في جامعة برسلاو وليبتسك، انتدب للعمل في الجامعة المصرية عام 1934 لتدريس مادة فقه اللغة العربية واللغة السريانية. شارك في هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الثانية. عرف شاخت باهتمامه بالفقه الإسلامي ولكنه صاحب إنتاج في مجال المخطوطات وفي علم الكلام وفي تاريخ العلوم والفلسفة.

(1) عبد الكريم علي باز: افتراءات فيليب حتّي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي – تهامة للنشر – جدة:1403– 1983 ص

(2) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص57 م س

ينقسم إنتاج شاخت الى الأبواب التالية:

- دراسة مخطوطات عربية، فقد عني بدراسة بعض المخطوطات الموجودة في اسطنبول والقاهرة، وفاس وتونس. ونذكر من هذه الدراسات: "من مكتبات شرقية في اسطنبول والقاهرة" مكتبة ومخطوطات أباضية في المجلة الأفريقية.
- ونشر شاخت عدة نصوص فقهية، هي: أبو حاتم القزويني – كتاب الحيل في الفقه "هانوفر" 1924، كتاب "أذكار الحقوق والرهون" هيد لبرج 1929–1930.
- الطبري "اختلاف الفقهاء" ليدن 1933[1].

6) آنا ماري شميل (Schimmel Annemarie) (1922)

من أشهر المستشرقين الألمان المعاصرين بدأت دراسة اللغة العربية في سن الخامسة عشرة وتتقن العديد من لغات المسلمين وهي التركية والفارسية والأوردو. درّست في العديد من الجامعات في ألمانيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي أنقرة، اهتمت بدراسة الإسلام وحاولت تقديم هذه المعرفة بأسلوب علمي موضوعي لبني قومها حتى نالت أسمى جائزة ينالها كاتب في ألمانيا تسمى جائزة السلام. ولكن بعض الجهات المعادية للإسلام لم يرقها أن تنال هذه الباحثة المدافعة عن الإسلام في وجه الهجمات الغربية عليه حاولوا أن يمنعوا حصولها على الجائزة.

وقد أدرك مكانة هذه المستشرقة العلامة والداعية المسلم في أوروبا الدكتور زكي علي منذ أكثر من أربعين سنة حين كتب يقول "وعلى رأس المحررين لمجلة "فكر وفن" الأستاذة الألمعية الدكتورة آن ماري شميل المتخصصة في دراسة محمد إقبال حكيم وشاعر باكستان.. وترجمت إلى الألمانية له ديوان "جاويد نامة" وكتاب "رسالة المشرق عن الفارسية" وهي أستاذة بجامعة بون وغيرها ومن أكابر علماء ألمانيا... وتنصف الإسلام والمسلمين كثيراً جزاها الله خيراً. "وقال عنها أيضاً أنها

(1) عبد الحميد صالح حمدان طبقات المستشرقين، – ص 152– 153 م س

أصدرت العديد من الكتب منها كتاب "محمد رسول الله" صلى الله عليه وسلم بسطت فيه مظاهر تعظيم وإجلال المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم [1]. وقد امتدحها رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بأنها ما زالت تواصل كتاباتها الموضوعية وترجماتها عن الإسلام[2].

- المدرسة الأمريكية:

نشأ الاستشراق في الولايات المتحدة الأمريكية، أوائل القرن التاسع عشر ويغلب عليه الطابع الديني، ولكن مع عدم إغفال الأطماع السياسية، فكيف يكون لبريطانيا إمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ولا يكون لأمريكا اهتمامات إمبريالية، واشترك الهدفان وتأسست الجمعية الشرقية عام 1840م وأرسلت باحثيها إلى العالم العربي الإسلامي، وحرصت بعض الجامعات الأمريكية أن تنال نصيبها من المخطوطات الإسلامية فاشترت جامعة برنستون Princeton كمية من المخطوطات حتى أصبحت تضم ثاني أكبر مجموعة مخطوطات إسلامية.

نشطت البعثات التنصيرية في بلاد الشام فأسست المدارس والمعاهد العلمية، وفي أواخر القرن التاسع عشر وفي عام 1889م (1307هـ) وصلت إلى البصرة طلائع البعثة العربية (سميت كذلك تمويها) وكانت برئاسة المنصّر المشهور صموئيل زويمر، واستمرت هذه البعثة حتى عام 1393م- 1973م.

وشهد الاستشراق الأمريكي نهضة شاملة بعد منتصف القرن العشرين حينما أخلت بريطانيا مواقعها للنفوذ الأمريكي. كما ذكر ذلك مايلز كوبلاند

---

(1) عبد اللطيف الجوهري. من أعلام الدعاة في أوروبا: العلاّمة الدكتور زكي علي.(جدة: عالم المعرفة 1418- 1988) ص123 والمقالة التي كتبها الدكتور زكي علي نشرت في مجلة البريد الإسلامي في 1963/6/25. ولما رشحت لنيل جائزة السلام ظهرت أصوات يهودية ومعادية للإسلام والمسلمين تتهم المستشرقة بشتى الاتهامات، وقد توفت قريباً وكتب عنها الشيخ أحمد زكي يماني وهو يرى أنها أسلمت ولكنها كانت تخفي إسلامها.

(2) عكاظ عدد 10961، ربيع الآخر 1417، (16أغسطس 1996م، أنا ماري شميل المستشرقة الالمانية التي أنصفت الإسلام، أسرة، مجلة المنهل، العدد المتخصص " الاستشراق والمستشرقون" العدد 471رمضان /شوال 1409هـ- ابريل / مايو 1979م

في كتابه (لعبة الأمم)، ووجد الأمريكيون أنهم بحاجة إلى عدد كبير من المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط، فأصدرت الحكومة الأمريكية مرسوما عام 1952م خصص بموجبه مبالغ كبيرة لتشجيع الجامعات على افتتاح أقسام الدراسات العربية الإسلامية، واستقدم لذلك خبراء في هذا المجال من الجامعات الأوروبية، وحضر من بريطانيا كل من جوستاف فون جرونباوم وهاملتون جب وبرنارد لويس وغيرهم. فأسس هاملتون جب مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد. وجرونباوم أسس مركزاً في جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس.

وقد طوّرت الدراسات العربية الإسلامية في الولايات المتحدة لتأخذ مفهوماً جديداً وشكلاً جديداً. فقد انتهى إلى حد كبير عهد المستشرق الذي يزعم لنفسه معرفة كل ما يخص العالم العربي الإسلامي في جميع المجالات، فأخذت الدراسات تصبح أكثر دقة وتخصصا في منطقة معينة. وفي فرع من فروع المعرفة. وقد فتح هذا التجديد المجال أمام التخصصات المختلفة لتسهم في تطور الدراسات العربية الإسلامية، بحيث تكون بعض الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه تحت إشراف أكثر من قسم علمي.

وقد ظهر في الاستشراق الأمريكي من ينادي بوقف التشويه المتعمد لصورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الأمريكي، أو في الكتابات الأكاديمية، ومن هؤلاء مثلا اسبوزيتو. وقد رأى بعضهم أن الإسراف الأمريكي في تأييد المصالح اليهودية وتقديمها حتى على مصالح الولايات المتحدة، أصبح يشكل خطرا على الولايات المتحدة نفسها.

أولاً: من أعلام الاستشراق الأمريكي

1) كرنيليوس فانديك Cornilius Van Dyke:

درس العربية في لبنان، أسهم في إنشاء مدرسة كانت نواة الجامعة الأمريكية، شارك في تكملة ترجمة التوراة إلى اللغة العربية، وله كتابات في المجال العلمي.

2) دنكان بلاك ماكدونالد

DunckanBlackMacDonald (1863م- 1943م)

أصله إنجليزي، بدأ الدراسة في جلاسجو (اسكتلندا) وانتقل إلى برلين للدراسة مع المستشرق زاخاو، ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1893م لتعليم اللغات السامية، أسس في الولايات المتحدة مدرسة كندي للبعثات عام 1911م وشارك مع زويمر في السنة نفسها في تأسيس مجلة العالم الإسلامي، تنوع إنتاجه بين الدراسات الشرعية والدراسات اللغوية وله:

- أوجه الإسلام Aspects of Islam نيويورك 1911
- الموقف الديني والحياة الدينية في الإسلام" شيكاغو"1909
- حياة الغزالي مقال في مجلة الجمعية المشرقية الأمريكية j.Amer Or.Soc. ج 20
- التدين الانفعالي في الإسلام بحسب تأثره بالسماع والغناء مقال في 1901Jras.[1]

3) جورج سارتون George Sarton، (1884م- 1956م).

بلجيكي الأصل متخصص في العلوم الطبيعية والرياضية درس العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت 1931م- 1932م، ألقى محاضرات حول فضل العرب على الفكر الإنساني، أشرف مع ماكدونالد على مجلة إيزيس 1913م- 1946م وأبرز إنتاجه (المدخل إلى تاريخ العلم).

4) جوستاف فون جرونباوم Grunbaum Gustav Von (1909م- 1972م)

ولد في فيينا في 1909/9/1م، درس في جامعتها وفي جامعة برلين، هاجر إلى الولايات المتحدة والتحق بجامعة نيويورك عام 1938م، ثم جامعة شيكاغو ثم

(1) عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين ص195 م

استقر به المقام في جامعة كاليفورنيا حيث أسهم في تأسيس مركز دراسات الشرق الأوسط الذي أطلق عليه اسمه فيما بعد، من أهم كتبه:

- الإسلام في العصر الوسيط1949
- مدى المواقع في الشعر العربي الأول "بالألمانية"
- الأدب العربي في القرن العاشر الميلادي مجلة jAosج 61، 1941، وما يتلوها.
- نمو الشعر العربي وتركيبه من 500إلى 1000م
- الأساس الجمالي للأدب العربي(نشرية Comparative Literature ج4، 1952.[1]

5) جورج رنتز George Rentz

درس في واشنطن، وفي جامعة الفليبين، وجامعة كاليفورنيا تخصص في اللغة العربية وآدابها، عمل في السفارة الأمريكية في القاهرة، أسس قسم البحوث والترجمة في شركة أرامكو، شارك في مشروع التاريخ الشفوي لمنطقة الخليج العربي، عمل أميناً لمجموعة الشرق الأوسط في جامعة ستانفورد، من أبرز اهتماماته حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث كانت موضوع رسالته للدكتوراه، وله كتابات كثيرة عن الجزيرة العربية من النواحي التاريخية والجغرافية، توفي منذ عدة سنوات.

– ويلفرد كانتويل سميث. Wilfred Cantwell Smith(1916)

ولد في كندا عام 1916م، ودرس اللغات الشرقية في جامعة تورنتو، حصل على الماجستير والدكتوراه في مجال دراسات الشرق الأدنى من جامعة برنستون، متخصص في دراسة الإسلام وأوضاع العالم الإسلامي المعاصرة. أشهر كتبه في هذا المجال (الإسلام في العصر الحديث).عمل أستاذاً في جامعة هارفرد وفي معهد الدراسات الإسلامية بجامعة مقيل بكندا، قام بتدريس الدين الإسلامي بكلية نورمان

(1) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين-ص111- 112 م س

- الأدب العربي في القرن العاشر الميلادي مجلة jAos ج 61، 1941، وما يتلوها.
- نمو الشعر العربي وتركيبه من 500إلى 1000م
- الأساس الجمالي للأدب العربي(نشر في Comparative Literature ج4، 1952 [1].

5) جورج رنتز George Rentz

درس في واشنطن، وفي جامعة الفليبين، وجامعة كاليفورنيا تخصص في اللغة العربية وآدابها، عمل في السفارة الأمريكية في القاهرة، أسس قسم البحوث والترجمة في شركة أرامكو، شارك في مشروع التاريخ الشفوي لمنطقة الخليج العربي، عمل أميناً لمجموعة الشرق الأوسط في جامعة ستانفورد، من أبرز اهتماماته حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث كانت موضوع رسالته للدكتوراه، وله كتابات كثيرة عن الجزيرة العربية من النواحي التاريخية والجغرافية، توفي منذ عدة سنوات.

– ويلفرد كانتويل سميث. Wilfred Cantwell Smith(1916)

ولد في كندا عام 1916م، ودرس اللغات الشرقية في جامعة تورنتو، حصل على الماجستير والدكتوراه في مجال دراسات الشرق الأدنى من جامعة برنستون، متخصص في دراسة الإسلام وأوضاع العالم الإسلامي المعاصرة. أشهر كتبه في هذا المجال (الإسلام في العصر الحديث).عمل أستاذاً في جامعة هارفرد وفي معهد الدراسات الإسلامية بجامعة مقيل بكندا؛ قام بتدريس الدين الإسلامي بكلية نورمان المسيحية بمدينة لاهور بباكستان 1941م– 1945م، دعي للعمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات، صدر له حديثا (1998م) عدة كتب منها (نماذج الإيمان

(1) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين-ص111– 112 م س

حول العالم) وكتاب (الإيمان نظرة تاريخية) وكتاب(الإيمان والاعتقاد والفرق بينهما)[1].

– المدرسة الروسية:

كان الاستشراق قوياً في روسيا منذ عهد بعيد، حيث تعود الصلات بين روسيا والعالم الإسلامي إلى زمن الدولة العباسية، فقد تبادلت الدولة الإسلامية السفارات مع روسيا، ولما ضمت روسيا إليها بعض المناطق الإسلامية ازداد الاهتمام بالإسلام والعالم الإسلامي. أفادت روسيا من الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا وبخاصة في فرنسا حيث أوفدت روسيا بعض الباحثين للدراسة في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس.

قوي الاهتمام بالاستشراق في روسيا في بداية القرن التاسع عشر حينما أنشأت بعض الجامعات الروسية كراس للغة العربية والإسلام، ومن هذه الجامعات جامعة قازان وجامعة موسكو وجامعة بطرسبرج وكلية لازاريف وغيرها.

مصادر الاستعراب الروسي: لقد استقى الاستعراب الروسي معرفته من خلال مصادر عديدة، تفاوتت في أهميتها وزمنها، ويمكن القول بأنّ هذه المصادر كانت:

أ) التجار والرحالة والحجاج المسيحيين الوافدين إلى بيت المقدس.

ب) المعرفة المباشرة للشعوب الإسلامية الواقعة ضمن الدولة الروسية.

ج) العلماء الباحثين من الروس والعرب على حد سواء، الذين رحلوا إلى البلاد العربية أو العرب الذين قدموا إلى روسيا لأسباب مختلفة منها السياسية ومنها العلمية.

د) المخطوطات التي انتقلت إلى خزائن المكتبات في روسيا، والتي كانت تمثل التاريخ الحضاري للثقافة العربية الإسلامية.

(1) محمد قطب: المستشرقون والإسلام. – دار وهبة– القاهرة، 1999م ص 226 – ص 256

2) إجناطيوس كراتشكوفسكي

Ignaij Julianovic Krackovskij (1951 –1883)

ولد في 16 مارس 1883م، امضى طفولته في طشقند حيث تعلم اللغة الأزبكية، درس اللغات الكلاسيكية اليونانية واللاتينية، بدأ يتعلم اللغة العربية بنفسه. وفي عام 1901م التحق بكلية اللغات الشرقية في جامعة سان بترسبرج، ودرس عدداً من اللغات منها العبرية والحبشية والتركية والفارسية، ودرس التاريخ الإسلامي على يد المستشرق بارتولد، زار العديد من الدول العربية والإسلامية منها تركيا وسوريا ولبنان ومصر. وتعرف إلى كثير من أعلام الفكر العربي الإسلامي منهم الشيخ محمد عبده والشيخ محمد كرد علي وغيرهما، اهتم بالشعر العربي في العصر الأموي وفي العصر العباسي.

وأسهم كرتشكوفسكي في مجموعة الأدب العالمي التي كان يشرف عليها مكسيم غوركي، الأديب الروسي العظيم، واستمر يشارك فيها حتى 1925. وقد أسهم من بين منشورات هذه المجموعة بترجمة كتاب "الإعجاز" تأليف الأمير أسامة بن منقذ إلى اللغة الروسية، . وقدم ترجمته بمقدمة ممتازة نبّه فيها إلى انّ من بين مخطوطات المتحف الأسيوي يوجد مخطوط بخط المؤلف نفسه، الأمير أسامة بن منقذ لكتابه "المنازل والديار..."[1].

3) و. إيفانوف (1886م– 1970م) W. Ivanov

اهتم بدراسة الإسماعيلية، ومن آثاره المخطوطات الإسلامية في المتحف الأسيوي، وثائق جديدة لدراسة الحجاج وعقيدة الفاطميين[2].

(1) عبد الحميد صالح حمدان:طبقات المستشرقين، – مكتبة مدبولي– ص 175

(2) نجيب العقيقي: المستشرقون ص92– 93 بتصرف م س

4) كريمسكي (1871م- 1941م) A.E. Krymsky

درس في جامعة موسكو في الفترة من 1892م إلى 1896م اللغات السلافية والعربية والفارسية. عاش في سوريا في الفترة من 1896م إلى 1898م، عمل أستاذاً للعربية وآدابها في كلية لازاريف، وأستاذاً للعربية في قازانا من 1898م إلى 1918م. تولى منصب سكرتير مجمع العلوم الأوكراني. وترأس قسم الدراسات العليا في خاكوف بعد الثورة البلشفية 1917م. من آثاره (العالم الإسلامي ومستقبله، 1889م)، (تاريخ الإسلام في جزأين 1904م) و(الأدب العربي الحديث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، موسكو 1906م)[1].

5) شميت (1871م- 1939م) A.E. Schmidt

تلقى تعليمه على يد المستشرقين روزين وجولدزيهر، تخصص في دراسة اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، عمل أستاذاً في جامعة بطرسبرج مدة عشرين سنة، ثم انتقل إلى طشقند عام 1920م ليؤسس جامعة فيها وكان أول رئيس لها، من آثاره (تاريخ الإسلام) و(النبي محمد صلى الله عليه وسلم) و(محاولة التقريب بين السنة والشيعة، (فهرس المخطوطات العربية في طشقند)، والفارسية، عاش في سوريا في الفترة من 1896م إلى 1898م، عمل أستاذاً للعربية وآدابها في كلية لازاريف، وأستاذاً للعربية في قازانا من 1898م إلى 1918م. تولى منصب سكرتير مجمع العلوم الأوكراني. وترأس قسم الدراسات العليا في خاكوف بعد الثورة البلشفية 1917م. من آثاره(العالم الإسلامي ومستقبله، 1889م "تاريخ الإسلام في جزأين 1904م" و"الأدب العربي الحديث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر" موسكو 1906م[2].

---

(1) المصدر السابق ص- 81 بتصرف

(2) نجيب العقيقي: المستشرقون ص80- 81 بتصرف م س

المدرسة الهولندية:

يعد كتاب الدكتور قاسم السامرائي (الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية) مرجعاً مهماً في دراسة الاستشراق الهولندي. فقد ذكر أن الاستشراق الهولندي لا يختلف عن الاستشراق الأوروبي في أنه انطلق مدفوعاً بالروح التنصيرية، وأن هولندا كانت تدور في الفلك البابوي الكاثوليكي[1].

وقد اهتم المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعاجمها كما اهتموا بتحقيق النصوص العربية، ومما يميز الاستشراق الهولندي وجود مؤسسة برل، التي تولّت طباعة الموسوعة الإسلامية ونشرها في طبعتيها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة كثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين.

وذكر الدكتور السامرائي أن الاستشراق الهولندي، شهد في السنوات الماضية ظهور تيار من المستشرقين الشباب الذين يميلون إلى النظرة الموضوعية في دراسة الإسلام وقضاياه. وهذا مما أثار حنق وغضب المستشرقين الأكبر سناً.

ولهولندا مركز للبحوث والدراسات العربية والإسلامية في مصر. وقد تولّت جامعة ليدن تنظيم مؤتمر عالمي حول الإسلام في القرن الواحد والعشرين في الفترة من 3- 7 يونيو 1996 بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية، وحضر المؤتمر مئة وعشرون باحثاً من أنحاء العالم، وقد بحث المؤتمرون أوضاع العالم الإسلامي في القرن القادم من خلال ثلاثة محاور:

- الإسلام والمجتمع الدولي.
- والإسلام والتنمية.
- والإسلام والتعليم.

(1) قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، الرياض، 1403 ص 103

وقد عقد المؤتمر الثاني في مصر وكان طابعه رسمياً أكثر منه علمياً.

من أعلام الاستشراق الهولندي:

1) رانيهارت دوزي (1820م– 1883م)Rienhart Dozy

ولد في 21 فبراير 1920م في مدينة ليدن، بدأ دراسة العربية في المرحلة الثانوية وواصل هذه الدراسة في الجامعة، حصل على الدكتوراه عام 1881م عن بحثه (أخبار بني عبّاد عند الكتّاب العرب) اهتم بالمخطوطات العربية وبخاصة كتاب (الذخيرة) لابن بسام وغيره من الكتب، اهتم بتاريخ المسلمين في الأندلس وأبرز كتبه (تاريخ المسلمين في اسبانيا) المكون من عدة مجلدات. كما ترجم كتاب (بني زيان في تلمسان) وكان مخطوطا وزوّده بتعليقات، ونشر الترجمة مع تعليقاتها في عدد من المجلة الأسيوية "JA (مايو ويونيو 1844)، وفي 1846صدر الجزء الأول من كتابه: "أخبار بني عباد عند الكتاب العرب" (ليدن)."كما أصدر عدة نصوص ودراسات هي:

- البيان المغرب "لابن عذارى" محققا لأول مرة، مع مقدمة وتعليقات ومعجم في جزئين ليدن (1848– 1851)
- أبحاث في التاريخ السياسي والأدبي لأسبانيا خلال العصر الوسيط "ج1 1849(ليدن، بريل)، وأعاد طبعه مرة ثانية في مجلدين 1860(مع تعديلات هامة).
- معجم الألفاظ الأسبانية والبرتغالية المأخوذة من اللغة العربية «(ليدن، بريل، 1869) أما كتابه العظيم الثاني، فهو "تكملة (أو ملحق)المعاجم العربية" Supplement aux Dictionnaires Arabes في جزئين[1].

(1) عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين ص43– 44– 45 م س

2) مايكال دي خويه(1836م- 1909م) Michael Jan De Goje:

ولد في 9 اغسطس 1836م، تخصص في جامعة ليدن بالدراسات الشرقية. ومن أساتذته المستشرق دوزي. وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان (نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب مأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي)، عمل في التدريس بجامعة ليدن، وكان أبرز اهتماماته: الجغرافيا وكذلك التاريخ الإسلامي، ومن إنتاجه تحقيق كتاب (فتوح البلدان للبلاذري)، كما شارك وأشرف على تحقيق (تاريخ الطبري)، وهو غزير الإنتاج.

3) سنوك هورخرونيه (1857م- 1936) Christiaan Snouk Hurgronje

ولد في 8 فبراير 1857م، درس اللاهوت ثم بدأ دراسة العربية والإسلام على يد المستشرق دي خويه، ودرس كذلك على يد مستشرقين آخرين منهم المستشرق الألماني نولدكه، كانت رسالته للدكتوراه حول الحج إلى مكة المكرمة عام 1880م. عمل مدرساً في معهد تكوين الموظفين في الهند الشرقية (إندونيسيا)، أعلن إسلامه وتسمى باسم عبد الغفار وسافر إلى مكة المكرمة وأمضى فيها ستة أشهر ونصف، تعرف خلال هذه الفترة على عدد من الشخصيات في مكة، وبخاصة الذين تعود أصولهم إلى الجزر الإندونيسية، جمع مادة كتابه عن مكة المكرمة.

انتقل إلى العمل في إندونيسيا لخدمة الاستعمار الهولندي حيث عمل مستشاراً لإدارة المستعمرات في عام 1891م، يعد سنوك نموذجاً للمستشرق الذي خدم الاستعمار خدمات كبيرة وسخّر علمه لهذا الغرض.

4) ارنت فنسنك (1882م- 1939م) Wensink Arnet Jan

تتلمذ على يد المستشرق هوتسمان، ودي خويه، وسنوك هورخرونيه، وسخاو.حصل على الدكتوراه في بحثه (محمد واليهود في المدينة) عام 1908م. بدأ في عمل معجم مفهرس لألفاظ الحديث الشريف مستعيناً بعدد كبير من الباحثين،

وتمويل من أكاديمية العلوم في أمستردام، ومؤسسات هولندية، وأوروبية أخرى، وأصدر كتاباً في فهرسة الحديث ترجمه فؤاد عبد الباقي بعنوان (مفتاح كنوز السنة) أشرف على طباعة كتابات سنوك هورخرونيه في ستة مجلدات، له مؤلفات عديدة منها كتاب في (العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي).

من مؤلفاته:

- "العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي" باللغة الانجليزية.
- فكر الغزالي.
- أساطير القدسين الشرقيين.
- الأقيانوس في كتب الساميين الغربيين[1].

المدرسة الإسبانية:

نشأ الاستشراق الإسباني في أحضان حركة عدائية لكل ما هو عربي ومسلم، وكان هدفها التحقير والانتقام والتشويه، وقد وصف المستعرب الإسباني خوان غويتسولو في كتابه (في الاستشراق الإسباني)[2] نماذج من هذا النوع حين يكتبون عن الإسلام والمسلمين بقوله إنهم "إنما يكتبون ويتصرفون وينطقون باسم المسيحية في مواجهة حضارة متدنية، وفي أفضل الأحوال، فإن استحضار الماضي المجيد الذي عرفه العالم الإسلامي يدفعهم إلى التفجع على نحو متحذلق على الانحطاط الحالي (انحطاطا كان في رأيهم محتما ولا مناص منه) وعلى عجزه الطبيعي عن هضم التقدم الأوروبي" ووصف غويتسولو دراسات المستشرقين الأسبان للغات الإسلامية بأنهم يدرسونها كما لو كانت "لغات حضارات منقرضة، ومقطوعة عن اللغات الحالية التي هي وريثها الشرعي، حاكمين عليها بذلك بأن تشكل عدماً أو ما هو أقل من العدم".

---

(1) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص277 م س.

(2) خوان غويتسولو: في الاستشراق الاسباني، ترجمة كاظم جهاد بيروت، 1987م، ص165

وقد اختلط الدافع الديني الحاقد بدافع استعماري سياسي، حينما بدأت حركات الاحتلال الأوروبي للعالم الإسلامي وطمعت إسبانيا في المناطق المجاورة لها، فجندت مستشرقيها لإعداد الدراسات لمعرفة مواصفات السكان وطبائعهم وتجارتهم وزراعتهم، وكذلك معرفة اللغات واللهجات المحلية، وقد أنشأت الحكومة الأسبانية العديد من المراكز لتعليم العربية العامية والمغربية، وقد تجاوزت خمسين مدرسة. وما تزال إسبانيا تحتفظ بالكثير من المخطوطات العربية في مكتباتها الكبرى كمكتبة الاسكوريال ومكتبة مدريد الوطنية، ومكتبة جمعية الأبحاث الوطنية.

من أعلام الاستشراق الإسباني:

1) **مقيل آسين بلاثيوس (1871م- 1944م)Miguel Asin Placios:**

ولد في 5 يوليو 1871م بمدينة سرقسطة والتحق بكلية الآداب بجامعتها، بالإضافة إلى دراسته في المعهد المجمعي فتخرج فيه قسيساً، درس اللغة العربية على يد المستشرق ريبرا، التحق بجامعة مدريد للحصول على درجة الدكتوراه وكانت عن الغزالي، تولى كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد، من أبرز إنتاجه العلمي، بحثه المعنون (الرشدية اللاهوتية في مذهب القديس توما الإكويني) وبحثه عن تأثر الشاعر الإيطالي دانتي بعنوان (الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية)، وأبدى اهتماماً بابن حزم والقرطبي وأبي حامد الغزالي.

شارك مع المستشرق ريبرا في إصدار مجلة الثقافة الإسبانية 1906م-1909م. واختير عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم الأخلاقية سنة 1912م وكذلك عضواً في الأكاديمية الإسبانية عام 1919م.

ثم توّج دراسته عن ابن عربي بكتاب El Islam Cristianizado الذي ترجم بعنوان "ابن عربي حياته ومذهبه " القاهرة سنة 1965 وقد ظهر في 1931.

وتابع أسين دراسة التأثيرات الإسلامية في الفكر الأوربي، فكتب في 1933بحثا بعنوان "مفكر مسلم اندلسي يؤثر في القديس يوحنا الصليبي" وفيه يدرس تأثير ابن عباد الرندي في يوحنا الصليبي"[1].

2) سيكودي لوثينا باريديس Secode Lucena Paredes

ولد في غرناطة، ودرس الفلسفة في كلية الآداب في جامعة غرناطة، عمل مستشاراً للثقافة والتعليم في الإقامة الإسبانية في المغرب، عيّن أستاذاً للغة العربية بجامعة غرناطة عام 1942م، ثم مديراً لمعهد الدراسات العربية بالمدينة نفسها، ثم عمل رئيساً لقسم الدراسات العربية في معهد الدراسات الإفريقية بمدريد، انتخب عضواً في مجمع الفنون الجميلة، له إنتاج غزير في مجال تحقيق المخطوطات وفي البحوث حول الشريعة الإسلامية وكذلك التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية.

3) إميليو جارثيا جوميز Emilio Varcia Gomez

ولد في مدريد ودرس في جامعتها، عمل أستاذاً بجامعة غرناطة وبجامعة مدريد. تولى إدارة المعهد الثقافي الإسباني، زار سوريا ولبنان، انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1948م، عمل سفيراً لبلاده في بغداد وفي لبنان، له دراسات عديدة في الأدب العربي وترجمات لبعض الشعر العربي إلى الإسبانية.

4) بوش فيلا (1922) Villa Bosch:

ولد في فيجراس عام 1922م، درس في جامعة برشلونه فقه اللغات السامية وحصل على الدكتوراه من جامعة مدريد بعنوان (الإقطاع، مملكة الطوائف على عهد بنو رزين) عمل في تدريس اللغة العربية في كل من جامعتي برشلونة وجامعة سرقسطة، تولى منصب أستاذ مساعد للتاريخ والنظم الإسلامية بجامعة مدريد

(1) بدوي عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، ص89 م س

وعمل أمين مكتبة معهد الدراسات العربية بمدريد ودرّس التاريخ والنظم الإسلامية بجامعة غرناطة.

تولى رئاسة الجمعية الإسبانية للمستشرقين، وهو عضو جمعية شمال أمريكا لدراسات الشرق الأوسط، تركزت بحوثه في مجال الدراسات الإسلامية والجغرافيا والتاريخ كما اهتم بقضايا العالم العربي المعاصرة.

5) فيدريكيو كورينتي:

ولد في غرناطة في 1940/11/14م درس اللغات الشرقية في جامعة مدريد، حصل على الدكتوراه في علم اللغة، عمل مديراً للمركز الثقافي في القاهرة 1962م- 1965م، تولى منصب أستاذ اللغة الإسبانية في مدرسة الألسن العليا بجامعة عين شمس في الفترة نفسها، وترأس قسم اللغة الاسبانية بجامعة محمد الخامس بالرباط عام 1965م- 1968م، عمل في جامعة فيلاديلفيا أستاذاً للغات الشرقية والعربية، أستاذ كرسي اللغة العربية بجامعة سرقسطة منذ عام 1976م Fedrico Coriente.

دول أوروبا الأخرى:

1) بول كراوس (1904م- 1944م)Kraus Paul Eliezer

ولد سنة 1904م في براغ بتشيكوسلوفاكيا لأسرة يهودية، هاجر إلى فلسطين ليعيش في إحدى المستعمرات ودرس في مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في القدس، ثم انتقل إلى برلين ليحصل من هناك على درجة الدكتوراه، اهتم بالتراث العلمي الإسلامي وكانت له دراسات حول جابر بن حيّان والبيروني والرازي، أسهم مع ماستيون في دراسة الحلاج، كما كان له دراسة

مستقلة حول تاريخ الإلحاد في الإسلام ترجمت إلى العربية ونشرها الدكتور عبد الرحمن بدوي، مات منتحراً[1].

2) هنري لامانس (1862– 1937) Henry Lammens

ولد في مدينة خنت في بلجيكا في 1862/7/1م، تعلم في الكلية اليسوعية في بيروت وبدأ حياة الرهبنة فيها، يقول عنه عبد الرحمن بدوي، بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجاً سيئاً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين، عمل معلماً في الكلية اليسوعية في بيروت حيث درّس التاريخ والجغرافيا، ثم أصبح أستاذاً للتاريخ الإسلامي في معهد الدروس الشرقية في الكلية نفسها.

تولى رئاسة تحرير مجلة الشرق، وتولى كذلك إدارة مجلة تنصيرية أخرى هي البشير. له كتابات حول السيرة النبوية وحول الخلفاء الراشدين والدولة الأموية[2].

وقد تحامل لامنس في كتاباته على السيرة النبوية تحاملا شديدا، دون أدنى سند علمي أو برهان عقلي، وقد دفعه تعصبه الأعمى الى الإفتراء على الإسلام، وبلغت كرهيته له حدا يفوق الوصف[3].

3) بوهل(1850م– 1932م)F. Buhl:

ولد في كوبنهاجن بالدنمارك، درس اللاهوت وتعلم العربية، درس بجامعتي فينا وليبزيج، زار العديد من البلاد العربية والإسلامية منها مصر وفلسطين وسوريا

(1) عبد الرحمن بدوي:موسوعة المستشرقين ص325– 326– 326 بتصرف م س

(2) عبد الرحمن بدوي:موسوعة المستشرقين، مرجع سابق. وبالرغم من أن كثيراً من المستشرقين ينتقدون منهج لامانس لكنك تجدهم يرجعون إليه ويستندون إلى بعض آرائه ومن هؤلاء توماس آرنولد في كتابه (الخلافة)

(3) عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين،ص 184 م س

ولبنان وتركيا، نال الدكتوراه في النحو العربي وتاريخ اللغة، عمل أستاذاً "للمعهد القديم" بجامعة كوبنهاجن، من آثاره كتابه عن الرسول، ترجم معاني بعض أجزاء من القرآن الكريم إلى اللغة الدنماركية. له كتاب في جغرافية فلسطين القديمة، وكتاب "حياة محمد"، كما حرر عددا من المواد لدائرة المعارف الإسلامية[1].

4) إجناز جولدزيهر(1850م– 1921م)Goldziher Ignaz

ولد في 22 يونيه 1850م لأسرة يهودية، درس في بوادبست ثم برلين ثم انتقل إلى جامعة ليبسك والتحق فيها بقسم الدراسات الشرقية، رحل إلى القاهرة وسوريا وحضر بعض الدروس في الأزهر، عمل في جامعة بودابست في مجال الدراسات العربية والإسلامية، أصبح أستاذاً للغات السامية عام 1894م. كتب كثيراً حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً، وكان له تأثير في الدراسات الاستشراقية حتى يومنا هذا حيث انتشرت كتبه في مختلف اللغات الأوروبية، وما تزال جامعة برنستون مثلاً تقرر كتابه دراسات إسلامية في مناهج قسم دراسات الشرق الأدنى حيث قامت الجامعة بنشر ترجمة جديدة لهذا الكتاب مع تعليقات المستشرق برنارد لويس.

وقد كان منهجه في الدراسة منهجا استدلاليا يعتمد كثيرا على البصيرة والوجدان، وهو منهج وسط استطاع أن يتجنب خطرين: خطر الضيق والسطحية في المنهج العلمي بالمعنى الدقيق، وخطر الإفراط في السعة والتأويلات البعيدة الخالية في المنهج الوجداني الاستدلالي[2].

وعني جولد زيهر أيضا بنشر بعض الكتب المهمة، فنشر كتاب المعمرين، لأبي حاتم السجستاني سنة 1899، وقدم له ببحث في هذا النوع من المؤلفات ذكر فيه من كتب كتبا من هذا النوع باللغة اليونانية أمثال لوقيان وفليجون الترلي

(1) عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين، ص107
(2) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص121– 122 م س

Lucian Phlegon aus Tralles، وكتب جولد زيهر مقدمة كتاب "التوحيد" لمحمد بن تومرت مهدي الموحدين وقد نشره سنة 1903 بمدينة الجزائر، وأخيرا نشر جولد تسيهر نشرته القيّمة لفصول من كتاب "المستضهري" في الرد على الباطنية للغزالي 1916 بمدينة ليدن، وفي مقدمة هذه النشرة تحدث عن فكرة الاجتهاد والتقليد.

ولكن أشهر أبحاث جولد زيهر وأعظمها نضوجا وتأثيرا كتاباه المشهوران: "محاضرات في الإسلام" المطبوع بمدينة هيدلبرج 1910والمعروف باسم "العقيدة والشريعة في الإسلام" وقد ترجم إلى العربية على يد ثلاثة من علماء الأزهر، تعاونوا على نقله إلى المكتبة الإسلامية في ترجمة دقيقة أمينة، القاهرة 1946 و"اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين "المطبوع سنة 1920 . وبعدها توفي جولد زيهر في عام 1921[1].

– الاستشراق في العالم الإسلامي:

حرص الأوروبيون والأمريكيون على إنشاء مراكز للدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي لتكون أقرب إلى هذه البلاد ويستخدمها الطلاب والباحثون الغربيون كمراكز للبحث والدراسة ولتعلم اللغات الإسلامية، ولنشر الثقافة الغربية، وقد بدأ الغرب في إنشاء هذه المراكز منذ القرن التاسع عشر حيث أنشأت البعثات التنصيرية الغربية الكليات والجامعات ومراكز البحوث وفيما يلي بعضها:

- فرنسا:

1. المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة (1880م)
2. معهد الدراسات العليا في تونس (1945م)

(1) عبد الحميد صالح حمدان:طبقات المستشرقين ص115– 116 م س

3. معهد الدراسات المغربية – الرباط (1931م)
4. المعهد الفرنسي في دمشق (1930م)

ويتبع السفارات الفرنسية في أنحاء العالم مراكز ثقافية تقدم دورات في اللغة الفرنسية والحضارة الفرنسية، كما تقدم معلومات عن فرنسا.

- بريطانيا:

1. مركز الدراسات العربية في الشرق الأوسط شملان بلبنان
2. كلية دلهي (1792م– 187م)
3. كلية فورت– وليام ب كلكتا بالهند (1799م– 1836م)
4. كلية الملكة فيكتوريا وهي مدرسة ثانوية بمصر ودرس بها كثير من أبناء الطبقة الثرية في أنحاء العالم العربي، والتعليم فيها باللغة الإنجليزية.

وللسفارة البريطانية في كل بلد مركز ثقافي يتبع المجلس الثقافي البريطاني ويقدم دورات في تعليم اللغة الإنجليزية، ولديهم مكتبة يقضي فيها الشباب أوقات فراغهم، ولا بد أنهم يحتكون ببعض الإنجليز العاملين في هذه المراكز. معهد الدراسات المغربية في تطوان.

- الولايات المتحدة الأمريكية:

1. الجامعة الأمريكية – بيروت.
2. الجامعة الأمريكية– القاهرة.
3. الكلية الأمريكية ببيروت – وهي مدرسة ثانوية درس فيها بعض كبار المسؤولين في العالم العربي.
4. جامعة الشرق الأوسط باسطنبول بتركيا.

5. مدرسة الدراسات الشرقية الأمريكية بالقدس.
6. المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية ببغداد.
7. معهد الدراسات اليمنية في صنعاء باليمن.

ولأمريكا معاهد لتعليم اللغة العربية لموظفي سفاراتها في العالم العربي في كل من تونس وفاس بالمغرب، واليمن وكذلك لإجراء البحوث والدراسات على المجتمعات العربية الإسلامية.

لم يكن المجتمع العربي الإسلامي يشكل في وعي أوربا المسيحية في القرون الوسطى تصورا أحاديا، بل كانت ثلاثة تصورات أساسية تؤسس وعي أوربي آنذاك رغم ما وجد في أذهان العامة من صور خيالية من جراء الحروب الصليبية.

أولا: كان الآخر (العرب الإسلام) إقليميا واقتصاديا من حيث أنه منطقة عبور للتجارة العالمية.

ثانيا: المجتمع العربي الإسلامي المختلف سياسيا وإيديولوجيا والمنافس الوحيد لأوربا الرومانية والبيزنطية في السيطرة على العالم، يمثل بنية سياسية وإيديولوجية عدائية.

ثالثا: الحضارة العربية الإسلامية متفوقة ثقافيا وعلميا، لهذا يجب احتوائها، وهذا التصور كان دافعا معرفيا قويا لنشأة الاستشراق.

بدأ الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية من قبل الأوربيين في القرن الثاني عشر الميلادي بحيث أخذت تتشكل في أذهان المفكرين الغربيين صورة أخرى عن المجتمع العربي الإسلامي بوصفه مهدا لفلاسفة عظام، وهي صورة أخرى مختلفة عن الصورة التي شكلتها الإيديولوجية الصليبية، والإيديولوجية الوضعية اللتان كان منطقهما واحدا رغم الاختلاف الصوري بين الإيديولوجيتين.

لكن بالنسبة للفلسفة المسيحية الوسطية فقد تأثرت بالفلسفة العربية الإسلامية، وذلك عبر الترجمات التي نقلت لمؤلفات كبار الفلاسفة المسلمين إلى اللغة اللاتينية ومعها معظم اشكالياتها الفلسفية، خاصة أن طرق البحث آنذاك كانت تعتمد على التقليد والنقل[1].

لكنه استشراق متميز عن الاستشراق الذي رافق القرن التاسع عشر، لأنه اهتم بالترجمة والنقل وجمع المعلومات عن الشرق (العربي الإسلامي) وثقافته محاولا احتواء عقلانيته، وترويضها استجابة لبنية الثقافة الغربية، "لهذا يمكن تسمية المحاولات الأولى في عملية الاحتواء هذه الاستشراق الكلاسيكي.أما المحاولات الثانية التي شكلت صورة منمطة عن الثقافة العربية الإسلامية والشرقية في الوعي التاريخي والثقافة الغربية – يحركها في ذلك هاجس الهيمنة والسيطرة على العالم من أجل عولمة الثقافة الغربية فقد اصطلحنا تسمية الاستشراق الوضعي[2] لتشكله وتكونه في بنية الخطاب الفلسفي الوضعي الذي شكل الوعي التاريخي الغربي الحديث والمعاصر".

أثر الاستشراق في العالم الإسلامي:

قدّم الاستشراق خدمات كبيرة للغرب النصراني في خدمة أهدافه التي قام من أجلها من أهداف دينية وسياسية واقتصادية واستعمارية وثقافية. وعندما استغنى الغرب عن مصطلح الاستشراق، وأنشأ أقسام دراسات الشرق الأوسط، أو الشرق الأدنى، أو مراكز البحوث المختلفة فما زالت الأهداف القديمة موجودة، ولكنّه في الوقت نفسه أثّر تأثيرات سلبية في العالم الإسلامي في المجالات العقيدية، التشريعية، والسياسية، والاقتصادية والثقافية.

---

(1) منير بهادي: الاستشراق والعولمة الثقافية– دار الغرب للنشر والتوزيع– وهران، ط1، 2002، ص64

(2) منير بهادي: الاستشراق والعولمة الثقافية،ص36

وفيما يأتي أبرز هذه الآثار:

الآثار العقيدية:

من أبرز الآثار العقيدية للاستشراق في العالم الإسلامي، ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين وحتى الناس العاديين أو العامة الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة، أو ما يطلق عليه العلمانية. فالعقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل وبالتصور العام الذي جاء به الإسلام للخالق سبحانه وتعالى والكون والإنسان. فلمّا وجدت أوروبا أنّ الديانة النصرانية المحرفة تعيق تقدمها ونهضتها، ظهر فيها التيار الذي أطلق عليه التنوير، منادياً بفصل الدين عن الحياة، أو قصر الدين على الشعائر التعبدية والعلاقة بين الله والإنسان. أما شؤون الحياة الأخرى من سياسة واقتصاد واجتماع فلا علاقة للدين به. ونظراً لأن أوروبا لم تعرف النصرانية الحقيقية أو الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام بما أحدثه بولس وغيره فيها من تحريفات، فإنّ ما ينطبق على أوروبا لا يمكن أن ينطبق على الإسلام.

ونهضت أوروبا نهضتها بمحاربة الدين والكنيسة، وبلغت الذروة في هذه الحرب في الثورة الفرنسية. وقد أثر الاستشراق في هذا المجال عن طريق البعثات العلمية التي انطلقت من العالم الإسلامي إلى فرنسا كما يقول الشيخ محمد الصبّاغ "إنّ إفساد الطلبة المبعوثين لم يكن ليتحقق في بلد من البلاد الأوروبية كما كان يمكن أن يتحقق في فرنسا التي خرجت من الثورة الفرنسية وهي تسبح في بحور من الفوضى الخلقية والفكرية والاجتماعية... من أجل ذلك كانت فرنسا محل البعثات"[1]. فانطلقت هذه البعثات من تركيا ومن مصر ومن إيران ومن المغرب. وقد أشرف على هذه البعثات مستشرقون فرنسيون، أمثال جونار الذي أشرف على البعثة المصرية. يقول أحد المستشرقين عن البعثات الأولى أنها كانت لدراسة

(1) محمد الصباغ: الابتعاث ومخاطره – دمشق– المكتب الإسلامي، 1398هـ– 1978م، ص 29– 30.

الهندسة والفنون الحربية، ولكن المعلمين الفرنسيين كانوا حريصين على أن ينقلوا إلى الطلاب المسلمين الآداب الفرنسية والثقافة الفرنسية[1].

وقد حرص الاستشراق والتنصير على إنشاء المدارس والجامعات الغربية في العالم الإسلامي، فمن ذلك الكلية الإنجيلية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية التي لها فروع في كل من القاهرة، وبيروت، واسطنبول، ودبي، بالإضافة إلى كلية فيكتوريا (مدرسة ثانوية) والكلية الأمريكية في بيروت (مدرسة ثانوية) وقد زعم كرومر Cromer في احتفال بمدرسة فيكتوريا، بأن الهدف من هذه المدرسة وشبيهاتها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسراً بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين، ولعلها عبارة ملطّفة لتكوين جيل ممسوخ لا يعرف ثقافته ولا عقيدته[2]. وقد وصف الشيخ سعيد الزاهري التلاميذ الجزائريين الذين درسوا في المدارس الفرنسية في الجزائر، و"أطلق عليها خداعاً المدارس العربية، بأنهم لا يصلون ولا يصومون ولا يتحدثون اللغة العربية فيما بينهم، ولا يؤمنون بأن القرآن الكريم وحي من الله..."[3].

الآثار الاجتماعية:

تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زال الاستشراق حريصاً على تحقيقها في العالم الإسلامي، فقد اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية: ومعرفتها معرفة وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح. وإن دوافعهم لهذا تنطلق من النظرة الاستعلائية الغربية، بأن المجتمعات الغربية وما ساد فيها من فلسفات ونظريات هي المجتمعات الأرقى في العالم. وقد تمكّن الاستعمار بالتعاون مع الاستشراق في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد التي وقعت تحت الاحتلال

---

(1) Bernard Lewis, " The Middle East Versus The West." In Encounter .. Vol Xxl, no.4 October1963.pp. 21– 29

(2) محمد محمد حسين:الإسلام والحضارة الغربية، – مؤسسة الرسالة–بيروت، ط51402– 1982) ص 46.

(3) محمد السعيد الزاهري: الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير– دار الكتب الجزائرية– الجزائر، بدون تاريخ، ص108

الغربي. ففي الجزائر مثلاً حطم الاستعمار الملكيات الجماعية أو المشاعة للأرض وذلك لتمزيق شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الانسجام والوئام[1].

وقد تعاون الاستشراق والاستعمار على إحداث النزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية، كما حدث في المغرب العربي أيضاً بتقسيم الشعب المغربي إلى عرب وبربر، والتركيز على فرنسة البربر وتعليمهم اللغة الفرنسية ونشر الحملات التنصيرية في ديارهم. وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع هذه النزعة.

ومن الجوانب الاجتماعية التي عمل فيها الاستشراق على التأثير في المجتمعات الإسلامية البنية الاجتماعية وبناء الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمعات الإسلامية. فقد اهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة التي ظهرت في كتابات قاسم أمين والطاهر الحداد ونوال السعداوي وهدى الشعراوي وغيرهم.

ويرى الدكتور محمد خليفة أن موقف الاستشراق من المرأة المسلمة نابع من وقوعه "تحت تأثير وضع المرأة الغربية أنها نموذج يجب أن يحتذى به، وأن ما حققته من مساواة وحقوق، في نظرهم، يجب أن يتسع ليشمل المرأة المسلمة والمرأة الشرقية العامة... ويضيف خليفة بأن الاستشراق يسعى "إلى تقويض وضع المرأة المسلمة داخل الأسرة على التمرد على النظام، والخروج باسم الحرية، وتصوير وضع المرأة المسلمة تصويراً مزيفاً لا يعكس الحقيقة""[2].

---

(1) مازن مطبقاني، : الحياة الاجتماعية في المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق،، المنهل(جدة) عدد471، م 50 رمضان /شوال 1409، ص 352- 362.

(2) محمد حسن خليفة: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية – عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية– القاهرة، 1997، ص 64.

وقد أنشئت رابطة دراسات المرأة في الشرق الأوسط ضمن تنظيم رابطة دراسات الشرق الأوسط الأمريكية، وهي التي تهتم بأوضاع المرأة المسلمة وتشجع اتجاهات التغريب من خلال مجلتها ربع السنوية واجتماعاتها في إطار المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط وذلك بدعوة الباحثات المسلمات اللاتي يتبنين الأفكار الغربية من أمثال نوال السعداوي، وفاطمة المرنيسي وحنان الشيخ وغيرهن، ومن خلال تنظيم الندوات حول وضع المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية.

ويقوم الاستشراق الإعلامي بدور بارز في الترويج للفكر الغربي في مجال المرأة. ومن ذلك الصحافة الغربية والإذاعات الموجهة، فمن الكتب التي قدمت هيئة الإذاعة البريطانية عروضاً لها كتاب (ثمن الشرف) للكاتبة البريطانية الأصل جان جودون Jan Goodwin التي تناولت فيه دراسة أوضاع المرأة في خمس دول إسلامية هي باكستان، وأفغانستان، والكويت، ومصر، والمملكة العربية السعودية. وقد خلطت الكاتبة فيه بين موقف الإسلام من المرأة وبعض التطبيقات الخاطئة في هذه الدول، ومن المعروف أن الإسلام حَكَمٌ على أهله وليس سلوك المسلمين حجة على الإسلام.

وقد قدمت إذاعة لندن في شهر جمادى الأولى تقريراً عن ندوة تعقد في إحدى الدول العربية حول موضوع المرأة. قدمت تصريحاً لمسؤول في تلك الدولة يزعم فيه أن بلاده وتركيا هما الدولتان الوحيدتان اللتان أصدرتا قوانين تحرّم تعدد الزوجات، وتعطي المرأة كثيراً من الحقوق لمساواتها بالرجل. وكانت الإذاعة قد قدمت تقريراً عن مؤتمر عقد في قطر للمرأة المسلمة وعرضت أخبار هذه الندوة بكثير من السخرية ومن ذلك وصفها لانتقال النساء في حافلات ذات ستائر غامقة اللون حتى لا يراهن أحد، بالإضافة إلى عبارات أخرى مليئة بالاستهزاء من موقف الإسلام من المرأة.

الآثار السياسية والاقتصادية:

يزعم الغربيون أن الديموقراطية الغربية هي أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن، ولذلك فهم يسعون إلى أن يسود هذا النظام العالم أجمع، ومن بين الدول التي يريدون لنظامهم أن يسودها البلاد الإسلامية، وقد سعوا إلى هذا من خلال عدة سبل وأبرزها هو انتقاد النظام السياسي الإسلامي. وقد ظهرت كتب كثيرة عن نظام الخلافة الإسلامي وافتروا على الخلفاء الراشدين بزعمهم أن وصول الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إلى الخلافة كان نتيجة لمؤامرة بين الاثنين[1]. وكتب مستشرقون آخرون زاعمين أن النظام السياسي الإسلامي نظام قائم على الاستبداد وفرض الخضوع والمذلة على الشعوب الإسلامية[2]. بل بالغ لويس في جعل النظام السياسي الإسلامي يشبه النظام الشيوعي في استبداده وطغيانه[3].

وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاستعمار الغربي بالفكر السياسي الغربي بأن قامت باستيراد النظام البرلماني دون أن يتم إعداد الشعوب العربية لمثل هذه الأنظمة فكانت كما قال أحد المستشرقين بأن العرب استوردوا برلمانات معلبّة دون ورقة التعليمات[4]. وما زالت هذه البرلمانات في البلاد العربية يتحكم فيها الحزب الحاكم الذي لا بد أن يفوز بأغلبية المقاعد بأية طريقة كانت. ومع ذلك فما زال الغرب حريص على نشر الديموقراطية، وقد كانت تصريحات الساسة الغربيين بأن (حرب الخليج الثانية) ستكون مناسبة لفرض الديموقراطية في العالم العربي وستكون البداية في الكويت[5].

---

(1) Thomas Arnold. The Caliphate. (Lahore: 1966)p.25

(2) Bernard Lewis." On The Quietist and Activist Tradition in Islamic Political Writing. In Bulletin of S. O. A. S Vol. XLIX Part 1, 1986.p.141 .

(3) B. Lewis." Communism and Islam. " in International Affairs. Vol. 30, 1954.pp.12 -1

(4) برنارد لويس: الغرب والشرق الأوسط. ترجمة نبيل صبحي. القاهرة: المختار، ص79.

(5) Washington Times, February 2,1991.And Washington. February 19,1991. Post

ومن الحقائق المثيرة للانتباه أن تركيا كانت من أقدم الدول الإسلامية تغرباً وتطبيقاً للنظام الديموقراطي ولكن عندما وصل الإسلاميون للحكم وانقلب السحر على الساحر – كما يقال – قلبت الدول الغربية لنظامهم الديموقراطي، ظهر المجن وسعوا إلى تأييد العسكر في كبت الحريات ومصادرة الديموقراطية.

أما في المجال الاقتصادي فإن الغرب سعى إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي الاشتراكي والرأسمالي وذلك بمحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي وكما يقول محمد خليفة "إنّ المستشرقين في سعيهم للترويج للفكر الاقتصادي الغربي قاموا ب "إعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والشيوعية" كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنهما لا يمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي"[1].

وكان من نتائج الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم الإسلامي، أن انقسم العالم الإسلامي على نفسه، فأصبح قسم منه يدور في الفلك الشيوعي، والقسم الآخر في الفلك الرأسمالي، ولعل من طرائف المواقف الاستشراقية أن تسعى الدول الغربية إلى بث النظام الاشتراكي في بعض الدول العربية كما أشار أحد الباحثين بتدريس الاقتصاد الاشتراكي والترويج بأن التنمية الحقيقية في العالم العربي تتطلب تأميم وسائل الإنتاج، وأن الحرية الاقتصادية الغربية لا تناسب مراحل التنمية الأولى[2].

وكان من تأثير الاستشراق أيضاً تشجيع الصناعة في البلاد الإسلامية دون الاستعداد الكافي لها، وإهمال قطاع الزراعة فقد اقتنع العالم العربي بأن النهضة الحقيقية إنما تكون في الصناعة، ولذلك أهملت الزراعة إهمالاً شبه كلي، مع أن نهضة الغرب الصناعية بدأت بالاهتمام بالزراعة وما زال الغرب يسيطر على إنتاج الحبوب والمواد الغذائية الأساسية في العالم.

---

(1) محمد حسن خليفة: الآثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال الثقافي والفكري، مرجع سابق، ص 79.

(2) محمد قطب: واقعنا المعاصر – مؤسسة المدينة المنورة للنشر والتوزيع–جدة– 1407هـ/1987م ص.324 وما بعدها.

الآثار الثقافية والفكرية:

حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي، فبعد أن كان القرآن الكريم والسنّة المطهرة وتراث علماء الأمة الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيداً. وقد عاش المسلمون على هدي من هذه المصادر في جميع مجالات الحياة أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى.

أو في منهجية فهم هذه المصادر ومنهجية التعامل معها كما أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية الأخرى كالتاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الإنسان أو غيره من العلوم.

وقد استطاع الاستشراق تحقيق هذا النجاح بما توفر له من السيطرة على منابر الرأي في العالم الإسلامي.فقد أنشأ الغرب العديد من المدارس، كما أنّ العديد من أبناء الأمة الإسلامية تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية (الأوروبية والأمريكية). ولمّا كانت بعض البلاد العربية والإسلامية خاضعة للاحتلال الأجنبي، فقد مكّن لهؤلاء الذين تعلموا في مدارسه. فما زالت الصلة قوية فيما بين الطلبة الذين تخرجوا في كلية فيكتوريا بعد أن تسلم كثير منهم مناصب حسّاسة في بلادهم.

ومن المنابر التي استطاع الغرب أن ينشر من خلالها الثقافة والفكر الغربيين وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز ونشر بأشكاله المتعددة. فقد أنشئت الصحف والمجلات التي تولى رئاسة تحريرها أو عملية الكتابة فيها كثير من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية[1].

(1) للمزيد يمكن مراجعة الكتب الآتية: الاستشراق بين الحقيقة والخيال مدخل علمي لدراسة الاستشراق لإسماعيل، علي محمد. وكتاب: الاستشراق الإسرائيلي"في الدراسات العبرية المعاصرة" محمد جلال إدريس.وكتاب الفصحى لغة القرآن. الموسوعة الإسلامية العربية لأنور الجندي

وكان للاستشراق دوره في مجال الأدب شعراً ونثراً وقصة، فقد استغلت هذه الوسائل في نشر الفكر الغربي العلماني وبخاصة عن طريق ما سمي "الحداثة" التي تدعو إلى تحطيم السائد والموروث، وتفجير اللغة وتجاوز المقدس ونقد النصوص المقدسة. وقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة ولم يتيحوا لأحد سواهم أن يقدم وجهة نظر تخالفهم وإلا نعتوه بالتخلف والرجعية والتقليدية وغير ذلك من النعوت الجاهزة.

وقد انتشرت في البلاد العربية الإسلامية المذاهب الفكرية الغربية في جميع مجالات الحياة في السياسة والاقتصاد، وفي الأدب وفي الاجتماع، وفي الأدب ظهر من نادى بالنظريات الغربية في دراسة اللغة وفي الأدب وفي النقد الأدبي؟ وأخذ كثيرون بالنظريات الغربية في علم الاجتماع وفي التاريخ وفي علم النفس وفي علم الإنسان وغير ذلك من العلوم[1].

(1) خليفة محمد حسن: الآثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال الثقافي والفكري، مرجع سابق، ص 87إلى 100.

الفصل الثاني

فلسفة الاستشراق

الفصل الثاني
فلسفة الاستشراق

تعد قضية الاستشراق من أهم القضايا التي تثار عند الحديث عن العلاقة بين الشرق والغرب، وتكمن أهميته في طبيعة التعامل الذي يجب أن يكون عند هذا الحديث، كما نستشعر من خلاله ذاتنا وذلك نظرا للدراسات الكثيرة التي قام بها المستشرقون، في مجال فكرنا على اختلاف أنواعه وميادينه والتي من بينها الأدب والعلم والفلسفة وغيرها.

يستمد الاستشراق فلسفته من مشارب متعددة، تحاول أن توطّن دائما منطق السيطرة على اختلاف مستوياتها. فهو يستخدم السلطة العقلية والنظام الاجتماعي ودربة الوعي حتى يحقق ذاته من الأخر.

ولذلك نجد جو الممارسة الذكورية على المشرق والاستعلاء العرقي المبني على هذه الفلسفة التأسيسية.

لقد كان من المبررات التي أوجدتها أوربا لتكوين الدرس الشرقي والاهتمام به، ذلك التفاعل الذي حدث عبر التاريخ – فراحت تلاحظ تلك القفزات المقلقة لعرب الشرق، والتفوقات التي أنجزوها عبر تاريخ.كما كانت شاهدة عبر تاريخه على تلك العبقرية التي تميّز بها. فقد جمع هذا الدين الجديد أي الإسلام، عرب قبائل كانت لا تعرف من يومها إلا الاستعداد لمعارك بينها، وبين قبائل عربية أخرى، ولم يكن دافع الاستعداد كافيا، فتارة من أجل ناقة جرباء وأخرى من أجل سباق بين فرسين (الباسوس وداحس والغبراء).

وكم سعى الروم في كثير من الأحايين إسقاط فكرة التقارب بين العرب، بل كانوا يدركون خطورة التفكير في ذلك فراحوا يدسّون في الطرفين من يطفئ

جذور الوحدة – (مقتل أبي امرئ القيس– صرخة إباء عربي)– وذلك بتجنيد الروم للغساسنة والفرس للمناذرة.

وكان – مما أثار انتباه الغرب – في الإسلام أنّه " قد ظهر إلى حيز الوجود بإرادة خارقة، وصعد بالعرب من قاع البداوة إلى قمة الحضارة وبطريقة مدهشة نو أضاء إيمانه أركان العالم بسرعة مذهلة، وطبق مبادئه بإنسانية نادرة، ورأى الناس الأمر يختلف عما ألفوا من قبل فذهلوا واستولت الدهشة عليهم واخذوا يرددون الأسئلة التي بدأت تراودهم عنه وتسيطر عليهم[1].

فلم يستوعب الغرب هذه النقلة القبلية وهذا التفكير الاجتماعي وهذا الوعي، فتشكلت في الذهنية الغربية أسئلة هامة، تدور في حلقة واحدة، تتمحور حول سبب حدوث هذا الأمر، – ماذا حدث؟– كيف حدث؟– لماذا حدث؟

وأخذوا في عجب يحققون. – من أين جاء؟ – أين لاح؟ – إلى أين يرمي؟

وشرعوا في رغبة ينقبون: – ما كتابه؟ – ما عناصره ؟ – من رسوله ؟ وما شريعته؟ – من اتباعه؟ – وما غاياتهم؟ وحاولوا أن يجيبوا عن كل سؤال على حدا[2].

ويظهر جليا انتصار هذا التحول الحضاري الجديد من خلال منجزات المسلمين عبر قرون حكمهم للعالم الوسيط، فقد اقام الإسلام حضارته على (أنقاض الحضارات السابقة، وتضمّن عناصر قديمة غيّر فيها تغييرا جزئيا، وأضاف أشياء جديدة من صنعه هو، والفصل بين تلك العناصر الجوهرية المختلفة وترتيبها، وتتبعها وتقدر علاقاتها الداخلية وارتباطاتها بعضها ببعض هو عمل العلم النزيه

(1) أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب العربي ص 192

(2) أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب العربي: ص 192

الذي لا شعار له سوى كلمة الصدق[1] فقد كانت كلمة كريمر تعبيرا عن اعتراف صريح بقيمة هذه الحضارة، وتأكيد على أن المنجزات كانت من صنعه هو(أي الإسلام).

وهنا لابد من وقفة أمام مختلف اللقاءات الحضارية التي سجل فيه المسلمون إنسانية هذا التحول. في العصور الوسطى المظلمة، والتي حققوا فيها طبيعة هذا الدين الجديد في مختلف الأقطار التي دخلوها. وقد تبلورت هذه الحياة الجديدة من خلال مختلف المنتجات التي أنتجوها وخاصة الفلسفة لأنها تعد وسيلة الإنسان الفريدة لكشف معميات الحياة كلها لكي يكون قادرا على تحمل أعبائها والاستفادة منها وتحديد مكانه فيها[2] إذ "الحكمة الفلسفية تنطوي على نوع من الفهم الأصيل للكون وللتجربة البشرية بأكملها[3].

فإذا كانت الفلسفة عند بعض المنظرين "دراسة المبادئ الأولى للمعرفة وتفسيرها عقليا[4] و كانت تبحث في طبيعة الوجود كما هو" "وبكلمة أخرى إنها تعد سبيلا لمعرفة الحقيقة، ومعرفتها تعد أساسا للعمل الحق[5]. وهذا على المستوى النظري – فإن الإسلام قد انزلها منازلها داخل المجتمع أو كما يتضح جليا من قول الإمام علي "رحم الله امرأ أعد لنفسه واستعد لربه، وعلم من أين؟ وفي أين؟ وإلى أين؟[6]".

---

(1) فون كريمر: الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ترجمة مصطفى طه بدر القاهرة ص52 نقلا عن كتاب أحمد سمايلوفيتش :فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب العربي ص141

(2) أحمد سمايلوفيتش :فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب العربي ص 192 م س

(3) ميد، هنتر الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص22. نقلا عن كتاب يحي مراد القراءات المستشرقين على الإسلام -دار الكتب العلمية -بيروت، ط1، ، 2004 ص144

(4) المعجم الوسيط 707/2 مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1960نقلا عن كتاب يحي مراد القراءات المستشرقين على الإسلام ص7

(5) محمود أمين العالم: معارك فكرية،– دار الهلال– القاهرة، 1970 ص 69/44

(6) جواد محمد مغنية:معالم الفلسفة الإسلامية– دار العلم للملايين– بيروت 1960 ص 15

فكذلك كانت الحكمة التي بثها الإسلام في نفوس أتباعه، متمثلة في حبهم للموت لتوهب لهم الحياة، وقد باعوا الدنيا واشتروا الآخرة، يقطع الواحد فيهم الأميال ويضرب أكباد الإبل لجمع صحيح أو تأليف معجم في الأنواء أو الإبل.

المتصفح لكتب المنصفين من الدارسين، والمؤرخين يجد أن البشرية تعلمت القيم وجمعت قاموسها في فترة حكم المسلمين للعالم، وأنّ أوربا تدين في كثير من جوانب حضارتها لمسلمي الأندلس وصقلية، وهذا ما دفع المستشرق الفرنسي دي سلان ماك جوين BARON MAC– GUCKIN DE SLANE إلى القول "إنّ أمة العرب، أمة تمتاز بكثير من الصفات، ولها دين جامع شامل، لا يعيبه إلا من يجهله، وصاحب دينهم محمد صلى الله عليه وسلم الفقير، وقبل أن تعرف الدين يجب أن تعرف من أتى به، وحقا أقول ليس كمحمد صلى الله عليه وسلم في سلسلة الأنبياء، ولا كشريعته في سلسلة الشرائع، لا نبالغ إذا قلنا إنّ محمدا صلى الله عليه وسلم خير من أتى بشريعة، ولقد وقف في وجه الطغاة من قريش، حتى أتم ما أراد، وبلغ منتهى الطريق الذي سلكه وعمل له، وإذا به وبشريعته يتمتعان بذكر عاطر وحديث حسن، وليس باستطاعتنا أن نثير عليهما غبار الانتقاص[1] ويعترف درمنجهام E.DERMENGHEM بسوء الفهم من أولئك الذين تهجموا على الإسلام ونبيه .إذ يرى أنّه" يجب الاعتراف بأنّ إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر، ولم يكن الهجوم إلا تهما باطلة بل متناقضة، وأنّ محمد لم يكن شرها ولا فخورا ولا متعصبا ولا منقادا للمطامع، بل كان حليما رقيق القلب عظيم الإنسانية[2].

ويرى الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت RENE DESCARTES أن الغرب مقصر في عدم الاعتراف والعمل بالدين الإسلامي فهو يقول"نحن والمسلمون في هذه الحياة، ولكنهم يعملون بالرسالتين العيسوية والمحمدية، ونحن لا نعمل بالثانية، ولو أنصفنا لكنا معهم جنبا إلى جنب، لأنّ رسالتهم فيها ما يتلاءم مع كل

(1) أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للاستشراق-مكتبة الأنجلو مصرية-القاهرة، ، ط2006/1ص201

(2) أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للاستشراق: ص201

زمان، وصاحب شريعتهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي عجز العرب عن مباراة قرآنه وفصاحته، بل لم يأت التاريخ برجل هو أفصح منه لسانا وأبلغ منطقا، وأعظم منه خلقا، وذلك دليل على ما يمتع به نبي المسلمين من الصفات الحميدة التي أهلته لأن يكون نبيا في آخر حلقات الأنبياء، ولأنّ يعتنق دينه مئات الملايين من البشر[1].

لقد استيقظ الغرب على آذان المساجد الذي عانق أجراس الكنائس، عاش فيه اليهود كما عاش المسيحيون في كنف الإسلام عيش الموفورين. وأمام هذه الحقائق، التي ولا محالة ستغير مجريات الأمور في أوربا، وفي العالم كلّه: الدين، والثقافة، والعلاقات الاجتماعية، أخذ المثقفون والأساقفة على عاتقهم مسؤولية استيعاب هذا الدين وهذه الثقافة الجديدين، ولهذا شهدت المرحلة والمراحل اللاحقة اهتماما كبيرا به، بل و"في المعطيات الأكثر حداثة، يواصل العقل الغربي تعامله مع حاضر الإسلام ومستقبله بالكثافة نفسها، متضمنا، كما هو الحال في كتابات الفترة الزمنية الأبعد قليلا، متشكلا بالخيوط نفسها، ويصبغ النسيج ذات التأثيرات الثقافية والمذهبية والمنفعية (الذرائعية)الموغلة، متحررا، في الوقت نفسه– بين لحظة وأخرى– لكي يقول كلمة حق، أو يستنتج تقويما إيجابيا. ومن الدراسات الهامة التي أنتجها العقل الغربي ما يلي:

- روجيه أرنالديز(Roger Arnaldez) –في كتابه(مظاهر الفكر الإسلامي).
- دانيال هرفيو ليجيه (D.H Leger) في كتابه (نحو مسيحية جديدة).
- سامي نائير(Sami nair) في مقاله (الإسلام في زمن الشدة).
- كريستيان جامبي(Ch.jambet) في مقاله(الإسلام وغناه الأخلاقي).
- برنار سيشير(B.sichere) في مقاله (الحجاب، العرب ونحن) وآخرون، من غير الفرنسيين أيضا، وبخاصة الإنجليز والألمان والأسبان والأمريكان...قدّموا في أواخر الثمانينات، سيلا من المؤلفات والبحوث والدراسات والمقالات يمكن للمرء

(1) أنور محمود زناتي، ص201

أن يطلع على زخمها في الأجنحة التي تتعامل مع الإسلام في معارض الكتب التي تقام في المؤسسات والبلدان الغربية بين الحين والحين[1].

إلا أن روح الصراع التي اختمرت في جوانب أوروبا.و سمة النزوع إلى التفرد و ضجيج المكان [2(*)] وركام الحضارات السابقة، صار يرن في ذهن الأوروبي، ويناديه للتواصل والتوحد، تحت ما يسمى بمبدأ الوحدة والتواصل مع التراث الإغريقي والروماني.

وهكذا حدث أن بدأت معالم فلسفة الاستشراق إلى الظهور، محاولة تصوير دراسة المنطقة الإسلامية وإنسان المنطقة وإنتاج هذا الإنسان الحضاري الذي لم يتوان في القدوم وطرق أبواب أوربا التي أعتقد سكانها أنّها منيعة، قوية برجالها، حصينة بإرثها التاريخي والحضاري، فتحركت في سبيل هذه المهمة الكنيسة متصدرة للإجابة على كثير من التساؤلات التي أثارتها تجربة الإسلام الخالدة في عقولهم[2].

تطور فلسفة الاستشراق:

يكاد معظم الباحثين يجمعون في ميدان الاستشراق، أنّ بداية الاهتمام بالعالم العربي والإسلامي كانت مع بزوغ الدعوة الإسلامية. بحيث يقسمون هذا الاهتمام إلى قراءات تحاول وصف الحوادث التاريخية، ومقارنتها مع بعضها البعض ويسميها بعضهم بالدوائر الاستشراقية للتاريخ الإسلامي ويمكننا حصر هذه الدوائر في ثلاث دوائر هي:

---

(1) عماد الدين خليل: نظرة الغرب إلى حاضر الإسلامي ومستقبله – دار النفائس– بيروت، لبنان، ط1999/1 ص5/

(*) شهدت القارة الأوربية معارك قوية بين المسلمين والمسيحيين ومن أهمها معركة بلاط الشهداء(بواتيه) معركة الزلاقة، حصار فيينا

(2) زقزوق، محمد حمدي:الاستشراق والخلفية الفكرية ص 193 مرجع سابق

الدائرة التاريخية الأولى: تبدأ هذه الدائرة من الفتوحات الإسلامية وبداية تشكيل الدولة في الإسلام، وكذلك الفتوحات الإسلامية وتكوين الدولة الأموية والدولة العباسية ثم عصر المماليك وانتهاء بالدولة العثمانية في نهاية القرن السابع عشر. وقد كانت دراساتهم مركزة كذلك على مختلف المجالات السياسية (الأفكار السياسية المتعلقة بنظام الحكم والتسيير في الإسلام)، والفكرية (العلوم والفلسفة)، والدينية (القرآن الكريم والحديث والتفاسير) وكان المنظور الاستشراقي منطلقا من دائرة حاول المستشرقون خلالها وضع صورة لهذه الظاهرة الجديدة المتمثلة في زحف الإسلام على العالم تحت عنوان الدعوة إلى الله، وقد تميزت هذه المرحلة بحقد دفين. حينها تمّ رسم المعالم التي يتعامل بها العقل الأوربي مع هذه الظاهرة الجديدة. وقد أطلق عليها عبد الله يوسف سهر محمد في كتابه المعنون بمؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين بدائرة "التراكم العدائي المغلوط" كان المسلمون خلال هذه الفترة يعون حدود العالم ويحملون مشروعا جديدا للبشرية ولذلك استطاعوا أن يكونوا في سدة القيادة العالمية يسيطرون على مساحات واسعة. لم يصبح فضاء شبه الجزيرة العربية ليسعهم، إذ الدعوة آنذاك مستمدة من يا أيها الناس[1]، كما أنّهم كانوا وفي المنظور الغربي يهددون تخوم أوربا، حيث فتحوا معظم بلاد اليونان والمجر.و حاصروا فيينا ووصلوا إلى حدود فرنسا، ولولا معركة بلاط الشهداء بواتييه poitier لدانت أوربا بالإسلام، وأصبح الدين الإسلامي الدين الرسمي لها. ونتيجة لهذه الأحداث المتعاقبة التي مست جزء كبيرا من أوربا، تكوّن عند الأوربيين الذين كانت تسيطر عليهم الكنيسة وباباواتها حينذاك ما يسمى "عقدة المسلمين" وظهرت في سبيل ذلك شروح كثيرة حول خطر المسلمين وديانتهم على المسيحية وأوربا، بل حتى على العالم كله، عن هذه الحالة، يقول المستشرق الروسي ألكسي جورا فسكي (Alexy Zhuravsky) "لقد هيمن على الإدراك (الوعي) الأوربي في القرون الوسطى الموقف

(1) اشارة إلى خطاب الله للإنسان ب"يأيها الناس"

السلبي الصريح تجاه الإسلام، على الرغم من أنّ الأطروحات والمؤلفات المصنفة ضمن هذا المنحى قد انتشرت عندئذ بأشكال وصيغ مختلفة ومتمايزة جدا"[1].

ويورد ألكسي جورافسكي أمثلة من هذه المؤلفات الرائجة، وتأثيرها في الإدراك والوعي الأوربيين، فمنها أن خرج أحد الرهبان الدومينيكانيين (Dominicans) الذي زار بغداد – على الأوربيين– بحكاية فحواها أنّ الشيطان استخدم كتابا ووسيطا من طبيعته لوقف انتشار المسيحية، والكتاب يقصد به القرآن، أما الوسيط فيقصد به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يجسد روح المسيح الدجالّ!

وراهب آخر يقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم إنّه ساحر، ولقد سمح بالدعارة والفسق كسبا للأتباع. ويتابع جورافسكي القول "إنّ بعض رجال الدين في العالم المسيحي كانوا يطلقون على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اسم (ماهومت) أو(موميتو) الذي يعني الصنم (Mamomet) ثم حوّر المعنى ليكون بمعنى الدمية، والذي لم يستطع كذلك أن يكون رجل دين فهرب إلى جزيرة العرب ومعه عقدة الإحباط والفشل والتأثر بالمذاهب والديانات الأخرى[2].

وقد تكررت هذه الأفكار نفسها في أشهر كتاب درامي– ديني في أوربا وهو"الكوميديا الإلهية"The divine Comedy" لأعظم شعراء إيطاليا دانتي أليجيري الذي وصف عذاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والإمام علي كرم الله وجهه في الآخرة، على نحو ساخر ومخيف، لأنهما– حسب رأيه– أصل الفساد في الأرض[3].

(1) ألكسي جورافسكي، : الإسلام والمسيحية، تر/خلف الجراد – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت، العدد 215 سلسلة عالم المعرفة، 1996 ص47

(2) ألكسي جورافسكي، : الإسلام والمسيحية ص77. م س

(3) دانتي اليجيري: الكوميديا الإلهية –الجحيم، تر/حسن عثمان – دار المعارف– القاهرة، 1995 وانظر كذلك جورافسكي مرجع سابق ص67

لقد تكونت بفعل هذه الكتب وغيرها تصورات ورؤى وإدراك جماعي لدى الأوربيين بأنّ الإسلام يتسم بالكذب والتشويه، وأنّه دين الاحتقار والجبر والانحلال الخلقي والتساهل في الملذات والشهوات، إنّه دين لا يعرف إلا لغة الحرب والخراب والإرهاب.

ولم يتحرر من هذا الإدراك المغلوط حتى أعلام الأدب والفلسفة الأوربية مثل شكسبير وتوماس الأكويني(1225- 1272) وفولتيرVoltaire ومونتيسكيو، إذ يورد الأول في إحدى رواياته المسرحية أسطورة الحمامة التي درّبها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم- كما يدعي الكهنوتيون في تلك الفترة- على نقر أذنه كي يتصور العرب بأنها وحي من السماء، ويقتبس شكسبير هذه الأسطورة على أنها حقيقة بلا إدراك وتفكر ويقول في أحد فصول مسرحياته الروائية"أتلهم الحمامة محمد؟..أما أنت فإنّ النسر ربما الهمك"[1].

ولا يخرج عن هذا النطاق توماس الأكويني أو توما الأكويني كما يسميه بعض الدارسين، وهو فيلسوف ورجل دين أوربي، حيث نظر بازدراء إلى الإسلام بوصفه دينا للجهلة ومؤيدي استخدام العنف، ولقد ورث هذه النظرة السلبية الكثير من فلاسفة الغرب وأدبائه إلى حد ساهم في بناء منظور عام عن العرب والمسلمين يصعب التحرر منه إلا فيما ندر[2].

فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد همفري بريدو(Humphrey prideaux) الذي يعد من أوائل المستشرقين، يخرج بفكرة لإنقاذ المسيحية التي ضعف وهجها السياسي في عهده بالقرن السابع عشر، حيث يقول: "إنّ الإسلام كان عقابا من الله على تشرذم المسيحيين وخلافهم وبخاصة في المقاطعات الشرقية للكنيسة الرومانية،

(1) ألكسي جورافسكي، : الإسلام والمسيحية ص 76 م س

(2) عبد الله محمد سهر:مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين- مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية- أبو ظبي، العدد57، ط1، 2001/ ص11

وعليهم الآن أن يتعظوا ويحلوا خلافهم، وإلا فسوف يرسل الله عليهم عقابا آخر (محمد آخر)، ليعكر صفو حياتهم وأمنهم"[1].

ويتواصل معه الفيلسوف الفرنسي العلماني الشهير فولتير(Voltaire) في كتابه "النبي محمد Mahomet" فيتقوّل على الرسول صلى الله عليه وسلم، ويصفه بأنّه عار الجنس البشري، حيث إنّه يجسد خطر التعصب والنفاق والعنف[2].

والجدير بالذكر أنّ العنوان الأصلي لكتاب فولتير باللغة الفرنسية(Le fanatisme de Mohamet) أي تعصب محمد.

ويشير الفيلسوف وعالم الاجتماع والقانون الفرنسي مونتيسكيو صاحب نظرية فصل السلطات "أنّ الإسلام استبدادي، ومتناقض مع الغرب، وذلك في اطروحاته"روح القوانين LEspritdeslois» وكتابه "الرسائل الفارسية Lettres persians" وقد نقل هذه عنه بعد ذلك "كارل ويتفوجل Karlwittfogel" في كتابه الذائع الصيت"الاستبداد الشرقي Le despotisme Oriental" الذي نشرعام1967[3].

وعلى الرغم من الفروقات الفكرية التي تفصل بعض هؤلاء العلماء والمفكرين عن بعضهم بعض، من حيث منطلقاتهم الفكرية سواء كانت لاهوتية او علمانية، فإنّهم قد اجتمعوا على راي مشترك تنتهي خلاصته بالصورة السلبية تجاه المسلمين والإسلام[4].

وهكذا فإنّ النظرة في هذه المرحلة التاريخية والمتقدمة منها بخاصة، تكشف عن حقد دفين ونفسية انتقامية ورؤية عدائية مغلوطة عن الإسلام بسبب توسع

---

(1) عبد الله محمد سهر :مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين ص11

(2) ألكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ص100

(3) خضر بشارة: أوربا والوطن العربي القرابة والجوار، تر/جوزيف عبدا لله – مركز الدراسات الوحدة العربية– بيروت، 1993 ص32)

(4) عبد الله محمد سهر :مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين ص11 م من

الأخير وانحسار المسيحية بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخنا. وبالإضافة إلى ما سبق، فإنّ هذا الموقف العدائي، قد يرجع إلى تأثير رجال الدين وسيطرتهم السياسية الكبيرة في أوربا على مختلف الدول الأوربية قبل عصر النهضة، هذه النظرة هي التي شكلت خطاب عصر النهضة. وهذا ما يجعل هذه الآراء ضرورية لتكوين خطاب يكون سدا منيعا، وهو خطاب سياسي أكثر من أن يكون ذا بعد ديني بحت، ولقد خلقت – مثل هذه التصورات والانطباعات الفكرية عن الإسلام والمسلمين – قولبة جماعية لدى الخواص والعوام في آن معا، وغذت الضمير الجمعي لدى الشعوب الأوروبية، ويمكن أن نصفها بالهالة الفكرية المسيطرة (Paradigme) على الفكر الأوربي السياسي في تلك الفترة، ولقد أثرت هذه الهالة الفكرية المسيطرة في الدوافع السياسية إزاء الشرق الإسلامي، وتجسد ذلك في التوجهات السياسية عند الأوربيين بشكل كبير عندما قاموا بالحملات الصليبية المتكررة على فلسطين وبلاد المسلمين وفي قرار سياسي يخص المنطقة الإسلامية.

هذه الأفكار لم تعبد الطريق للاستعمار الغربي فحسب، بل أعطته مسوغا نفسيا وحضاريا وسياسيا وأخلاقيا جعل منها الحامي الذي سيقف في وجه البربرية الإسلامية. ولعل هذه الأفكار كانت شبيهة بتلك التي أطلقها بعض الكهنوتيين ورجال الدين قبل فترة الحروب الصليبية، كالدعوة العلنية الشهيرة التي أطلقها البابا أوربانس الثاني عام 1095، والتي طالب فيها أباطرة أوربا وملوكها وحكامها باستعادة الأراضي المقدسة من يد" قوى الشيطان" وحماية قبر المسيح من المعتدين ويقصد بهم المسلمين. والجدير بالذكر أنّ الحملات الصليبية السبع جميعها التي استمرت بين 1092– 1291 لم تكن تخلو من أهداف وحوافز دينية، تمثلت في السعي لطمس الإسلام ومعالمه والقضاء على المسلمين وتراثهم، بالإضافة إلى كثير من الأهداف الاقتصادية والسياسية. إنّ فشل هذه الحملات لم يردع كهنة أوربا وملوكها عن التفكير مجددا في غزو بلاد الإسلام، بل أخذ التفكير يتراكم تحت حطام العقدة إزاء المسلمين. لكن بسبب حالات الشقاق والخلاف التي شابت العلاقات الأوربية –الأوربية والذي أخذ شكل حروب طويلة المدى حينا وقصيرة أحيانا أخرى،

في تلك الحقبة التاريخية، لم يكن هناك خط سياسي متفق عليه لمواجهة المسلمين بين النخب الحاكمة في أوربا[1].

وبعد تدهور دور الدولة العثمانية وهبوط قوتها دبّ الأمل من جديد بالأطماع الأوربية نحو الشرق، فأخذت دولها وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا، في تهميش دور العثمانيين وتمزيق دولتهم من خلال سلسلة كبيرة من الاتفاقيات السرية والعلنية. وما أن شعر الأوربيون بترنح الرجل المريض(الدولة العثمانية) "حتى لجئوا إلى التآمر الاستعماري المنظم، مما تمخّض عنه بزوغ الدائرة التاريخية الثانية التي انتقلت بالعلاقات الأوربية— الشرقية إلى جولة جديدة تمثلت بالاستعمار"[2].

لقد كان سقوط الرجل المريض محفزا، للانقضاض على تركته، فقد زال الخطر الإسلامي بزواله وبهذا بدأت مرحلة ثانية مهدت لقراءة غربية أخرى اتجاه العالم العربي والإسلامي.

الدائرة التاريخية الثانية: بعدما انقضت المرحلة الأولى بتشكيل رؤية جديدة مغلوطة عن العالم الإسلامي، وقد كانت مصحوبة بحافز وسلوك سياسيين بدأت مرحلة تاريخية ثانية، مع إرهاصات انهيار الدولة العثمانية وبروز دور محمد علي في مصر. وفي الحقيقة فإنّ هذه المرحلة قصيرة جدا مقارنة بسابقتها، "وإنّ أهم ما فيها هو انبعاث الأمل من جديد ببناء دولة قوية في العالم الإسلامي، ولكن سرعان ما تبدد هذا الأمل وذهب أدراج الرياح[3]. يمكن أن نطلق عليها مرحلة"الإرث الاستعماري".

ففي هذه المرحلة خرج محمد علي بحركة إصلاحية داخلية، إضافة إلى حملات عسكرية توسعية كان من المحتمل أن تؤدي إلى قيام دولة إسلامية جديدة

---

(1) عبد الله محمد سهر :مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين ص12 م س

(2) المرجع نفسه، ص13 م س

(3) عبد الله محمد سهر :مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، ص13 م س

وقوية تكون مصر قلبها النابض، وقام إبراهيم باشا علي بن محمد بحملات عسكرية كبيرة، كان مؤداها هزيمة الجيوش العثمانية في قونية عام 1831 حتى وصل إلى أبواب القسطنطينية، فما كان من الدول الأوربية التي كانت متفقة على تمزيق الدولة العثمانية إلا أن تناقضت مع هدفها بصورة وقتية، وشكلت تحالفا بين انجلترا وبروسيا والنمسا وروسيا من جهة وبين قوات الباب العالي من جهة أخرى، تمخّض عنه توقيع معاهدة لندن عام1840، وترتب على هذا التحالف إلحاق الهزيمة بقوات محمد علي، وإجباره على التراجع والبقاء في حدوده داخل مصر. والسؤال المطروح هنا، لماذا لم تترك هذه القوى شأن المسلمين للمسلمين دون أن تقحم نفسها في صراع يمكن أن ينعكس عليها أيديولوجيا؟ وبخاصة أنّها سعت مرارا إلى إسقاط الدولة العثمانية، وجازفت بفرصة قد لا تتكرر؟ إنّه سؤال يحتاج إلى تأمل فكري عميق[1].

ولعل من أهم الأسباب لهذا الموقف الأوربي المتناقض تلك الرؤية المغلوطة المتراكمة من خلال هذه التركة التي مهدت للعصر الاستعماري، وأوجدت المسوغات النفسية والحضارية والسياسية الأخلاقية كما سبق أن أشرنا. فأوربا لم تعد تتحمل أي حركة سياسية في الشرق الإسلامي يمكن أن تؤدي إلى دفع تاريخي نحو الأفضل، وخاصة أنّ النموذج السابق أي النموذج الإسلامي قد أرهق أوربا فترة من الزمن، وكاد أن يزيل معتقداتها وتوجهاتها من الوجود وأنّ التاريخ الحاصل وفق الرؤية الغربية الاستعمارية يجب أن يكون عنصريا أحادي الجهة والتفكير، تبقى أوربا والغرب في القمة وتبقى العناصر الغربية هي العناصر القوية والمؤثرة، بينما يبقى العرب والمسلمون على ما هم عليه من سلبية وتأثر وضعف. وفي ذلك يقول جورافسكي في كتابه "الإسلام والمسيحية" عن هذه الحالة إنّ الأوربيين لم ينظروا إلى الإسلام كعدو أثناء فترة التعصب والتحكم الديني في أوربا فقط، بل حتى أثناء الفترة اللاحقة وبالتحديد إبان الاحتلال الاستعماري في القرنين التاسع عشر والعشرين، فلقد كان الدين شعارا أيديولوجيا للاستعمار لا يمكن أن ينكره أحد. ويمكن التدليل على ذلك باستعراض الموقف الكنسي إزاء الاستعمار. ونذكر بهذا

(1) عبد الله محمد سهر، ص14

الصدد وصف مطران باريس الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 بأنّه انتصار للمسيحية على الإسلام"[1].

وكاد هذا الموقف أن يتكرر مع كلّ الحملات الأوربية على البلاد الإسلامية، فقد وقف الجنرال غورو أمام قبر صلاح الدين وقال ها قد عدنا يا صلاح الدين.

لم تنس ذاكرة التاريخ ما فعله الغزاة وهم يطئون الأراضي الجزائرية.فقد دنست أرجلهم المساجد وحوّلوا بعضها فيما بعد إلى كنائس وأخرى إلى إسطبلات.

وحتى نستطيع أن نتعرف إلى الفلسفة التي دفعت الفعل السياسي الأوربي إزاء العالم الإسلامي يتبلور ويزداد حدة. يفترض أن نسلّط الضوء كذلك ولو بصورة سريعة على بعض الأدبيات الغربية عن الإسلام خلال هذه الفترة، ولكن قبل ذلك حري بنا أن ننبه على أنّ معظم الأدبيات في هذه الفترة قد قام بتأليفها وتشكيل فلسفتها، مؤرخون وأنتروبولوجيون وفلاسفة من ذوي التنشئة غير الكهنوتية، حيث ركب معظمهم سفن الرحالة والاستكشافات إلى الشرق لدراسة مجتمعاته عن قرب. ولقد سمي هؤلاء بالمستشرقين لتخصصهم بالشرق (Orient)، وظهرت معهم المدرسة الاستشراقية (Orientalisme) بشكلها المحترف أي بوصفها مؤسسة ثقافية في الغرب.

لقد كان المعرفي في خدمة العسكري، بل السند الأقوى لدفعه نحو استغلال العالم العربي والإسلامي وقد حرره من عقدة الذنب حين صوّر له العالم العربي والإسلامي تصويرا تقشعر له الأبدان وتتقزز له الأنفس، وراح يسلب منه منجزاته التاريخية ويقف منها مواقف متباينة تجمع على اغماط العربي حقوقه في البناء الحضاري. "لقد كانت ممارسات السيطرة على الآخرين من قبل مركز أو بلد مندفع نحو السيطرة تعتمد أولا وأخيرا على القوة العسكرية، وحتى العالميتان الهيلينية والرومانية قد فرضتا سيطرتهما بتلك الوسائل العسكرية وحدها، وما

(1) ألكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ص37 م س.

عرفت حضارة أسست وبنت ووضعت معارف أعطتها صفة "علموية" و"العالمية" لتوظيفها في الهيمنة على الآخرين، ثم لتحويلها بعد إحكام الهيمنة والسيطرة إلى جزء رئيسي من ثقافة ذلك الذي تم "استتباعه" أو استضباعه من شعوب الأرض لئلا يكتشف حجم الاستلاب والخديعة التي تعرض لها"[1].

لقد صار هذا الأمر ديدان السالب والمسلوب، فالغالب أن يحسّن الغازي صورته تحت عنوان من العناوين، أو هيئة من الهيئات ومبرر من المبررات "أما بالنسبة للعرب خاصة وللمسلمين عامة، فإنّ الجريمة كانت مزدوجة، فقد تمت عبر قرون بدأت في أعقاب الحروب الصليبية ولم تنته بعد عمليات السرقة والتهريب لثقافتنا مع سبق الإصرار والترصد، وكان المهربون والسارقون بكامل وعيهم بحيث استطاعوا أن يعملوا على استئصال كل ما يشير إلى جذور هذه الثقافة وأصولها فتم قطعها عن فلسفتها ومصادرها، ونماذجها وبيئتها الفكرية، وجرت نسبتها إلى غير أهلها بعد عمليات جراحية باترة كثيرة"[2].

وحتى الذين لم يبتعدوا عمّا يسمى بالموضوعية والمنهجية العلمية، راحوا يذكرون مساهمات العرب والمسلمين في الميادين الحضارية المختلفة بشيء من الإسهاب ويتلمسون مواطن التفوق عندهم ويسجلونه على أنّه نتاج حضاري جدير بالفخر الإنساني لأنّه من إنتاج الإنسان ولخدمة الإنسان، إلا أنّ بعض المتنطعين الذين يحاولون ليّ عنق الأحداث ويتنكرون لمساهمة العرب والمسلمين وفي ذلك يقول غريغوار منصور مرشو "إنّ المسلمين والعرب قد ترجموها عن التراث الإغريقي واليوناني ونحن ورثة أولئك وليسوا هم، فنحن أولى بها منهم، وأقدر على إعادتها إلى جذورها. وإذا أردنا أن ننصف العرب والمسلمين فيكفي أن نقول لهم:نشكركم على حفظ تراث أجدادنا لنا، ذلك التراث الذي لو لم تقوموا بحفظه لربما ضاع بعضه، فدعونا نسترده منكم لنبني به وعليه ثقافة وحضارة عالم نهاية التاريخ،

---

(1) غريغوار منصور مرشو: مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته- المعهد العالمي للفكر الإسلامي -فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1996 ص 8 التصدير طه جابر العلواني

(2) غريغوار منصور مرشو مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته ص8.

ذلك لأنّ أجدادكم لم يعرفوا كيف يستفيدون بها، حال بينهم وبين ذلك ثقافتهم القائمة على"النظام المعرفي الإسلامي". أما نحن فلن نيأس وستستمر محاولاتها لإخراجكم من بربريتكم رغم أنوفكم، وإحياء عظمة حضاراتكم الكلاسيكية القديمة من فرعونية وفينيقية وبابلية وآشورية وآرامية وغيرها إذا لزم الأمر، ونقدم لكم من ثقافتنا بدائل عن ثقافتكم الإسلامية العتيقة والأصولية والبيانية التي لاشيء فيها غير البيان والكلام والمحسنات البديعية فهي ثقافة لا يمكن أن تقوم عليها إلا حضارة لغوية إذا كانت اللغة تصنع حضارة!!! سنقدم لكم علومنا الإنسانية وعلومنا الاجتماعية بديلا لها بعد أن تكمل بنائها، وهي علوم قائمة على العلم والبرهان والتجارب، فهي علوم حقيقة برهانية، فهي التي ستجعلكم لا ترون إلا ما نرى، ولا تهتدون إلا إلى سبيل الرشاد[1].

ويصل الأمر إلى حد التنصل من الموضوعية العلمية، والضمير الحي حين يصنف أرنست رينان – Ernest Renan (1823–1892) أحد علماء أوربا– الشعوب ويقسمهم إلى جنس آري، وآخر سامي. ويفضل بموجب هذا التقسيم، أن يحصر الناس في خانتين، الأولى منتجة، وأخرى مستهلكة، ويبدي نوعا من السخرية اتجاه العرب والمسلمين فيقول" كل شخص عنده شيء من التعلم في عصرنا هذا يلاحظ بوضوح أنّ دونيّة المسلمين الراهنة، وانحطاط الدولة، والانعدام الثقافي لديهم ناجم عن تلقي ثقافتهم وتربيتهم من الدين الإسلامي فقط...!!!"[2].

وهذا الذي زعمه رينان لم يستند فيه إلى أي شيء غير تعصبه وعرقيته، لأنّ الإسلام كان أقوى عناصر هوية العرب والمسلمين وأكثرها فاعلية في إيجاد روح المقاومة للمستعمر والغازي، وهو الذي جعل مهمة الاستعمار صعبة. إذن فليعلم هؤلاء كيف ينفصلون عنه، ويفرون منه[3].

---

(1) غريغوار منصور مرشو: مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته ص9 م ن

(2) غريغوار منصور مرشو: مقدمات الاستتباع للشرق موجود بغيره لا بذاته، ص9

(3) المرجع نفسه، ص9

على الرغم من أنّ كثيرا من المستشرقين لم يتلق دراسة دينية وفكرية عن المسلمين وعن حتمية الصراع وبديهية التناقض الحضاري معهم، حتى حينما قام بدراسة المجتمعات الإسلامية والعربية من خلال العيش في أوساطها. فهناك بعض المستشرقين الذين أنصفوا أصول البحث العلمي قبل أن ينصفوا موضوع البحث، ولم تتأثر دراستهم بنصرة طرف دون آخر، ولكن الذين نعنيهم هم الذين أسسوا المعرفة التصورية الأوربية عن المسلمين في عهد الاستعمار، والذين أعطوا غطاء فلسفيا وأخلاقيا للتوجه الغربي المعلن نحو الشرق، وشاركوا في استراتيجية السيطرة عليه. وأفضل من ألّف حول موضوع الاستشراق والمستشرقين هو ادوارد سعيد في كتابه المشهور "الاستشراق Orientalisme".

فالاستشراق حسب رأي سعيد، نظام معرفي ومنهج يمثل إدراكا غربيا متأسسا على نظرة دونية لما هو شرقي وعلى نقيض ما هو غربي. ويجب تأكيد أنّ آراء المدرسة الاستشراقية تلاقي فهما وقبولا خاصا، بل دعما منظما من الحكومات والنخب التي تمتلك القوة في الغرب، لذلك فإنّ محنة الاستشراق تمثلت في التقاء المعرفة المغلوطة عن الشرق مع المصلحة والقوة القاهرة التي يمتلكها الغرب، مما جعل الاستعمار يحظى بتسويغ حضاري وتاريخي وفلسفي وقبول حتى عند الإنسان الغربي. ويعبر عن هذه الحالة "جولزهارماند Jules Harmans" أحد الدعاة للإمبريالية وللاستعمار الغربي عندما أكد ضرورة القبول بهرمية الحضارات، وبالتالي أحقية الأفضل منها بفرض نفسه على الآخرين[1].

استطاعت المدرسة الاستشراقية أن تصنع وعاء احتوى على خبراء في الاجتماع والاقتصاد والأنثروبولوجيا والسياسة وعلم النفس وعلوم الفنون واللاهوت، إضافة إلى صانعي القرار السياسي في الحكومات الغربية ومتخذيه. وكان الإنتاج الكبير لهذه المدرسة متمثلا في عقدة "نحن" و"هم" و"الأعلى" و"الأدنى". ومن بطن هذه الحالة أو العقدة، كما نسميها، تخرج كتابات كثيرة

(1) عبد الله محمد سهر : مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين ص16 م س

ومصنفات عديدة لعلماء غربيين يعتبرون من أقطاب الفكر الغربي والعالمي. فعلى سبيل المثال يقول" توماس فالبي فرنش (1825– 1891) Thomas valpy French:"إنّ المسيحية والمحمدية في اختلاف الأرض والجنة، لا يمكن بأي حال أن يتعايشا معا"[1].

ويزيد عليه معاصره" أرنست رينان Ernest Renan 1892 –1823" الذي أسس معرفة الدول الأوروبية عن الإسلام في أطروحته "الإسلام والعلم Lislamisme et la science" حيث يقول "إنّ شعوب الشرق وافريقيا ذوو عقول مغلقة أمام العلم، وليسوا بقادرين على الانفتاح على أي شيء جديد. كما يذهب رينان إلى أبعد من ذلك ويقول:"إنّ مستقبل الإنسانية متوقف على الأوربيين، ولكن هناك شرطا ضروريا لذلك، تحطيم عناصر الحضارة السامية والقوى الدينية للإسلام[2].

وفي السياق نفسه يأتي آخرون، لا يسع المجال لذكر تصوراتهم من امثال"جيرار دي نارفال Gerard de Nerval" و"فولني Volney و"مارك بلوك Marc Block"بالإضافة إلى جموع كثيرة من المفكرين والمثقفين الغربيين أجمعوا على تفوق ما هو أوربي وأنّ الشرق بما يحتويه من ثقافة وإنسانية ما هو إلا سقوط خارج أطواق التاريخ المتحضر[3].

ناهيك عن دعم هذه التصورات بالمشاهد التصورية للشرق، التي رسمها أكبر فناني الغرب مثل "جون أوجست دومونيك إنجريه John A.D.Engres" (صاحب لوحتي الجارية والعبد والحمام التركي) والذي لم يذهب إطلاقا إلى الشرق! أما "يوجين ديلاكروا Eugene Delacroix" الذي شغف بالصور

(1) عبد الله محمد سهر: مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، ص17

(2) المرجع نفسه، ص17

(3) هشام جعيط: أوربا والإسلام– صدام الثقافة والحداثة – دار الطليعة – بيروت، 1995 ص33/10 للإستزادة يمكن مراجعة كتاب يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق:الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى نهاية القرن العشرين تر/عمر لطفي العالم (دمشق:دار قتيبة، 1996)

(الشهوانية الجنسية) للعرب المسلمين فيعكس هذه الحالة في لوحته (الجارية)، وقد أراد من خلال لوحته إبراز ماهية الشرق حسب اعتقاده.

أما لوحة "جان ليون جيروم Jean–Leon Gerome" (ساحرة الثعبان) فهي تعطي صورة حقيقية للانطباعات الاستشراقية المغلوطة عن المجتمع العربي الإسلامي. هذا إضافة إلى عدد كبير من الفنانين المستشرقين الذين يصعب حصرهم، والذين رسموا "الحريم" مثل جون لويس ولودفيج دويتش وألبرتوبسين. وفي هذا الاتجاه نفسه يتفنن آخرون برسم الرقيق مثل لوحة (سوق الرقيق بالقسطنطينية) لوليم آلان، الذي صور كيف ينتزع الرجل المسلم الطفل من أمه بالعنف ليبيعها. وعلى هذا المنوال ينسج وبهذا الموّال يغني الكثيرون في الغرب أنشودة الرق والحريم والجنس في الشرق، كل هذا –طبعا– باسم الفن الواقعي[1].

لم يقتصر تأثر الفن التشكيلي والواقعي بالصورة المغلوطة عن الشرق، وإنّما تعداها إلى أن يحاكيا الواقع السياسي ليتأثروا به ويغرفا منه ألوانهما. ولما كان الفن ممزوجا بالسياسة، فرضت هذه الأخيرة لونا خاصا على الفنانين في تلك الحقبة، وخرج ما يسمى بـ"الفن والسياسة من فوق". وتمثل هذا اللون في كثير من اللوحات الفنية العالمية الشهيرة ومنها:لوحة جيرين "ثوار القاهرة يطلبون العفو "عام 1808 التي تعبر عن حقيقة الأيديولوجية الاستعمارية، حيث صور بألوانها الثوار المصريين بمظهر المنهزم الضعيف الذليل الطالب للمغفرة والرحمة من نابليون بونابرت وأعوانه الذين صورهم بمظهر الرحمة والحضارة. أما لوحة جيروديه "انتفاضة القاهرة" عام 1810 فلا تخرج عن النمط نفسه، حيث تصور كيف يحاول الجيش الفرنسي صدّ عنف الثوار بأسلوب "حضاري" تأسيسا على الانطباع الذي يعزز مفهوما محددا يتلخص بأنّ الجيش الاستعماري يؤدب الشعوب المتخلفة الرافضة للحضارة والرقي ويطورها.

---

(1) علي عرفة عبده، – الشرق بالفرشاة الأوربية"، العربي العدد 458(الكويت:يناير):ص170، .

ويأتي كثير من اللوحات لأنطوان جان جرو مثل "بونابرت يزور مرضى الطاعون" و"معركة الناصرة" التي انتصر فيها الفرنسيون على الجيوش الإسلامية والتي تظهر الجندي الفرنسي بالمظهر الشجاع النظيف الرشيق في مقابل المسلم الضعيف الخائف[1].

وهناك سلسلة كبيرة من اللوحات خدمت أيديولوجيا الاستعمار ومن ثم أخذت طريقها إلى الشهرة العالمية، وسكنت المتاحف الرئيسية في العالم وهي تختزل الصورة الدرامية المقلوبة للشرق الباطل والغرب الحق وعلى الرغم من تسمية هذه الأنواع من النقوش بفن المدرسة التعبيرية أو الواقعية فإننا لا نجدها في –الواقع– تثبت حقيقة أكثر منها انسياقا أعمى خلف الاستشراق السياسي، الذي كان هدفه فرض واقع آخر وليس اكتشافه[2].

إنّ هذه العقدة إزاء المسلمين والعرب، جعلت المواطن الغربي لا يرى تناقض حكومته، التي تدعي الحرية والديمقراطية والليبرالية والتقدم والمساواة والتي – من جانب آخر– تمارس القهر الاستعماري ومساندة أقطاب الدكتاتورية وأذناب المستعمرين في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، وفي فلسطين والسودان خلال فترة الانتداب والاستعمار البريطاني وفي ليبيا عندما احتلها الإيطاليون، حيث لم يعد غريبا أو مستهجنا إعدام عمر المختار، بل أصبح قتله انتصارا إيطاليا وأوربيا، لأنّه كان يمثل قوى الشر والتخلف ضد قوى الخير والتطور تبعا للتصور الغربي[3].

وبناء عليه، فإنّه لا وجود لأي غبش أو غمامة عن تأثير المدرسة الاستشراقية التي صورت كل عمل شرقي على أنّه سوء، وكل فعل شرقي إيجابي على أنّه خطر

---

(1) بيطار زينات: الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي– المجلس الوطني للثقافة للفنون والآداب– الكويت، العدد 157، سلسلة عالم المعرفة، 1992، ص84– 95

ملاحظة: تجدر الإشارة إلى أن المؤلفة لم تكتب أسماء الفنانين الذين تناولتهم بأحرف لاتينية لذلك لم يتسن لنا كتابة أسماء الذين تمت الإشارة إليهم بالأحرف اللاتينية

(2) عبد الله محمد سهر: مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين ص19 م س

(3) عبد الله محمد سهر: مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، ص20

على الغرب، بينما تجد الخطيئة العارية التي يقوم بها الغرب تبريرا أخلاقيا في البناء الثقافي المتجسد في مقولة "نحن الأعلى" و"هم الأدنى".

وبهذا أصبح الفعل الغربي سابقا لوجود مسبب شرقي، كما أصبح التبرير الغربي مجرد إسقاط لغوي خاو من محتواه المنطقي. ولماذا يحتاج إلى المنطق بالأساس إن كان الغرب– حسب الرؤية الاستشراقية السلبية في طرحها العام – هو المنطق؟! وضمن هذا السياق تستطيع أن نتوصل إلى جواب السؤال الذي أوردناه سلفا عن سبب وقوف الغرب ضد حركة محمد علي وإلى جانب الدولة العثمانية، على الرغم من اقتباس محمد علي كثيرا من الأنماط الغربية في حركته الإصلاحية، وعلى الرغم – أيضا– من معاداة الدول الغربية للإمبراطورية العثمانية التي كانت تعد رمز الضلال الإنساني والحضاري عند الغرب؛ فإنّ أي ظاهرة أو حركة توحي بنهضة الشرق كان على الغرب أن يقمعها سواء أكانت تلك الحركة قومية أم إسلامية، رأسمالية أم اشتراكية، علمانية أم دينية، وعليه لم تكن سياسة الغرب – ولن تكون– موجهة ضد أيديولوجيا بعينها، ولكن ضد ما تحمله هذه الايدولوجيا من قدرة على النهوض بمجتمعها في الشرق، ولهذا فإنّها حاربت العلمانية عندما شعرت بقوتها في عهد عبد الناصر واليوم تحارب الإسلاميين بالسلاح القديم نفسه[1].

الدائرة التاريخية الثالثة:

مع بزوغ فجر الدولة الحديثة في العالم الإسلامي بعد سقوط الدولة العثمانية وتكريس تبعيتها شبه الكاملة للغرب، ضمر الهجوم الأوربي على الديانة الإسلامية وعلى خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ولكنّه من جانب آخر ينظر في كيفية إخراج المجتمعات الإسلامية من تراثها الإسلامي إلى حيز تراث ملة الغرب. وتمكن تسمية هذه المرحلة التاريخية بدائرة "الاستعمار والانطلاق نحو

(1) فواز جرجس: الأمريكيون والإسلام السياسي: تأثير العوامل الداخلية في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية، المستقبل العربي، العدد 207، بيروت، 1997 ص4– 28

العالمية". لذلك السبب امتزجت أطروحة المدرسة الاستشراقية التقليدية بأدبيات مدرسة التحديث(Modernisation) في الفترة الزمنية الواقعة بين العشرينيات والسبعينيات تقريبا من القرن العشرين. وإذا كانت المدرسة الأولى (الاستشراقية التقليدية) تنظر بشوفينية(Chauvinisme) ودونية – بشكل عام – إلى العرب والمسلمين، فإنّ المدرسة الثانية (التحديثية) حاولت أن تقدم نموذجا للمجتمعات الإسلامية والعربية يحاكي نموذج التجربة الغربية؛ فكان نتاج هذا التزاوج بين المدرستين المناداة بالعلمانية وتهميش دور الدين، بل توظيفه في خدمة السياسة النخبوية العلمانية[1].

وعلى صعيد آخر عمدت هاتان المدرستان إلى تغريب(Westernisation) المجتمع العربي والإسلامي عن طريق تسمية ظواهر التقدم وتشخيصها وفرزها عن ظواهر التخلف، فالتقدم تبعا لهذا التصنيف هو أن تتبع الغرب فكرا وسلوكا ابتداء بالاعتقاد بالعلمانية النخبوية التي لا تفرز إلا نظما دكتاتورية، وانتهاء بوجوب ارتداء ربطة العنق بوصفها مصداقية للحداثة كالنموذج التركي – الأتاتوركي. وأخذ معظم الدول الإسلامية وكثير من الطبقات السياسية والثقافية في السير في هذا الاتجاه، سعيا وراء التقدم والتطور حسب الوصفة الغربية للعالم الثالث، فتبنّى معظم الدول الإسلامية الأنظمة العلمانية، كما تبنّاها بعض الطبقات المثقفة[2].

ومن أهم فرضيات مدرسة التحديث أنّه كلّما ابتعدت الدولة عن الأنماط التقليدية التي منها الدين، كان هناك تقدم نحو الحداثة، ولا يشترط وجود الديمقراطية لكون مجتمعات العالم الثالث تتمتع بثقافة"خاصة"، أي بمعنى أنّه لا ضرورة للديمقراطية في هذه المجتمعات كي تتطور سياسيا ولكنّ الضرورة أن تعمل النخب الحاكمة ضمن نغمة الغرب وليس ضدها. لذلك ظهرت عدة دول في العالم الإسلامي تنادي بالعلمانية مثل تركيا في عهد مصطفى كمال أتاتورك، وإيران في عهد محمد رضا شاه بهلوي واندونيسيا في عهد أحمد سوكارنو ومصر في عهد

(1) عبد الله محمد سهر: مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين ص 21 م س

(2) المرجع نفسه، ص21

جمال عبد الناصر الذي بات يوصف بأنّه دكتاتور عنيف ومتطرف عندما خرج على نغمة الغرب. كما اقتبس الكثير من الحركات والأحزاب في الدول العربية والإسلامية الاتجاه الغربي نفسه للتحديث، مثل حركة القوميين العرب وحزب البعث والحركة الناصرية وحركة تركيا الفتاة، فأخذت بمبدأ فصل الدين عن الدولة لكن دون ديمقراطية[1].

لقد شغلت هذه المرحلة مفكري العرب وفلاسفتهم حول هذا التقسيم العنصري، الذي قزّم من الشأن العربي والإسلامي بل واتهمه بالسذاجة حينا وعدم القابلية عنده للتعلم والتفكير.

لقد مرّ تعامل المستشرقين مع العقل العربي والإسلامي بمراحل على غرار المراحل التي أوردناها سابقا، ومن هذه المراحل:

- الصورة التخطيطية للتبني والاستيعاب.
- مرحلة التمثل والاستلاب للعقل التاريخي العربي.
- القطيعة بين العقل التاريخي القديم والعقل التاريخي العربي[2].

نلمس هذا الاهتمام الكبير بالتراث من خلال الاعمال التي قدموها، وذلك رغبة منهم في تغريبه، فقد انطلقوا من خلال محطات، يتقربون من المنجز الحضاري العربي الإسلامي محاولين تغطية الدور الحضاري الذي لعبه عقل المنطقة، "لقد تحول الجهل بإنسانية وجود العقل العربي إلى حقيقة على يد المستشرقين مصداقا لقول المتكلمين (العلم من جنس الجهل)، وذلك حينما نقل الاستشراق العقل العربي المكتوب لا ليكون ذخيرة للاختلاف من العرب، بل ليكون

(1) عبد الله محمد مهر: مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، ص22

(2) ورد هذا التقسيم في كتاب الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي ل عريبي، محمد ياسين

وسيلة لظهور الحضارة في الغرب واختفائها في الشرق، ورغم ما في هذا النقل واغترابه عن قومه وأهله"[1].

لقد أدرك الغرب سر تحول القبائل المتناحرة المتحاربة على أتفه الأسباب، إنه القرآن الكريم الكتاب الذي تكتبت حوله الأمم والشعوب بإعجازه على مستوياته المختلفة، وحضوره المتنوع في قضايا البشرية، وكذلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرتين اللتين كانتا، تفسيرا لكتاب الله ونموذجا متحركا منفعلا.

ميادين تطبيق فلسفة الاستشراق:

فلذلك كان مما تناولوه بالدراسة والبحث القرآن والسنة والسيرة النبوية باعتبارها – أي هذه المصادر– سر هذا التفوق لدى المسلمين:

(1) **القرآن الكريم:** وكان من بين المسائل التي ركزوا عليها في القرآن الكريم:

أ. البحث عن مصادر القرآن الكريم:

ب. قاموا بترجمته.

ج. الدخيل من اللغات القديمة.

د. التشكيك في الوحي.

- مناهج المستشرقين في القرآن الكريم
- جهود علماء المسلمين في دراسة الكتابات الاستشراقية حول القرآن

---

(1) محمد ياسين عريبي: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي-منشورات المجلس القومي للثقافة العربية –الرباط المملكة المغربية ط/1، 1991 /ص8

- **مصادر القرآن الكريم:**

لا تخلو كثير من كتب الاستشراق من بحث مسألة مصادر القرآن الكريم، فهي تزخر بالحديث عنه، وإن كانت هذه المسألة لا تطرح إشكالا عند المسلمين إذ"يعتقد المسلم تمام الاعتقاد بصحة القرآن الكريم وصحة مصدره فهو وحي من عند الله تعالى بواسطة أمين الوحي جبريل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فألفاظ القرآن الكريم تدل على صحة المصدر، فهو في أعلى درجات البيان العربي"[1] وقد استمد المسلمون إيمانهم بالمصدر الإلهي للوحي من خلال آيات القرآن الكريم التي تثبت ألوهية الآيات قال تعالى:" { قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }[2]وقال كذلك "{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{3} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{4}"[3] وقال كذلك:"{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً {82}"[4]، قال القاضي أبو بكر الباقلاني: "إنّ القرآن بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، والذي يشتمل عليه بديع نظمه، المتضمن للإعجاز في وجوه منها: ما يرجع إلى الجملة، وذلك أنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، له أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أنّ الطرق التي يتقيد الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم إلى أصناف

---

(1) عبد الودود بن مقبول حنيف، :مصدر القرآن الكريم ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، في الفترة بين16– 1457/10/17 الموافق 7– 2006/11/9م ص14

(2) سورة الإسراء /88

(3) سورة النجم /3– 4

(4) سورة النساء /82

الكلام المعدل المسجع ثم إلى ما يرسل إرسالا، فتطلب منه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف[1].

ظهر هذا الاندهاش وهذا التعجب، حين كان العربي لا يفاخر الآخرين بشيء سوى ذلك النظم الذي يتفنن في أعاريضه، ويمتع الأذن والسامعين بإلقائه. وقد ظن العربي في وقت قريب أنّ هذا الشعر يحتاج إلى جن، فلذلك كان مما افترضته عقليتهم، وتصورته – صورة شيطان الشعر– الذي يحسن صناعة الأعاريض ونسج لغتها، إلا أنّ لغة القرآن جاءت مخالفة لكلامهم يقول الزركشي: رحمه الله عن القرآن الكريم: "هو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كلّ مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه... قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسّم لفظه ومعناه إلى ما ينشط السامع ويقرّط المسامع؛ من تجنيس أنيس وتطبيق لبق وتشبيه نبيه وتقسيم وسيم وتفصيل أصيل وتبليغ بليغ وتصدير بالحسن جدير وترديد ماله مزيد، إلى غير ذلك مما احتوى من الصياغة البديعة والصناعة الرفيعة فالآذان بأقراطه حالية والأذهان من أسماطه غير خالية فهو من تناسب ألفاظه وتناسق أغراضه قلادة ذات اتساق ومن تبسم زهره وتنسم نشره حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق، كل كلمة منه لها من نفسها طرب ومن ذاتها عجب ومن طلعتها غرة ومن بهجتها درة[2].

إلا أنّ الموضوع بالنسبة للمستشرقين قد أخذ سبيلا آخر اعتمد على منهج يكاد يكون مشتركا (متشابها) وذلك كلما تناولوا قضية من قضايا الحضارة العربية الإسلامية، فلذلك فقد حدد المستشرقون مصادر القرآن حسب الأولوية:

- الأساس اليهودي ثم النصراني يمثل المصدر الأول للقرآن.

(1) الباقلاني، أبو بكر إعجاز القرآن، ص36– 38 نقلا عن كتاب عبد الودود بن مقبول حنيف، :مصدر القرآن الكريم ص 16

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1/3– 5 عبد الودود بن مقبول حنيف، :مصدر القرآن الكريم ص17

- المصدر الثاني هو الأساس الجاهلي، وإليه يرجع ما ذكر في القرآن من تقديس الكعبة وقصص عاد وثمود.
- وأخيرا يأتي المصدر الإسلامي الصرف وهو الأفكار الجديدة التي اضافتها عبقرية محمد الدينية[1].

– دواعي تركيز المستشرقين في الهجوم على مصدر القرآن الكريم:

القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة ودليل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهجه في العقيدة والشريعة وهو القلب النابض بعقيدته وتشريعاته وآدابه وأخلاقه، فإهدار قدسيته كونه وحيا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى يصبح وكخطوة أولى قابلا للنقد في محتواه، وفي خطوة ثانية، عدم ملاءمته لمقتضيات الحياة وتطورها، بل مصادماته لها، حتى يتم لهم ما أرادوا من الطعن في هذا الدين القيم[2].

يزعم المستشرقون أنَ مصدر القرآن الكريم هو اليهود، والنصرانية، وأنّه في هذا استمداد بين كتب (اليهود والنصارى) التوراة والإنجيل وبين التراث الذي خلّفه علماؤهم يقول جولدزيهر: "1850– 1921– في سياق تشكيكهم في مصدر القرآن الكريم من خلال تعدد القراءات، وإنّ القرآن ليس له نص واحد مع كثرة المحاولات التي لم يحالفها التوفيق، يقول ما نصه: "في آية 54 من سورة البقرة يدور الحديث حول غضب موسى حين علم بصنع بني إسرائيل عجلا من ذهب وعبادتهم إياه يقول: " يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "..... أي فليقتل بعضكم بعضا، أو بالمعنى الحرفي للنص: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم، وهذا ينطبق في

(1) عبد الودود بن مقبول حنيف، مصدر القرآن الكريم، ص17

(2) محمد بن السيد راضي جبريل مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين (عرض ونقد)، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية ص27

الواقع على ما جاء في سفر الخروج فصل 32 فصلة 27 الذي هو مصدر الكلمات القرآنية[1].

ويقول في موضع آخر في تعميم يشمل الإسلام: "وكما تقدم تعاليم الإسلام حتى في مرحلته البدائية صورة في مذهبي الانتخاب والمزج "ومن اليهودية والنصرانية وديانة الفرس وغيرها "كذلك عملت آثار أجنبية من التجارب العلمية النافذة من المحيط الخارجي بتنمية ماجدّ بعد ذلك من المسائل"[2].

ويرى الأب قزي المستعير لنفسه لقب "أبو موسى الحريري" أنّ القرآن قد تأثر بالفرقة اليهودية، النصرانية التي تدعي بالإبيونية– (EBJONITES) وهي فئة من اليهود المتنصرين سموا أنفسهم بالفقراء آمنوا بالله الواحد الذي لا يلد، كما آمنوا بالمسيح ككلمة مخلوقة مرسلة فحسب نبي من الأنبياء لا يعترفون بلاهوته ولا بنوته الإلهية بل هو رجل كسائر الرجال جاءه الوحي بعد معموديته على يد يوحنا المعمدان، تقوم رسالتها على التعليم والتبشير ولا تؤمن بالفداء والخلاص تعترف بإنجيل معتمد واحد يسمونه الإنجيل حسب العبرنيين. تلتزم بأحكام التراث، تحبذ الطهارة، والاغتسال الدائم بالماء، وتحرّم غير المذكى، ترتدي الألبسة البيضاء، وتدعو إلى مكارم الأخلاق، تدعو إلى عمل البر والاهتمام باليتامى، والعناية بالفقراء المساكين، وأبناء السبيل... وهي المعاني التي نجدها في الإسلام والنص القرآني. وقد دعا أتباعه الفقراء إلى الله، وآمن بالتوحيد المطلق وبإنسانية الكلمة، وأنكر لاهوت المسيح، وعدّه نبيا عظيما، ونجّاه من الصلب، ورفض دلالات الصلب، والفداء، والتكفير، وعظّم أحكام التوراة والإنجيل، ومكارم الأخلاق والأعمال الصالحات كما هو معلوم.وهذا ما يجعل من المسيحيات القرآنية استمرارا للفكر الإبيوني البائد[3].

---

(1) اجليس جولدزيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، تر/ عبد الحليم النجار – دار اقرأ -بيروت، لبنان ط2 1983 ص10

(2) جولد زيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص171

(3) عبد الحكيم فرحات:إشكالية تأثر القرآن بالأناجيل في الفكر الاستشراقي الحديث، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية ص8– 9

ويدعم أبو موسى الحريري هذه المقارنة برؤية تاريخية توضّف ما ورد في النص القرآني من إشارات إلى النصارى. وتعقد مقارنة بين الإبيونيين وما يروى عن ورقة بن نوفل ليبين تطابقا يدعم به فرضية وجود الإبيونيين في الجزيرة العربية، وفي مكة بالذات. ربما هاجروا إليها بعد خراب هيكل أورشليم، فأقاموا فيها وأذاعوا منها ثقافتهم الدينية التي وجدت آذانا صاغية وقلوبا واعية بلورت النص القرآني؛ وبذلك تطعمت المقارنة ببعد تاريخي صيّرها دليلا قويا على التأثير والتأثر[1].

ويقول الأب شيخو في معرض حديثه عن النصرانية في الحجاز:"والظاهر أنّ بعض البدع المعروفة بالبدع اليهودية النصرانية) SECTES Judeo–chretiennes) شاعت خصوصا في نواحي العرب كشيوع الناصريين (Nazarenes) والإبيونيين (EBIONITES) والكسائيين (Elekesaites)، يلمح بذلك إلى أنّ النصرانية المؤثرة في الحيز المحمدي والنص القرآني هي البدع النصرانية المندثرة، كالناصرية، والكسائيين التي قدمت تفسيرا خاصا للأناجيل لا يفترق كثيرا عن النصرانية الإبيونية في كل ما يتعلق باللاهوت والمسيحيات. لقد كانتا قريبتين إلى عصر النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – مقارنة مع البدعة الإبيونية التي بادت منذ زمن بعيد، وباد معها احتمال تناص القرآن معها ونسبته إليها، لأنّه لا يمكن لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولا هو في عصره أن يكون مطلعا على نصوصها وعقائدها[2].

ويؤكد كريستي ولسون(J.christy wilson) أنّ مصدر القرآن ليست الأناجيل المعتمدة، ولا"الكتاب المقدس" بعهديه القديم والجديد، وإنّما هي أناجيل الأبوكريفا والمصادر التلمودية اليهودية التي كانت منتشرة بين النصارى، ومع ذلك فلا يشير إلى واحد بعينه.

---

(1) عبد الحكيم فرحات:إشكالية تأثر القرآن بالأناجيل في الفكر الاستشراقي الحديث ص9– 10

(2) المرجع نفسه ص 10

وما أجمله كريستي ولسون (J.christy wilson) قد بسطه فيليب حتّى (Philip k.hitti) إذ قد بيّن وجود أواصر القربى بين القرآن واناجيل الأبو كريف (Apocryphal Traditions) والثقافة النصرانية التي كانت تنشر بين النصارى السريان، ويخص بالذكر إنجيل طفولة المسيح(Gospel of the infancy) من بين عشرات الأناجيل المنحولة التي أراد واضعوها كتابة قصة حياة المسيح.. تتفق مع ما ورد في القرآن الكريم، مثل الكلام في المهد والخلق من الطين، كهيئة الطير ومع ذلك لا يقول فيليب حتّى بالاقتباس ولا، بالانتحال ولكنّه يقول: إنّ محمد صلى الله عليه وسلم قد أسلم وعرّب وأعطى طابعا محليا للمادة الإنجيلية[1].

ذهب بعض المستشرقين ومنهم تسدال ومستر كاتون إلى أنّ مصدر القرآن الكريم هو الحنفية ودليلهم التوافق بين أحكام القرآن وبين ما يدعو إليه الحنفاء في أمور كثيرة منها:

- توحيد الله.
- الحديث عن الجنة والنار.
- الإيمان بالبعث والنشور والحشر والحساب وأمور القيامة وغير ذلك.

وهذا ما زعمه شبرنجر أنّ افكار محمد لا تخرج عن الأفكار التي كان يدعو إليها زيد بن نفيل أحد هؤلاء الحنفاء. وقد كتب المستشرقون في معنى كلمة الحنفية واشتقاقها وأصلها وهل هي عربية الأصل أم عبرية أم كنعانية آرامية بحوثا كثيرة[2].

زعم بعض المستشرقين على أنّ القصص القرآني أخذه الرسول صلى الله عليه وسلم عن اليهود والنصارى القاطنين بمكة، فها هو ريجيس بلاشير يشير إلى

(1) عبد الحكيم فرحات:إشكالية تأثر القرآن بالأناجيل في الفكر الاستشراقي الحديث ص 12 م س

(2) عبد الودود بن مقبول حنيف: مصدر القرآن الكريم ص53- 54- 55 م س

التشابه بين القصص القرآني والقصص اليهودي المسيحي، وفي رأيه كان التأثير المسيحي واضحا في السور المكية الأولى[1].

ويزعم وات دون دليل ولا حجة أنّ الفكرة اليهودية والنصرانية كانت منتشرة في الجزيرة العربية ولاسيما في مكة[2].

وقال بلاشير في تعليقه على قوله تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ }[3] إنّ هذه القصة مطابقة للأسطورة المنتشرة في الشرق وفي الثقافة اليهودية النصرانية.

وفي تعليقه على الآيتين الكريمتين من سورة الحشر" 24/23 بأنّهما متأثرتان بالأفكار اليهودية قلبا وقالبا[4].

وأما المستشرقون من اليهود مثل جولدزيهر، وباول كراس وبرنارد لويس وغيرهم من اليهود فقد عرفوا بالتحامل الشديد على الإسلام والتشكيك في أصوله ومحاولة إثبات أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بشيء جديد، بل سرق كلّ شيء من اليهود والنصارى[5].

ولعل مما يؤسف له أن صورة العربي والمسلم والإسلام وحضارة الشرق قد رسمت معالمها أيام استيلاء الكنيسة على السلطة. فقد سعت وهي في قمة تأثرها وحقدها برسم معالم هذه الصورة المشوهة. والتي لم يرض عنها كثير من الدارسين الأوربيين ولعل ما يحدث اليوم بين الضفتين، ناتج عن إنتاج تلك المرحلة فقد

---

(1) القرآن والمستشرقون ص31 / نقلا عن كتاب مصدر القرآن الكريم لعبد الودود بن مقبول حنيف، ص ص6

(2) صدر الدين بن عمر كوشن، : مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، في الفترة بين16– 1457/10/17الموافق 7– 2006/11/9م ص6

(3) سورة البقرة /259

(4) صدر الدين بن عمر كوشن، : مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين ص7 المرجع نفسه

(5) المرجع نفسه، ص7

5– المرجع نفسه، ص7

حملت هذه الذهنية ملامح صوره مستفزة تصور العرب بأحقر الصور وأفضع الرسوم.

يورد صاحب كتاب" المستشرقون" أن يوحنا الدمشقي في القرن الثامن الميلادي وبعده بسنتين عني كيرلس بالقرآن وناقش علماء الإسلام "ففي اعرق الآثار الأدبية التشكية المكتوبة بالسلافية القديمة، في أواخر القرن التاسع، قصة نزول القديس كيرلس Cyril الشرق العربي حوالي عام 850 ومجادلته علماء المسلمين، أكباره لهم، وثنائه على علمهم مع ترجمته لبعض آيات القرآن الكريم، ولعلها من أولى ترجماته إلى اللغة اللاتينية"[1].

(2) سنة الرسول صلى الله عليه وسلم: لم تسلم السنة النبوية من الانتقاد؛ بل كانت مرتعا للباحثين من المستشرقين، الذين استخدموا في دراستها المنهج نفسه الذي استخدم مع القرآن ك:

- التأثير الخارجي.
- التشبث بالأخبار الضعيفة.
- الشك في مصدرها.

فيزعم المستشرق المجري جولدزيهر أنّ الإسلام دين تطور على يد المسلمين، وذلك بكثرة الإضافات التي جعلت كيان هذا الدين يصل إلى حد لم يعرفه محمد صلى الله عليه وسلم. وأول هذه الإضافات السنة، فانّ الوف الأحاديث التي ثبت أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم نطق بها، هي من صنع العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الإسلام دينا كبيرا شاملا، فخلقوا هذه الأحاديث ويذكر "أنّ تعاليم القرآن نجد تكملتها واستمرارها في مجموعة الأحاديث المتواترة، وهي وإن لم ترو عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، وتعتبر أساسية لتميز روح الإسلام"[2].

---

(1) العقيقي، نجيب المستشرقون 1032/3

(2) عفاف سيد صبره:المستشرقون ومشكلات الحضارة-دار الفكر العربي -القاهرة- ط/2، 1997 ص73

ويقول أيضا "إنّ هذه الأحاديث وغيرها من النصوص المماثلة والتي يسهل علينا جمعها لا تمثل الأخلاق فحسب، بل إنّها تعبير عن العاطفة العامة لفقهاء المسلمين، ولكن الإسلام خلال توسعه التالي وبفعل التأثيرات الأجنبية، ترك مجالا لدقة العلماء المعنيين ولعلماء العقائد[1].

"وأصبح من اللازم لدى المستعمرين محاربة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ بإبعاد السنة النبوية والتشكيك في مكانتها في التشريع يصبح التلاعب بالقرآن الكريم أمرا ميسورا".

وعمل الاستعمار من جهة على إيجاد طبقة أنكرت جزء من السنة النبوية، مبتدئة بإنكار أحاديث الجهاد بالسيف، ثم أنكرت السنة النبوية بكاملها.

وقد قاد المتنبي الكذاب ميرزا غلام أحمد القادياني والجكرالوي هذا الاتجاه في الهند، بينما تزعم توفيق صدقي هذا الاتجاه في مصر"[2].

أما المنزلة التي وصل إليها البروفسور –شاخت – فلم يصل إليها من قبل أي مستشرق في هذا المجال.

ولكي يشرح شاخت نظريته فقد نشر كتبا ومقالات عديدة بلغات مختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية ووضع كتاب –المدخل إلى الفقه الإسلامي– لهذا الغرض.

---

(1) المرجع نفسه ص73

(2) يحي مراد: افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها– در الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط/1 2004 ص235

(3) يحي مراد: افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها ص 235– 236 مرجع سابق.

ومن أشهر مؤلفاته على الإطلاق كتاب – أصول الشريعة المحمدية – الذي حاز أعلى تقدير وتمتع بالاحترام الشديد في العالم الأكاديمي الغربي[1].

فقد قال البروفسور جب بأنّه سيصبح أساسا في المستقبل لكل دراسة عن حضارة الإسلام، وشريعته على الأقل في العالم العربي.

كما اثنى عليه البروفسور كولسون أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة لندن قائلا: إنّ شاخت صاغ نظرية عن أصول الشريعة الإسلامية غير قابلة للدحض في إطارها الواسع.

ولقد أثرت نظريات شاخت تأثيرا بالغا على جميع المستشرقين تقريبا في كلّ المجالات الحضارية فمنهم البروفسور "أندرسون" و"روبسون" و"فيزجرالد" و"كولسون" و"بوزورث" كما أنّ لهذه النظريات تأثيرا عميقا على من لثقفوا بالثقافات الغربية من المسلمين، تلك الثقافات التي تطغى على معلوماتهم السليمة عن الإسلام وشريعته.

على كل حال فإنّ كتاب شاخت يحاول أن يقتلع جذور الشريعة الإسلامية ويقضي على تاريخ التشريع الإسلامي قضاء تاما، ويصف ذلك الكتاب علماء المسلمين كافة – لحقب عديدة – من القرون الثلاثة الأولى بأنّهم كانوا كذابين وملفقين غير أمناء وذلك على وجه الاختصار.

ومما يذكره البروفسور شاخت عن مكانة الشريعة في الإسلام: "إنّ القانون (أي الشريعة) تقع إلى حد كبير خارج نطاق الدين".

وقد ردد شاخت هذا الكلام مرة أخرى بوضوح أكثر في كتابه (المدخل إلى الفقه الإسلامي) حيث يقول: " في الجزء الأكبر من القرن الأول لم يكن للفقه الإسلامي – في معناه الاصطلاحي – وجود كما في عهد النبي، والقانون – أي

(1) يحي مراد: افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها ص 235– 236 مرجع سابق.

الشريعة – من حيث هي هكذا كانت تقع خارجة عن نطاق الدين، وما لم يكن هناك اعتراض ديني أو معنوي روحي على تعامل خاص في السلوك فقد كانت مسألة القانون تمثل عملية لا مبالاة بالنسبة للمسلمين".

هذه النظرية جوهرية ومركزية وأساسية بالنسبة لكل كتابات شاخت، فإذا كانت الشريعة – أو القانون – تقع خارجة عن نطاق الدين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم غير مكترث لها، وكذلك المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين، إذن فلن يكون هناك أي اهتمام في هذا المجال. وإن وجد كان شيئا مؤقتا وآنيا.

وعلى ذلك إذا؛ كان هناك في المصادر ما يشير إلى جهد النبي صلى الله عليه وسلم جهدا دائما متواصلا، ومن جاء بعده من العلماء المجتهدين من الصحابة والتابعين في مجال التشريع فيكون كذبا مختلفا؛ وعلى كل، ليس هذا هو الاستنتاج المنطقي من كتابات شاخت، بل إنّه صرح بذلك بكل وضوح فقال: من الصعوبة اعتبار حديث ما من الأحاديث الفقهية صحيح النسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

لا شك أنّ ادعاء عدم اكتراث النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والتابعين بالتشريع ووقوع التشريع خارج نطاق الدين، وعدم صحة حديث واحد من الأحاديث المنسوبة إلى النبي، ينتج عنه أهداف كثيرة مقبولة ومطلوبة من قبل أعداء الإسلام تتمثل في:

1. مطالبة الشعوب ورغبة الحكام في تطبيق الشريعة الإسلامية كلام فارغ، لأنّ الشريعة في حقيقتها خارجة عن نطاق الدين.
2. ما يسمى بالفقه الإسلامي، ليس هو الفقه الإسلامي المبني على كتاب الله وسنة رسول الله، لأنّه لا يوجد ما يمكن تسميته سنة النبي صلى الله عليه

وسلم — بل إنّ جزء غير قليل من الفقه الإسلامي مأخوذ من شرائع اليهود والكنيسة وديانات أخرى عدا اجتهادات المجتهدين[1].

3. المستشرقون وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم:

بدأ الموقف (الغربي) من الرسول صلى الله عليه وسلم يتشكل في إطار ديني صرف، اتصف بالتعصب والتشنج والانفعال، مليء بالحقد والغضب والكراهية، تحيطه جهالة عمياء، متعمدة حينا وغير متعمدة أحيانا، جعلت بين القوم وبين شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم سدا يصعب اختراقه، والنتيجة ليست أبحاثا تاريخية علمية أو موضوعية بحال، وإنّما ذلك السيل المنهمر من الشتائم والسباب مارسها رجال دين من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة..ومارسها رجال علمانيون لا علاقة لهم بالكنيسة من قريب أو بعيد وقد استمر هذا التيار حتى العصر الراهن...

ماذا كانوا يقولون عن رسولنا صلى الله عليه وسلم وعن رسالته؟

يقول المونسينيور كولي في كتابه (البحث عن الدين الحق): "برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة. وقام على أشد أنواع التعصب، ولقد وضع محمد السيف في أيدي الذين تبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وأفريقيا وأسبانيا فريسة له، حتى إيطاليا هددها الخطر، وتناول الاجتياح نصف فرنسا، ولقد أصيبت المدينة... ولكن انظر هاهي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سدا في وجه الإسلام المنتصر عند بواتيه(752) ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريبا(1099-1254) في سبيل الدين، فتدجج أوربا بالسلاح وتنجي النصرانية، وهكذا تقهقرت

(1) يحي مراد: افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها ص 237- 236 مرجع سابق.

قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق السيئة[1].

يقول المسيو كيمون في كتابه (ميثولوجيا الإسلام) "إنّ الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك ذريعا بل هو مرض مروع وشلل عام وجنون ذهني يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه إلا ليسفك الدماء ويدمن معاقرة الخمور ويجمع في القبائح، وما قبر محمد في مكة؟ إلا عمود كهربائي يبث الجنون في رءوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع (الهستيريا) والذهول العقلي تكرار لفظ (الله، الله) إلى ما لا نهاية، وتعود عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في الملذات[2].

ويقول جوليان في كتابه (تاريخ فرنسا) "إنّ محمد مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى(إنّ هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح أراحوا النفوس ببرهم وإحسانهم، ماذا كان حال العلم لو أنّ العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين[3].

زاد نهم الغرب في معرفة العرب خاصة بعد وصول الدولة العثمانية إلى امتلاك نصف العالم و قد أصبحت ممثلة الشرعية للإسلام على الصعيد السياسي والثقافي والعقيدي وامتدت سيادتها إلى بعض الدول المسيحية في البلقان وغيرها، "بدأ اللاهوتيون، يبحثون من تلقاء أنفسهم عن كيفية مواجهة هذا الخطر

(1) يحي مراد:افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها ص 279– 280

(2) عن النصوص السابقة ولمزيد من التفاصيل أنظر: د/ محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص521/507، ليوبولد فايس (محمد أسد) الاسلام على مفترق الطرق ص60 فما بعد عمر فروخ ومصطفى الخالدي: التبشير والاستعمار في البلاد العربية

(3) يحي مراد: افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها ص280

الجديد. غير أنّ العقلية الغربية كانت قد تقمصت شيئا ما، فلم تعد تحسب حسابا للإحساسات الإيديولوجية فحسب، بل قررت أن تعد عدتها على المدى البعيد للقضاء على دولة الإسلام الجديدة حتى أخذت تعقد أنشطتها حول عنقها في الميدان السياسي والعسكري والثقافي والعلمي وذلك لكي يكون إطباقها عليه إطباقا كاملا"[1].

في الوقت الذي أخذ العالم الغربي ينهض ويتقدم، بدأ العالم العربي بعد مجيء الأتراك لينحط وينزلق. "إذ طغى عليه الجهل والجمود واستولى عليه سكون مطبق، وبدأت الحياة تنكشف أمام أهلها عن آفاق جديدة. فتفطن بعض علمائهم إلى استدارة الأرض وزاد آخرون فاستنتجوا أنهم يستطيعون أن ينفذوا إلى الشرق دون أن يكون لهم حاجة إلى المرور بأرض الأتراك الذين يؤذونهم أذى شديد..."[2]

وما أن أطلّ القرن التاسع عشر حتى كانت فلسفة الاستشراق قد استكملت نموها وتقوّت من خلال تجاربها .و قد استفادت مما حققته الحضارة الأوربية من تقدم فكان عصر الأنوار يمد الاستشراق بما وصلت إليه فلسفته، ولذا نجد في الاستشراق مختلف المناهج والفلسفات. فقد استغل المستشرقون فلسفة ديكارت العقلية، وفلسفة كونت الوضعية، وفلسفة دوركايم الاجتماعية، وفلسفة سوسير اللغوية البنيوية، وانتروبولوجيا ليفي ستروس وغيرها مما توصل إليه الغرب. كما استفاد الاستشراق بما وصلت إليه حضارة المسلمين في مختلف ميادينها.

مسلمات استشراقية في الثقافة العربية: تكونت فلسفة الاستشراق عبر مسارها التاريخي، وتلاقحت مع مختلف الحوادث، فقد شكّلتها جزئيات تاريخ أوربا في علاقته مع المشرق. كما كان للفلسفات المتعاقبة في أوربا الأثر المباشر في تعميق فلسفته التي ظهرت واضحة في تعامل الغرب مع الآخر. وحصر الرؤية وتضييقها، ثم

(1) أحمد سمايلوفيتش:فلسفة الإستشراق ص 195.م س

(2) حسين مونس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث– مطبعة حجازي- القاهرة، 1938 ص34 فلسفة الاستشراق ص 145

ظهرت بالتوالي ما يسمى بالمسلمات التي استطاعت رسم ملامح الشرق، وأصبح يرسمها عقل الغربي كما، يمثلها المستشرق، فالاستشراق مذهب معرفي لتسريب صورة الشرق إلى وعي الغربيين.

لم يبق حديث الاستشراق وما يحيط به من قضايا حضارية بمبعد عن أسوار الجامعة الغربية، أو العربية، بل أصبحت له مؤسسات ومعاهد تقوم على دراسته وتحاول التقرب منه. وشكل مادة ثقافية في أوساط المثقفين الذين يقول عن وضعهم تييري هنتش "وكنا في حمى النقاش المتحمس في أروقة الجامعة عن ثنائية الشرق والغرب، ثنائية الاستشراق والاستغراب، ثنائية الثقافة والفكر المتوحش، الكولنيالية وتحرر آسيا، كنا نتحدث عن فولتير ومحمد، ومونتيسكيو وبلاد فارس، هيغل والاستبداد الشرقي، لايتنز وقناة السويس، ولامارتين والشرق المسيحي، شاتوبريان وأورشليم، وفلوبير وكشك هانم، ونرفال ومصر، وغوتييه واستنبول، ورينان وجمال الدين الأفغاني، وهنري كوربان والفلسفة الإسلامية، ماسينيون والتصوف الإسلامي، وادوارد سعيد وبرنار لويس، وأنور عبد الملك ومكسيم رودنسون، كنا في قسم الأدب المقارن ونغرق في حمى المقارنة والتأثير والتأثر، في حمى النقاش عن العلاقة بين الأنا والآخر"[1].

ومادام ادوارد سعيد قد عاش الغرب من داخله ورافق أقطاب المستشرقين، من أمثال بارنارد لويس، وشاهد بأم عينه كيف يتعامل الغرب ذهنيا وواقعيا مع الشرق، فقد اعتمدنا على كتابه "الاستشراق" في تحديد المسلمات التي أصبحت الشكل النمطي في ذهنية الغرب التي يتعامل بموجبها مع القضايا العربية. لأن تحليل الاستشراق ليس تحليلاً لذلك "التراث البحثي" الغربي فقط، بل هو أيضاً تحليل لمكون أساسي من مكونات الثقافة العربية الحديثة، مكون نتج عن "اجتياف" أو "استبطان" وجهة النظر الغربية في المجتمع والثقافة العربيين التقليديين.

(1) تييري هنتش: الشرق الخيالي ورؤية الآخر "صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط، تر/مي عبد الكريم محمود –دار المدى– سورية ط1/ 2006ص5

وتكمن أهمية الكتاب في أنّ صاحبه أي "سعيد" يصدر في رؤيته النقدية وعمله المعرفي، عن تصور يرفض النظريات الأصولية في فهم الأدب والتاريخ، أي تلك التي ترى في الأصل الغربي –الأوربي مصدر إشعاع يغمر بضيائه الثقافات الأخرى.وقد كان الاستشراق(*) (1978)بمثابة نقد مضاد لكل هذه النزوعات(**) الأصولية في فهم الثقافة والأدب والنقد"(1).

ومما ساهم في تشكيل هذه الصورة النمطية في ذهنية الغرب ما أسماه سعيد ب:

أ. شرقنة الشرق(*): أحد المفاهيم الأساسية التي ابتكرها إدوارد سعيد في كتابه المذكور هو مفهوم "الجغرافية التخيلية": "ذلك أن مواضيع وأقاليم وأقساماً جغرافية كالشرق والغرب، من حيث هي كيانات جغرافية وثقافية، دون أن نقول شيئا عن كونها كيانات تاريخية، هي من صنع الإنسان"(2) "إن الشرق يشرقن". ومن البديهي أن أحداً من الشرق "لم يكن يعرف" أنه من الشرق قبل الغزو الأوروبي العسكري ثم الثقافي (وأحياناً الثقافي ثم العسكري..الخ). لقد كان في القرن الثامن عشر الغربي، صورة معتدلة ومتوازنة عن الشرق، وليس لهذا التوازن أية علاقة بالشرق، بل هو توازن داخل الغرب ذاته، "إلا أنّ الغرب ومع نهاية العصر الرومانتيكي بدأ عملية طرد ونبذ ولعن الجزء الشرقي الذي يحمله في داخله، أي الصورة المتكونة في مخياله الجمعي، وهكذا أصبح الشرق نقيضا للصورة التي يحملها الغرب عنه.

(*) المقصود بالاستشراق هنا الكتاب الذي ألفه ادوارد سعيد

(**) وردت هكذا وهي الميل أو الميولات.

(1) صالح فخري:دفاعا عن ادوارد سعيد– دار الفارس– عمان، ط2000/1 ص 12

(*) شرقنة الشرق:عبارة استعملها ادوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" والتي يقصد بها الصورة التي رسمها للشرق وعمل على أن يتقمصها الشرقيون.

(2) إدوارد سعيد: الاستشراق– المعرفة– السلطة– الإنشاء– ص40.م س

وبدا تحت ضغط التاريخ بتشكيل نظام من الصور التي تتحدد بمفهوم الاحتواء والضم. ولذا تعرض الشرق في بداية تكوّن تمركز الغرب الحضاري إلى نوع من الاستبناء داخل الثقافة الغربية"وهذا ما جعل تييري هنتش يقول أن الشرق قد خضع إلى نوع من المقارنة والفيلولوجيا الصامتة والى درجة في نوع من التراتب العنيف غرب/شرق[1]. لتشكيل خطابه التاريخي والسياسي والأدبي والسوسيولوجي والفلسفي في الغرب أثناء عملية اختراعه.

وهذه النظرة لا تقوم على أسس علمية، تنطلق من نتائج العلم والمنهج السليم بل لا تعمل حسابا للتاريخ والتطور، وغيرها من العوامل التي تتحكم في حياة الإنسان. وإنما هي دليل على الخوف الدفين الذي "يطلق الغرب عليه صفة الشرقي أو يسميه الشرق وحسب وهو خوف مركب... يضم بقايا إحساس أبناء أوربا بالجهل، وكل مجهول ذو خشية ورهبة. ويضم بقايا خوف أوربا من تهديد الشرق الذي كان يمثل يوما ما، الدولة العثمانية، ويحاول الغرب القضاء على هذا الخوف الدفين (أي غير المعلن) أساسا بتزييف صورة ما يعتبره مناقضا له، على نحو ما فعله حين اعتبر الإسلام للشرق، وما فعله حين اعتبر العرب ممثلين للشرق لأنهم يعيشون في الشرق الأدنى"[2].

أخذت هذه الذهنية في طريقها لتستقر في وعي الغرب. وأصبح من المسلم به انّ الشرق محتوى في ذات الغرب، وأنّ الأخير يتمتع بالقدرة على تشكيله في القالب الذي يصنعه، فقد تحول الشرق طينه مهيّئة في أيد مدربة، تحترف نحت هذه الطينة (أي الشرق) في صورتها وكأن أوفيد يبعث لينحت شكله من جديد، "فادوارد سعيد يعرض الوعي الغربي مع الأخر، فيحاول المستشرق احتواء الأخر باعتباره فرعا منه، مثلما اعتبر بعض المستشرقين انّ الإسلام صورة منحرفة من صور

---

(1) تيري هنتش: الشرق الخيالي ورؤية الأخر "صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط ص 6- 7 مرجع سابق

(2) ادوارد سعيد: الاستشراق -المفاهيم الغربية للشرق، تر/ محمد عناني -رؤية للنشر والتوزيع- القاهرة، ط1/ 2006 ص19

المسيحية، وبهذا ضموه إلى الوعي الغربي، وقد يحاول نبذه ومعاداته بحيث يصبح القطب السالب الذي تكتمل به دائرة البشر الكهربائية"[1].

ومما زاد من خيالات الغرب في تعميق صورة الشرق ونحتها حتى تتفق والبعد الأوربي، حالنا اتجاه هذه العلائق التخييلية الكثيرة عن واقع الشرق "فنحن أيضا معتلين بالعيب نفسه... وهذا ما جعلنا عرضة لأن يقال فينا ما لا نعرفه عن أنفسنا"[2].

فتور روح المقاومة مع الفراغ الإيديولوجي سمح للذات باستقبال فكر الآخر، بعدما استفرغت من النموذج الأصيل الذي كان يملؤها" فالأنا تأثرت بقول الآخر فيها على نحو مقلق، بعدما استجابت للانفعال الذي أحالنا إلى صورة متطابقة مع ما تصور الآخر عنا المنقول إلينا من خلالهم، لا عبر ما نراه بأنفسنا"[3].

ولم يكن الاستشراق بمعزل عن السياسات المنفذة من قبل الدول الغربية، فقد كان يساير مصالح الدول، ولعل هذه المصالح دعت كبار المستشرقين إلى تصوير هذا النموذج، فاعتبر هؤلاء أنّ الشرق عدو مفترض أو أسطورة خلقها خيال الغرب.

ب. "**العلة الجوهرية**": التي تسبب التخلف: قد استقر في ذات الغرب ما أسماه ادوارد سعيد بالشرق المشرقن الذي صنعته ذهنية الغرب، وفق ما أملته عليه ظروفه التاريخية والفلسفية، وقد أصبح هذا المفهوم جوهرا ثابتا لا يتغير في الزمان والمكان، وهو معتل علة لا تقبل الشفاء.

---

(1) ادوارد سعيد: الاستشراق -المفاهيم الغربية للشرق، تر/ محمد عناني ص21- 22

(2) نديم نجدي:أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي - دار الفارابي- بيروت، ط1/ 2005، ص9

(3) المرجع نفسه، ص9

ويرى سعيد (1935– 2003) أن الشرق شبه اختراع أوروبي وأن الاستشراق ليس مجرد خيال أوروبي متوهم عن الشرق "بل انه كيان له وجوده النظري والعملي وقد أنشأه من انشأه، واستثمرت فيه استثمارات مادية كبيرة على مر أجيال عديدة، وقد أدى استمرار الاستثمار إلى أن أصبح الاستشراق باعتباره مذهبا معرفيا عن الشرق شبكة مقبولة تسمح منافذها بتسريب صورة الشرق إلى وعي الغربيين... الإمبريالية السياسية تحكم مجالا كاملا من الدراسات والإبداع والمؤسسات البحثية".

وإذا كان الأمر كذلك فإن علة أخرى لازالت تلاحق الشرق ولن تسمح له بالتغير، تلك المتسببة في تخلفه، ولعل أول من صدح بها– وبنى عليها أحكامه وأصبحت مسلمة من المسلمات الملتصقة بالشرق– أرنست رينان(*).

فقد روّج رينان (Renan) الفيلسوف الفرنسي المتوفى سنة 1892 إلى تصفيف البشر، وقسمهم إلى ساميين وآريين. وقرر تفوق الجنس الآري في مجال الفلسفة كما في مجالات أخرى، إذ يقول:"ما يكون لنا أن نلتمس عند الجنس السامي دروسا فلسفية. ومن عجائب القدر أنّ هذا الجنس الذي استطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة في أسمى درجاتها لم يثمر أدنى بحث فلسفي خاص، وما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباسا صرفا جدبيا وتقليديا للفلسفة اليونانية "ومن هنا يؤكد أنّه "من الخطأ وسوء الدلالة بالألفاظ على المعاني أن نطلق على الفلسفة في شبه جزيرة العرب مبادئ، ولا مقدمات، فكل ما في الأمر أنّها مكتوبة بحروف عربية، ثم هي لم تزدهر إلا في النواحي النائية عن بلاد العرب مثل أسبانيا ومراكش وسمرقند، وكان معظم أهلها من غير الساميين"[1].

بل ويضيف شارحا أكثر للظاهرة وأسبابها المباشرة، في محاضرات ألقاها في الكولج دي فرانس (1862) أنّ "الإسلام هو احتقار العلم وإلغاء المجتمع المدني،

(*) قدمنا له ضمن مستشرقي فرنسا.

(1) محمد عابد الجابري: التراث والحداثة دراسات ومناقشات– المركز الثقافي العربي– بيروت، ط1، 1991 ص65

إنّه البساطة المروعة للعقل السامي، التي تحد الدماغ الإنساني، وتحول بينه وبين كل فكرة مرهفة، وكل إحساس رقيق وكل بحث عقلاني، ولتجعله في خدمة توتولوجية أزلية "الله هو الله"[1].

إذا كانت المادة التي اعتمدها الاستشراق ممثلة في الرحالات التي قام بها الرحالة الأوائل باتجاه العالم العربي والإسلامي حيث استطاعوا أن يجمعوا ما أمكنهم من معلومات حول هذا الطارق الجديد إلى أوربا، فإنّ هذه المعلومات قد أصبحت مادة مؤسسة لمختلف العلوم التي ساهمت في تمكين أوربا للسيطرة على المنطقة العربية والإسلامية، وظهرت جلية بوضوح في كتاباتهم المختلفة. وهذا شأن كتاب "جون ويستليك JOHN WESTLAKE وهو بعنوان (فصول في مبادئ القانون الدولي)، وهو كتاب ظهر عام 1899 متوجا لمجهود سياسي معني بالساحة الدولية كما يراها منظرو الإمبراطورية في مرحلتها الاستعمارية: فالخلاصة التي يأتي بها الكتاب لا تعدو التصريح بأنّ العالم ينقسم إلى مناطق متحضرة وأخرى متخلفة، يلزم الغرب أن يعزلها أو يحتلها .اي أنّ الفكرة كانت قائمة في التفكير الغربي. وعلى الرغم من مسعى رجال عصر التنوير في القرن الثامن عشر إلى تغليب وجهة النظر الإنسانية الداعية إلى إغفال التفريق الجغرافي أو العنصري، إلا أن النزوع الأقوى كان يشغل آخرين، ويتحول إلى هاجس مقبول لدى ديفو DEFOE وغيره وهو يتخيل إنسانه الأسود أو الملون محتاجا إلى تثقيف آخر يتيح له حياة مختلفة عن حياة رهطه"[2].

كما أنّ هذه النظرة لا يمكن أن تكون معزولة عن التفسير العنصري الذي طرحه أرنست رينان واقتبس عنه دي ساسي DE SACY وغيره حيث يتوزع عالمه إلى جنسين، أري وسامي، إلى مبدع منتظم خلاق، مركب، وآخر وصفي، ظاهري، ناقل،

(1) لوي غاردي، ومحمد أركون:الإسلام الأمس والغد – دار التنوير– ب ط، 1972 ص86

(2) محسن جاسم الموسوي: الاستشراق في الفكر العربي– المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت ط1/– 1993، ص31– 32

وهو توزيع بدا مقبولا لعقول كثيرة خلطت بين التخلف الاجتماعي، وبين التركيب العنصري للأجناس البشرية.

ولئن كان المستشرق رينان يركز فيما سبق ذكره على الفلسفة فأنّه يشير إلى تفوق العنصر الآري في الفلسفة وفي مجالات أخرى وعلى هذا الأساس بنيت النظرية الاستشراقية على القول أن العقل للغرب وأن القلب للشرق.

تمكنت الثقافة الأوروبية من ابتداع الشرق عبر مفاهيم الاستشراق الذي اعتمد على التمييز الوجودي والمعرفي بين الشرق والغرب. حيث زادت الثقافة الأوروبية من قوتها ودعمت هويتها من خلال وضعها لذاتها مقابل الشرق باعتباره ذاتا بديلة...فالاستشراق برمته يقع خارج الشرق وبعيدا عنه، وهذا ما يؤكده تييري هنتش بقوله "إنّ الشرق هو اختراع غربي تمت صياغته عبر مراحل مختلفة ومتعاقبة بصورة بطيئة داخل الثقافة الغربية، ويؤشر هذا الاختراع مراحل تحولات الوعي الغربي بذاته، ويرسم صورا للشرق تتنوع وتختلف طبقا إلى الاختلاف والتنوع الظرفي من الناحيتين التاريخية والسياسية، فيكون إدراك الغرب للشرق قائما على نظام الصورة المتنوعة والتي تعكس الصراع السياسي والتاريخي في العالم الغربي، فلم يكن نظام التصور نظاما واحديا، إنما هو تصور مقترن بما يحدث في عالم الغرب أكثر مما يحدث في أيّ عالم آخر"[1].

ولعل هذا الاضطراب ناتج عن طبيعة هذه النظرية وتعاملها مع الحضارة العربية الإسلامية في خضم ما يسمى بصدام الحضارات أو صراع الحضارات أو التفوق الحضاري، أو ما يسمى عند الكثيرين بالآخر.

هذه النظرة البيولوجية في تصنيف الشعوب وتمييزها إلى آري متحضر وجنس سامي متخلف. والتي اعتمدها تضرب بجذورها في أعماق الأسطورة الغربية فمن ذلك أسطورة أوربا[*].

---

(1) تييري هنتش: الشرق الخيالي ورؤية الأخر "صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط، ص6 مرجع سابق.

تنطوي هذه الأسطورة على معان فهي تدلنا "على ما به تشكّلت واقعية الأوربي وعقلانيته التامة اليوم، ومن وهم تأسّس في رحم الأسطورة ذاتها.... فإسناد العدل مثلا إلى ولدي أوربا الفاتنة "مينوس ورادامنتوس" لا إلى زفس الشرقي الكسول، في أصل الحكاية المنسوبة إلى خيال شرقي له مفاعيل غربية راهنة تتعارض مع مدلولات الآثار التاريخية لتلك التي استنبطت معانيها من تنقيبات الغرب نفسه[1].

وقد ارتبط بهذا الوضع الذي تشكل في البلاد العربية الإسلامية، قطيعة ابستمية بين الفئة المتعلمة والمثقفة والمجتمع، بالإضافة إلى أنّ هذه الفئة التي تلقّت تعليما كانت تابعة، ومستلبة في غالب الأحيان اتجاه الثقافة الغربية وذات ارتباط وثيق بالسلطة الاستعمارية (مدارس تبشير، مدارس حديثة فرضت عليها المناهج الغربية)، كما أنّها لا تمثل إلا فئة قليلة قياسا بباقي أفراد المجتمع

إذا كانت الثقافة العربية الحديثة قد قامت على أساس المسلمة الاستشراقيةنفسها التي تقول إنّ الشرق يشكو من عيب جوهري، يجعله غير قادر على أن يتجاوز وضعه المأساوي على الأقل، طالما هو محتفظ "بجوهره الشرقي" فإنه ينتج من ذلك منطقياً أن هذا الشرق، يجب أن يمنع –لغرض إصلاحه!– من التعبير عن ذاته الحقيقية، لأن هذه الذات تتناقض مع نموذج الأصل الأساسي (الغرب) ومن هنا كان من الملائم عد المجتمع الأهلي مجتمعاً ينبغي إسكاته، وترك"النخبة"تتكلم بالنيابة عنه لأنه إن نطق فلن ينطق إلا بلغة "لا تعبر عن عصرها""العصر"في الاستعمال المعاصر في الثقافة العربية هي كلمة مرادفة لكلمة"الغرب" فالعصر هو الغرب. والغرب هو العصر ومن لم يتطابق مع الغرب فهو لم يتطابق مع العصر. والذي لم يتطابق مع الغرب يعيش خارج الزمن المعترف به. فالزمن مضبوط على الساعة الغربية حتى لو كانت الشمس تشرق عندنا أولاً.

---

(1) نديم نجدي: أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي –ص43– 44 م س.

اللغة الوحيدة المعترف بها هي "لغة العصر". ومن هنا كان مجتمعنا أخرس منذ عصر النهضة. فهو لا يتقن لغة العصر لذلك فما هو إلا طفل يحتاج إلى وصيه ليعبر عنه. وهذا الوصي تمثل في النخب المستغربة بتجلياتها العديدة، وأسمائها وأيديولوجياتها المتباينة التي تلتقي في نقطة واحدة هي نقطة الاستيراد الجاهز، والتي لها طبيعة واحدة هي الطبيعة الوصائية التي تنقلب في التطبيق إلى أنظمة اجتماعية–سياسية شمولية لم تزل قائمة في أماكن عديدة من بلادنا لا يتغير منها إلا أشكالها وأسماء قادتها.

ومن هذا يمكننا أن نتصور المعادلة الحضارية التي قيّد من خلالها العرب والمسلمين:

- تصميم الهيكل الشرقي في ذهن الغربي والشرقي + العقدة البيولوجية التي روّج لها أرنست رينان ←——— مجتمع أخرس لا يستطيع التعبير على نفسه.

لقد أخذت هذه الأفكار في التنامي والبروز، وشغلت حيزا من كتابات المفكرين الغربيين (المستشرقين خاصة) وخرجت عن دائرة الكتب واستقرت في الذهن ووصدقتها الأفعال وكونت رؤية سياسية للمنطقة العربية، خلاصتها:

- غرابة الفكرة القومية على الوجود العربي على أساس أنّ النظام السياسي، كما يراه كب GIBB ومكدونالد وآخرون، مولود في الشريعة قائم معها بوجودها في تكوين ديني
- غرابة الوحدة، فالتفرق في منظور برنارد لويس BERNARD LEWIS هو الحالة، والتوحيد أو حتى التحاور هو الطارئ ولهذا فإنّ دراسة الفرق والحركات شغلت حيزا في المرحلة الثانية للفكر الاستشراقي السياسي، بحيث كونت لذاتها أسسها وأقيستها ومبادئها، والتي تقول:
- إنّ العربي يمتلك نزعة للتناحر والاحتراب، وهو ما يأخذ به لاحقون من أمثال بتاي PATAI مثالا. إنه فرداني وأناني[1].

---

(1) محسن جاسم الموسوي: الاستشراق في الفكر العربي، ص 35 مرجع سابق

- إنّه رهين آنيته، إذ كما يقول بيرك عن أبعاده الحياتية (الحين والرجاء والإحساس بقصر العمر، هذه هي الأبعاد الثلاثة التي تحد الحياة العربية[1].
- إنّه ينمو أو يتنفس في غير محيطه، أي أنّ نبوغ بعض أفراده يتم في المجتمعات الآرية فقط.
- ذهنه منفعل يصعب الوثوق به أو الاطمئنان إليه بينما يسهل تفجيره سياسيا أو جغرافيا من قبل صانع القرار السياسي المضاد.
- إنّ العربي يميل إلى الشورى، ولكنه يميل أيضا إلى الوساطة، كما أنّه مجبول على النزاع والاقتتال مع إخوته.

وأكد تلامذة الاستشراق السياسي هذه المقولة معتمدين على مصادر متباينة جرى توظيفها توظيفا خاصا لأغراض ليست مجهولة، لاسيما داخل الوسط الصهيوني الذي يهمه إشاعة فكرة التناحر العربي ليبدو أكثر تحضرا وفاعلية وقدرة على إحلال السلام، وهو ما طرحه الساسة الصهاينة مرارا في كتاباتهم.

- ويرى تلامذة الاستشراق السياسي أيضا أنّ المباهاة والتفاخر والاعتداد بالكبرياء ملامح قائمة في الشخصية العربية، وتقود إلى التكتم والتستر، وخشية الفضيحة، واعتماد المبالغة: ومعروف أنّ هذه النظرة الجزئية أو الظاهرية أو المعنية بجانب سلوكي محدد بظرفه ونوعه تستثمر لأغراض تقليل شأن النزعة القومية أولا بدعوى أنّها لا تعدو كونها نزوعا للتفاخر والمباهاة، ومن ثم توظيف هذا المدخل في خدمة الدعاية السياسية المضادة التي تدعي وجود التمييز ضد الأقوام والفئات الأخرى، لاسيما اليهود داخل المجتمع العربي[2].
- ويرى تلامذة الاستشراق السياسي أنّ المجتمع العربي لا يمكن أن يواجه روح العصر أو يحتويها، فهو مكبل بتقليدية خاصة به، ولهذا يرى عظمته في

(1) جاك بيرك: العرب من الأمس إلى الغد، تر/ علي سعيد – دار الكتاب –بيروت 1982ص 55

(2) محسن جاسم الموسوي:الاستشراق في الفكر العربي ص40

بواكيره، ولا يبحث بعد ذلك عن عظمة اخرى، كما يقول بتاي PATAI اي أنّ المجتمع العربي ثابت لا يتغير، وما يبدو فيه من تغيرات ما هي إلا مظاهر قابلة للزوال كالقشرة الخارجية.

- إنّ العربي في رأي تلامذة الاستشراق السياسي، وأساتذته أيضا من أمثال بيرك BERQUE متقلب كالصحراء، يصعب أن تقسيم العواطف والأفكار والتناقضات في داخله طويلا، ولهذا فهو يتعامل مع الآخرين. دون إحساس بالذنب، ويبقى الواقع بالنسبة له "داخلي خاص به" على خلاف الأوروبي الذي يبصر الواقع على أنه ما يقع خارجه.
- يتوزع التاريخ العربي في منظور الاستشراق السياسي إلى فترات كسل طويلة وأخرى قصيرة متوترة منفعلة، أما إنسان هذه الفترة فهو غير موضوعي أو واقعي، تأثري، يديم العلاقة المرتبية، ذاتي فرداني، شاك خائف من العار يعوزه الحس بالزمن[1].

(1) محسن جاسم الموسوي: الاستشراق في الفكر العربي، (ص40– 41)م س

الفصل الثالث

ماهية المنهج الاستشراقي

الفصل الثالث

ماهية المنهج الاستشراقي

بعد أن خاض المستشرقون عملية الجمع للتراث من مضانيه، وأصبحت رفوف المكتبات في الجامعات الأوربية مملوءة بها، وبعد أن أنشئت كراسي للغة العربية والثقافة العربية، جاء دور الدراسة واستغلال هذا التراث الكبير.

فقد استطاع المستشرقون تكوين فلسفة ومنهاج خاص بهم، قدموا من خلاله هذه الثقافة وبوجهة نظرهم.

لئن كان العمل الذي قام به المستشرقون قد أخذ جانبا من الأهمية، فإنّه أصبح يتميز بمميزات صبغت هذه المناهج، في الوقت الذي يزعم فيه بعضهم "أنهم أصحاب منهج علمي نزيه في كل ما يقومون به من دراسات وبحوث، ويتشدق بهذا الزعم تلامذتهم وأشياعهم في بلادنا، ويحاولون جاهدين تكريس هذا المفهوم وتلمس شتى الأدلة والقرائن لإثباته، وإذا قام أحد الباحثين وقال بعكس ذلك، وأثبت أنّ المستشرقين كثيرا ما يجافون المنهج العلمي وقواعد البحث والدراسة، وخاصة فيما يتصل بدراسة الإسلام، كان حظه من أولئك الأشياع أن يتهم بالتعصب والتحامل على المستشرقين أصحاب الفضل –في نظرهم– على تراثنا[1].

وما من شك في أنّ المستشرقين قد انتهجوا، في تعاملهم مع الثقافة العربية الاسلامية، منهجا علميا "فنحن لا نماري في معرفة المستشرقين بالمنهج العلمي وقدرتهم على استخدامه وتطبيقه في دراساتهم وبحوثهم المتشعبة الواسعة ولا ننكر أنّ بعضهم يمارسه، أو أنهم يمارسونه في بعض مجالات دراسته، وليس في جميعها"[2].

(1) علي محمد إسماعيل: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل "مدخل علمي لدراسة الاستشراق- دار الكلمة- مصر، ط3/2000 ص122

(2) المرجع نفسه، ص121

وقبل البدأ في التعرض لهذه المناهج وكيف تعامل بها المستشرقون وهم يطبوقونها، يمكننا أن نتساءل بأيّ منهج تعامل المستشرقون مع التراث؟

لعب المستشرقون دورا كبيرا في بعث التراث العربي الإسلامي. وقد كان ذلك منذ أن بدأ اتصال الغرب بالحضارة العربية، اتصالا مباشرا، فعليا ومؤثرا فـ"ببزوغ النهضة الأوربية في القرن العاشر الميلادي، أو قبله بقليل، ظهرت آنذاك طلائع المستشرقين، وهم طائفة من علماء الغرب — جمهورهم من الرهبان — التفتوا التفاتة جادة إلى تراث العرب، وقد عرفوه عن عرب الأندلس، ومصر والشام، وانكبوا عليه يفتشونه ويتدارسونه، وكان اهتمامهم في أول الأمر مصروفا إلى علوم الحكمة الفلسفية، والجبر والحساب والفلك والإسطرلاب والطب والكيمياء والبصريات، ثم أفض بهم ذلك إلى فروع التراث العربي الأخرى[1].

يعود تاريخ الاهتمام بالتراث إلى راهب فرنسي يدعى جربر دي أورلياك المولود بتاريخ 938 المتوفى سنة1003، قصد الأندلس، وأخذ على أساتذتها في مدارس ريبول واشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ولما أرتحل إلى رومة سما على أقرانه، وانتخب حبرا أعظم باسم سلفستر الثاني فكان أول بابا فرنسي. وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين، الأولى في مقر خلافته، والثانية في رايمس — شمال فرنسا — وطنه— ثم أضيف إليها مدرسة شارتر، وقيل: إنّه أول من صنع ساعة رقاصة، ووصف وبث الأعداد العربية في أوربا، التي كان ينقصها رقم الصفر، وترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية، كالزيج المنصوري، وله دراسة عن كتاب أقليدس الهندسي العربية[2].

ومنهم أدلر أويك أوف باث المولود عام 1070م والمتوفى عام 1135، وهو راهب أيضا، طلب العلم في الأندلس وصقلية، ومصر ولبنان والقدس وإنطاكية واليونان وجمع معارف في علوم الطبيعة والفلك والرياضيات. وعند عودته إلى

(1) محمد محمود الطناجي:مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي –مكتبة الخانجي– القاهرة، مصر، ط1– 1984 ص206

(2) المرجع نفسه، ص207

انجلترا عيّن معلما للأمير هنري الذي أصبح فيما بعد الملك هنري الثاني واشتهر هذا الراهب باختباره سرعة الضوء والصوت وتضلعه من ثقافة العرب، والذين أثّر مذهبهم في العلم على مذهب الفرنجة، فقال في كتابه المسائل الطبيعية، وهو محاوره بينه وبين ابن أخيه، خريج جامعات الفرنجة:" إنّني –وقائدي هو العقل– قد تعلمت من أساتذتي العرب، غير الذي تعلمته أنت، فيبهرك مظاهر السّلطة، بحيث وضعت في عنقك لجاما تقاد به قياد الإنسان الحيوانات الضارية، ولا تدري لماذا، ولا إلى أين... فقد منح الإنسان العقل لكي يفصل بين الحق وبين الباطل... فعلينا بالعقل أولا، فإذا اهتدينا إليه –لا قبل ذلك– بحثنا في السلطة، فإن سايرت العقل قبلناها إلا.... [1]

وممن أفاد من تراث العرب "في الحكمة والفلسفة، الراهب توما الأكويني، المولود عام 1225 والمتوفى عام 1274م وهو من أسرة ألمانية شريفة وله حول آراء ابن رشد مواقف كثيرة، يعرفها المشتغلون بالفلسفة، وقد طبع من مصنفاته عشرة آلاف صفحة من القطع الكبير، اعترف فيها صراحة باقتباسه عن ابن سينا، والغزالي، وابن رشد، وابن ميمون، وغيرهم من علماء العرب ومفكّريهم[2].

ولما ظهرت المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي، اهتم المستشرقون بطبع الكتب العربية "وإنّ المرء ليعجب من غزارة ما طبعوه من تراثنا، وكأنّ هذا الاختراع العظيم إنّما جاء لخدمة ذلك التراث وحده، وإذاعته ونشره، وكأنه لم يكن بين أيدي الناس في تلك الأيام من تراث الإنسانية إلا تراث العرب[3]. ثم تعددت المطابع العربية بعد ذلك في أوربا، وطبع فيها مئات الكتب العربية.

---

(1) محمد محمود الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص207

(2) المرجع نفسه، ص208

(3) محمد محمود الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص213

لم يتوقف عمل المستشرقين عند حدود طبع النصوص ونشرها، بل شغلوا أنفسهم بدراسة التراث، فعرفوا فنونه وأطواره وأثره وتأثيره ووزنوه مع غيره وأنشئوا لذلك مجلات خاصة ومن أشهرها:

- مجلة الجمعية الملكية الآسيوية التي أسسها المستشرقون الإنجليز بلندن سنة 1823 ويرمز لها بـ ZMG .
- المجلة الشرقية الألمانية، وقد أسست سنة 1847 وأنشأوا دوائر المعارف الإسلامية

أقاموا المكتبات التي تعني بجمع المخطوطات العربية وصيانتها وأشهرها:

- المكتبة الأهلية بباريس أو مكتبة باريس الوطنية التي تأسست عام 1854.
- مكتبة المتحف البريطاني، التي تأسست عام 1853.
- مكتبة جامعة برلين.
- مكتبة الفاتيكان وليتينغراد والاسكوريال وكمبردج.

كما اهتموا بالتراث داخل الجامعات فأنشئوا بها كراس للغات الشرقية والأدب العربي ومنها – "جامعة السربون بفرنسا وأكسفورد وكمبردج بانجلترا وليدن بهولندا، وقد عمل بها بعض الأساتذة العرب مثل حسن توفيق العدل قبل نقله إلى مصر"[1].

ودليل الاهتمام ما ورد عن المستشرق إلياس جون جيب الذي" أرادت والدته تخليد ذكراه بمبرة دائمة الريع، فاقترح عليها المستشرق إدوارد جرانفيل براون، وقف مبلغ من المال، ينفق ريعه على نشر البحوث العلمية، في تاريخ العرب والفرس والترك، وآدابهم وفلسفتهم ودياناتهم، وهي العلوم التي كان ابنها قد تخصص فيها ويتعذر على طلاب الاستشراق إيجاد ناشر يتكلّف طبع مصنفاتهم فيها، لكساد سوقها، فأوقفت مبلغا كبيرا من المال، لذلك الغرض العلمي، وتألفت لجنة من

(1) محمد محمود الطناحي:مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص214- 215

أعلام المستشرقين، لإنفاق ريعه على المؤلفات التي تختارها للتحقيق والنشر وكان من حظ نشر عدد من أمهات المصادر[1].

ملاحظات حول منهج المستشرقين في نشر التراث العربي:

جمع الدكتور محمد محمود الطناحي مجموعة من الملاحظات، وذلك بعد أن عمل في ميدان النشر والطبع وعرف المستشرقين عن قرب، وهو يعترف بفضلهم في ذلك فيقول: ولقد عملت مع بعض المستشرقين، في مصر، بل إنّ نظراتي الأولى في النصوص كانت من خلال أعمالهم، ثم كان ما كان، من اتصال بالتراث العربي، ذلك الاتصال الوثيق: ناسخا ومفهرسا وقارئا ومحققا وباحثا بمعهد المخطوطات، ومجالسا لأكبر علماء هذا الفن، فأظهرني ذلك كلّه – بعد عون الله وتوفيقه – على طرائق العلماء، في نشر التراث، من كان منهم من أهل لساني العربي، ومن كان من أهل اللسان الأجنبي[2].

استطاعت هذه التجربة أن تكوّن للدكتور مجموعة من المعارف هيئته ليكون قريبا من المستشرقين ويعرفهم ويخبّرهم، وبالتالي فملاحظاته كانت دقيقة وقد أجملها في:

- اتخذ نشاط المستشرقين ثلاثة اتجاهات: (1) نشر النصوص (2) التعريف بالمخطوطات (3) دراسة الفنون وأعلام التراث.
- ارتباط حركة نشر النصوص عند المستشرقين، بالجامعات والمعاهد العلمية وذلك لارتباط العملية بتوفير النصوص.
- لم يكن اهتمامهم متساو في الشعر، فنشاطهم قد دار حول "التاريخ والبلدان والجغرافيا وكتب التراجم والطبقات والأدب ودواوين الشعر وخاصة الجاهلي والمجموعات الشعرية الخاصة مثل شعر هذيل والنقائض[3]، وهناك فنون قلّ

(1) المرجع نفسه، ص215– 216

(2) محمد محمود الطناجي:مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص215– 216

(3) المرجع نفسه ص217

إنتاجهم فيها، مثل النحو والصرف والبلاغة والعروض وإن نشروا في ذلك نصوصا أصيلة، كذلك قلّ إنتاجهم في تحقيق فقه المذاهب الأربعة، وأصول الفقه، إلا ما تراه من اهتمامهم بمختصر خليل في فقه المالكية، وشرح البرد وتي على الفقه الأكبر، والهداية في فقه الحنفية للمرغينان، وإرشاد الفحول إلى علم الأصول للنسفي والحدود في مذهب الإمام أحمد بن حنبل[1] أما تفاسير القرآن الكريم، ومتون الأحاديث وشروحها فإنّ نشاطهم قليل في تحقيق النصوص اللهم إلا تفسير البيضاوي المسمى بـ: أنوارا لتنزيل وأسرار التأويل الذي نشره فلايشر الألماني في ليبزج سنة 1844

- وقد كثر عند المستشرقين وضع الفهارس وذلك كـ:فهرس ألفاظ القرآن الكريم الذي وضعه المستشرق الألماني فلوجل، وسماه نجوم الفرقان في أطراف القرآن ونشر في ليبسك عام 1842وقد كان هذا الفهرس أساسا بنى عليه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي –رحمه الله– كتابه العظيم: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، كما اهتموا بالحديث النبوي الشريف كـ:ترجمة صحيح البخاري للمستشرق النمساوي ليوبولد فايس الذي نشره عام 1935 وهذا المستشرق (أعلن إسلامه وتسمى بمحمد أسد وايس)
- اتجاه المستشرقين من أول الأمر إلى أصول العلوم والفنون، فعمدوا إلى نشر النصوص الدالة عليهما. ومن ذلك "الكتاب" لإمام النحاة سيبويه، وقد نشره المستشرق الفرنسي هورتويج ديرنبورج، سنة1881م، أي قبل أن تظهر طبعة بولاق بمصر، بعشرين عاما.

ومن ذلك أيضا "الكتاب الكامل" لأبي العباس المبرد، الذي نشره الإنجليزي وليم رايت سنة1864م، قبل أن الطبعات المصرية منه، بنحو ربع قرن. وكذلك دواوين الشعراء الجاهليين، والمجموعات الشعرية القديمة، مثل النقائض، والمفضليات وشرحها والأصمعيات، وبعض شعر هذيل وأدب الكاتب، لابن قتيبة[2].

---

(1) نجيب العقيقي:المستشرقون ص190– 313– 367– م س

(2) محمد محمود الطناجي:مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص219– 220 م س

- اهتم المستشرقون بجمع واستقصاء مخطوطات الكتاب المراد تحقيقه، واستفادوا من وجود قناصلهم وسفراءهم في بلدان العالم، الذين كانوا يقومون بأنشطة ثقافية، ولم يكونوا ليقبعوا في مكاتبهم، كما استفاد المستشرقون من المعاهد التي أقاموها في البلاد العربية مثل:– المعهد الفرنسي بالقاهرة ودمشق–والمعهد الألماني للآثار في استانبول والقاهرة وبيروت ثم – الجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت[1]، كما كان لرحلاتهم فائدة جمة فقد تقرّبوا من مخازن المخطوطات وقد تولى بعضهم إدارة دور الكتب والتدريس في الجامعات كما أفادوا من المؤتمرات الاستشراقية التي كانوا يعقدونها بين الفينة والفينة.
- استعانتهم بأهل اللسان العربي في تحرير ونشر النصوص، ومن أوائل من استعانوا بهم رزق الله حسون وهو صحافي متأدب من الأرمن من مواليد حلب سنة1825 تنقل بين تركيا وروسيا وانجلترا هو أول من نشر ديوان حاتم الطائي وقد نشره في لندن سنة 1872 وقد كان رزق الله حسون يتقن الأرمينية والعربية والتركية والفرنسية والإنجليزية والروسية وقد اتصل بالمستشرق الإنجليزي ادوارد هنري بالمر وعاونه في وضع معجمه الكبير "الذخيرة العلمية باللغتين الإنجليزية والعربية".

كان لأثر الانهزامات المتوالية التي أصابت أوربا أمام المسلمين، نتائج على أصعدة متوالية وذات أبعاد خطيرة، استطاعت رسم الشرق وفق برنامج طويل تم تنفيذه على مراحل متعددة، ومتعاقبة استطاع الغرب أن يجمع حدود الصورة، بل ويعدل أجزاءها. وكانوا دوما يلوون عنق الأحداث ويفسرونها وفق مخطط يرهن التراث العربي ويجعله في دائرة الاتهام تارة، بل وراحوا يشوّهونه تارة أخرى "لقد تحوّل الجهل بإنسانية وجود العقل العربي إلى علم على يد المستشرقين مصداقا لقول المتكلمين (العلم من جنس الجهل)، وذلك حينما نقل الاستشراق العقل العربي المكتوب لا ليكون ذخيرة للاختلاف من العرب، بل ليكون وسيلة لظهور

(1) المرجع نفسه ص220

الحضارة في الغرب واحتفائها في الشرق. ورغم ما في هذا النقل من إظهار للعقل العربي فانّ الاستشراق نصب نفسه كوسيلة لتغريب هذا العقل واغترابه عن قومه وأهله[1].

والمراحل التي يفترضها الأستاذ محمد ياسين عريبي تنبيء بذلك التخطيط الدقيق الذي ساير المراحل التاريخية الإسلامية وحاول استغلالها لصالح مخططاته الاستعمارية:

- الصورة التخطيطية للتبني والاستيعاب.
- الاستشراق ومرحلة التمثل والاستلاب للعقل التاريخي العربي.
- القطيعة بين العقل التاريخي والعقل التاريخي العربي.

الذي نلاحظه من خلا ل هذه المراحل المتعاقبة، أنّ الاستشراق تعامل مع الشرق، بمخطط مصلحي مسبقا، فمن البحث عن كنوز هذا الشرق، إلى الهضم والتمثل وإرساء ما استطاع الشرق إنتاجه وجعله أساسا لحضارة أوربا، ثم مرحلة التلقين القسري لثقافة الغرب وإحداث القطيعة بين العقل العربي القديم والعقل العربي الحديث "وليس ذلك قاصرا على بلد دون آخر، إنّك تجده في انجلترا وألمانيا، وفي روسيا وفرنسا، وفي ايطاليا وهولنده، وبكلمة واحدة في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بابصارهم نحو الإسلام، ويظهر أنّهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة– حقيقية أو خيالية – ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد"[2]، هذا باعتراف المستشرقين انفسهم وخاصة الذين اقتنعوا بعظمة الحضارة العربية الاسلامية.

- يرى الاستاذ ساسي سالم الحاج ان هذه المناهج تقود إلى نتائج لا نرتضيها في مجال الدراسات الإسلامية.

(1) محمد ياسين عريبي، : الاستشراق وتغريب العقل العربي، ص8 م س .

(2) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، تر/ عمر فروخ – مكتبة المنار– الكويت، ط7/1974 ص49– 51

مناهج الاستشراق:

1) **المنهج التاريخي:** أول المناهج التي تقابلنا في معالجة المستشرقين للدراسات الإسلامية على وجه الخصوص هو ما يسمى بالمنهج التاريخي، وهو عبارة عن ترتيب وقائع تاريخية أو اجتماعية وتبويبها وترتيبها، ثم الإخبار والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها. والهدف من هذا المنهج هو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والمعارف المتعلقة بموضوع الدراسة. ويتلخص دور الباحث هنا في إرجاع الظواهر الفكرية وردها إلى أصولها الأولى[1].

ونظرا لأن المستشرقين أنفسهم كانوا وسيلة جمع المعلومات، ونظرا لخضوع غالبيتهم لأغراض محددة تتعلق بالدوافع الاستشراقية، فإنّ تطبيق هذا المنهج لا يحقق الموضوعية المرجوة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، قد يصلح مثل هذا المنهج التاريخي في دراسة المسيحية في أوربا، حيث نشأت في بيئة دينية حفلت بالعوامل المؤثرة من الخارج – كالبابلية والآشورية وغيرها على النص الديني المسيحي ذاته، ومن ثم، بإمكان الباحث أن يرد مكونات المسيحية إلى عناصرها الأولى، ولكن هذا المنهج لا يحقق الموضوعية في دراسة الظواهر الفكرية الإسلامية، إذ أنّها موضوعات فكرية مستقلة، وليست مادية تاريخية، ولذلك تكون النتائج المستخلصة من تطبيق هذا المنهج على الدراسات الإسلامية خاطئة ومضللة[2].

وإذا أضفنا الى ذلك قصور المفهوم الغربي الاستشراقي تجاه حقيقة الوحي والنبوة، والعلاقة التي تربط بينهما، أدركنا أنّ تطبيق مثل هذا المنهج وغيره من المقاييس والمناهج، لا بد وأن ينتهي حتما الى نتائج خاطئة[3].

(1) الحاج سالم ساسي: نقد الخطاب الاستشراقي، ص9 مرجع سابق

(2) حسن حنفي:دراسات اسلامية – دار التنوير– ط1982/2 ص 227

(3) محمد جلال إدريس:الاستشراق الإسرائيلي'في الدراسات العبرية المعاصرة' – مكتبة الآداب– القاهرة، ط1، 2003، ص37

يقول "رودي بارت" في هذا الصدد "... منحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية، لا نقوم بها قط لكي نبرهن على ضعة العالم الإسلامي بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذي عبّر عنه الأدب العربي كتابة، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دمن أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أما النقد التاريخي أو يبدو وكأنّه يثبت أمامه، ونحن نطبّق على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المعروفة لعالمنا نحن[1].

وإذا كان بارت يحاول في عبارته السابقة أن يثبت براءته هو وأقرانه من أي اتهام بعدم الموضوعية، فإنّ نهاية عبارته أكبر دليل على عدم الموضوعية فتطبيق المنهج التاريخي، أو أية معايير أخرى على فكر ما، ليس معناه صلاحية هذا المنهج أو تلك المعايير لسائر أفكار الأمم. إنّ تمحور الأوربيين حول الذات، جعلهم يرون في أنفسهم المعيار الأوحد الذي يقاس عليه الآخرون، وهو نتاج التعصب الأوربي وتضخم الذات الأوربية[2].

ب) منهج التأثير والتأثر: من شأن هذا المنهج أن يرد الظواهر إلى العوامل الخارجية التي أثرت في قيامها، ومن ثم استخدم هذا المنهج في دراساتهم للوحي الإلهي والفقه الإسلامي والسنة النبوية الشريفة والفلسفة الإسلامية وحاولوا رد كل موضوع إلى تأثيرات سابقة. مما يستتبع عدم أصالة الدين الإسلامي برمته فعلى سبيل المثال يردون التوحيد الإسلامي إلى أصول يونانية، كما أنّ التصوف الإسلامي ليس عندهم إلا صدى للفارسي أو الهندي.

(1) المرجع نفسه، ص37

(2) محمد جلال إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة" ص37 م س

إنّ هؤلاء المستشرقين لا يقتنعون بأنّ التفاعل الحضاري يحدث أثره كلما التقت حضارتان مع احتفاظ كل منهما بسماتها وخصائصهما الفارقة[1]، وتلك سنة من سنن الحياة الثابتة.

وإذا كان من المجدي تطبيق منهج التأثير والتأثر على البيئة الأوربية التي قامت نهضتها على الحضارة اليونانية، وحيث نجد نظائر للمذاهب الفكرية والدينية المسيحية – وبخاصة ما يتعلق منها بمقاومة سلطة الكنيسة – في الحضارة اليونانية القديمة، فإنّه من الإفك والبهتان أن نطبق هذا المفهوم الاستشراقي للحضارة الأوربية على الحضارة الإسلامية، تلك الحضارة ذات المعايير الدينية والبيئة الأصيلة، التي استمدت أصولها من الجزيرة العربية، وتعاليم الإسلام.

ويمكن أن نجد نماذج هذا المنهج فيما ذهب إليه "جب" في كتابه "المذهب المحمدي " حيث قال: "إنّ محمدا ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقا جديدا بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه، والدائرة في المكان الذي نشأ فيه... وانطباع هذا الدور الممتاز لمكة يمكن أن نقف على أثره واضحا في كل أدوار حياة محمد، وبتعبير إنساني: إنّ محمد نجح، لأنّه كان من المكيين".

ففي العبارة السابقة والموجزة للمستشرق جب، يرد الإسلام لتأثير الظروف المحيطة بمحمد –عليه الصلاة والسلام– وتأثير العقائد السائدة في زمانه، بل إنّ حياة محمد ما هي إلا نتيجة تأثيرات مكة على شخصه.

ويؤكد جولد زيهر استخدام هذا المنهج في دراساته الاستشراقية، كذلك حين ينسب المعرفة الدينية التي تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم الى عنصرين: خارجي، وداخلي فيقول:" فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرا

(1) سالم الحاج ساسي، : نقد الخطاب الاستشراقي ص: 203 م س

عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله.

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل الى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إليها[1]. وهكذا رد جولد زيهر الإسلام كله إلى التأثير العميق من قبل المسيحية واليهودية، والذي وصل إلى أعماق نفس محمد صلى الله عليه وسلم من ناحية، والى التأثيرات الخارجية من ناحية أخرى، والأمر لم يقتصر على ذلك، بل إنّ محمد صلى الله عليه وسلم صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إلهيا، وهذه إضافة ممجوجة وغير موضوعية على الإطلاق من جولدزيهر الذي يعد من رواد الاستشراق.

ج) **منهج المطابقة والمقابلة:** وهو ما يسمى أحيانا بالمنهج الفيولوجي ويعتمد على المقاربة والمطابقة بين النصوص، وتحليل النصوص إلى عناصرها الأولى وإرجاعها إلى أخرى سابقة لها. ويكمن الخطأ في هذا المنهج من جراء فرضية علمية رسخت في ذهن المستشرقين طبقا لأحكام مسبقة مفادها أنّ هذه النصوص القرآنية التي يدرسونها ليست إلا صورة لما ورد هنا وهناك قبل بعثة النبي، فكلما تطابقت ملامح نص قرآني مع نص سابق، سارعوا برد ذلك الى ثقافة الرسول التاريخية، والى إطلاعه على ما جاء في الكتب السابقة، أما حين يوجد اختلاف، فلا يردون ذلك لما[2]. حلّ بنصوصهم من تغيير وتبديل وتحريف، وإنما يلصقون تهمة التحريف والتبديل بالإسلام ذاته.

حتى تلك المحاولات التي قام بها المستشرقون الأوربيون باستخدام هذا المنهج لرد النصوص القرآنية إلى نصوص عربية أدبية جاهلية باءت بالفشل، إذ لم

---

(1) اجنيس جولدزيهر: العقيدة والشريعة: تر/يوسف موسي وزميله، ط مصر، 1948ص12 نقلا عن التهامي نقرة ص31)

(2) محمد جلال إدريس:الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة"، ص30 م س

يعثر على نص كامل من نصوص الأدب العربي قبل الإسلام يمكن مقارنة بآيات من القرآن، ومن هنا نؤكد على عدم صلاحية منهج المطابقة والمقابلة بين النصوص لدراسة الظواهر الإسلامية الرئيسية كالنص القرآني.

فمن نماذج مطابقة النص القرآني مع نصوص الديانات الأخرى نجد بلاشير يتناول في كتابه "معضلة محمد" مصدر القصص القرآني، حيث يرى أنّه مما ألفت انتباه المستشرقين ذلك التشابه الواقع بين القصص القرآني وبين القصص اليهودي المسيحي، وقد كان التأثير المسيحي واضحا في السور المكية الأولى، وذلك من خلال مقارنة هذه السور ببعض أناجيل تلك الفترة.

والحقيقة أن مقارنة النصوص –العربية والعبرية فيما يتعلق بالقصص– تشير إلى التباعد –لا التقارب بين النصوص، إلا إذا كان لدى بلاشير نصوص أخرى غير التي في أيدينا.

أما عن نصوص الأناجيل، فعن أي أناجيل يتحدث؟ أم عن تلك النصوص اليونانية المترجمة؟

ومن نماذج محاولة مطابقة النص القرآني مع نصوص الأدب الجاهلي، نجد المستشرق كليمان هوار يزعم أنّه اكتشف مصدرا جديدا للقرآن، هو شعر أمية بن أبي الصلت وقارن بينه وبين بعض آيات القرآن، واستنتج صحة نسبة هذا الشعر إلى صاحبه بالفروق الواردة فيه وفي القرآن، ورغم أنّه لو كان هذا الشعر متحولا لتطابق نصه مع نص القرآن، قد كانت استعانة النبي به في نظم القرآن سببا في مقاومة المسلمين له ومحوه حتى يصبح انفراد النبي بتلقي الوحي من السماء

ولا نجد في الرد على هذا المستشرق أبلغ من رد طه حسين عليه في كتابه في الأدب الجاهلي حين قال: والغريب في أمر المستشرقين في هذا الموضوع وأمثاله، أنهم يشكون في صحة السيرة نفسها، ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرونها مصدرا تاريخيا صحيحا، وإنما هي عندهم –كما ينبغي أن تكون عند العلماء–

جميعا طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق، ليمتاز صحيحها من منحولها، وهم يقفون هذا الموقف العلمي من السيرة، فما سر هذا الاطمئنان الغريب من هذا التعصب الذي يرمون به الباحثين من أصحاب الديانات؟[1]

وإذا كان تساؤل طه حسين في رد فرية المستشرقين الناتجة عن تطابق النصوص فيه حياء ليس في محله، لأن الرجل قد تتلمذ على أيدي هذا الصنف من المستشرقين، وردد أحيانا مقولاتهم، فإن ردنا عليهم واضح جلي وهو أنهم بالإضافة إلى استخدامهم معايير خاطئة ومناهج فاسدة لدراسة الظواهر الإسلامية، قد جمعوا في شخوصهم تعصبا ممقوتا، وتجاهلا متعمدا للحقائق.

د) **المنهج الإسقاطي**: يتجه بعض المستشرقين إلى دراسة الظواهر الإسلامية وفي أذهانهم صورة معينة لا توجد من الناحية الفعلية، ولكنهم يسعون لإيجادها في أذهانهم، ويلتمسون لها الحلول والفروض مهما كانت منتفية، وإذا وجدت الظاهرة الفكرية بالفعل ولكن لا محل لها من تصوراتهم، فإنّهم يحاولون نفيها مهما كانت صحة وجودها.

وقد يتفق مثل هذا المنهج مع تصور مشابه يطلق عليه البعض المنهج العكسي في دراسة الظواهر الإسلامية، وهو ذلك المنهج الذي يأتي إلى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء فيقلبها عمدا إلى عكسها، وفقا لتصور مسبق يسيطر على ذهن الدارس أو الباحث.

وتطبيق هذا الوجه أو ذاك على الدراسات الإسلامية من جانب المستشرقين أدى إلى صدور أحكام تعسفية لا علاقة لها بالموضوعية أو التحليل العلمي السليم.

ومن أبرز تطبيقات هذا المنهج ما ذهب إليه المستشرق ويلز الذي تخيل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا دفعته تطلعاته وطموحاته في سن الكهولة إلى تأسيس

(1) طه حسين: في الأدب الجاهلي- دار الكتاب اللبناني بيروت م5 ط1 1972ص 145

دين ليعد في زمرة القديسين، فألف مجموعة من عقائد خرافية وآداب سطحية وقام بنشرها في قومه أ فاتبعها رجال منهم.

هـ) **المنهج التحليلي**: يعمد هذا المنهج إلى تحليل وتفتيت الظاهرة الفكرية موضوع الدراسة الى مجموعة من المكونات والعناصر، يتم التأليف بينها بصورة غير متجانسة. فالمنهج التحليلي في دراسته للظاهرة يردها إلى عناصرها الأولية، كالظروف الدينية أو الاجتماعية أو السياسية. وخطورة تطبيق مثل هذا المنهج تكمن في حتمية تأثر المستشرق ببيئته وثقافته ودينه وحضارته، ومن ثم لا يمكن أن يصل إلى نتائج سليمة فيما يتعلق بدراسة الظواهر الإسلامية.إنّ الأخذ بهذا المنهج قد أدى إلى الحكم على الحضارة الإسلامية بالجدب، وعلى الدين بالجمود وعلى الوحي بالإضطراب، وعلى التوحيد بالتجريد، وعلى الشعوب بالتخلف[1].

وقد عارض المستشرق السويدي تور اندريه صاحب كتاب محمد: حياته وعقيدته، هذا المنهج العقيم الذي اتخذه بعض المستشرقين في دراستهم، وبيّن أنّ جوهر النبوة لا يمكن تحليله الى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية. ويرى أندريه أنّ مهمة الباحث تتمثل في أن يدرك في نظرة موضوعية كيف تتألف من العناصر والمؤثرات المختلفة وحدة جديدة أصيلة تنبض بالحياة.فالإسلام لا ينكر صلاته بالمسيحية واليهودية وعقيدة الحنيفية وتقاليد العرب، ولكن ذلك لا يعني أنّه مجرد مجموعة من هذه العناصر[2].

و) **منهج الشك الديكارتي**: هناك جانب من المستشرقين طبّق منهج الشك الديكارتي كقاعدة صلبة لتحليل تراثنا الإسلامي الحضاري، فراحوا يشككون في نصوص القرآن، وفي نسبة السنة النبوية، وفي صدق الوحي، وفي جمع القرآن، وهكذا.. بل لقد درب هؤلاء المستشرقون اتباعهم ممن تتلمذ على أيديهم من

(1) حسن حنفي، : التراث والتجديد – دار التنوير– ، ط1- 1981 ص75

(2) محمد جلال إدريس، :الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة، ص42

العرب والمسلمين، على استخدام هذا المنهج، فخرج علينا من بني جلدتنا من شكك في صحة النص القرآني، بل وفي مضمونه.

ومن الغريب ألا يطبق هؤلاء المستشرقون وأتباعهم نفس هذا على ميراثهم الاستشراقي ليصلوا إلى اليقين من صدقه وحقيقته، ولو طبقوا منهج الشك في هذا التراث ما وجدوا لهم شيئا ذا قيمة يعول عليه "إنّ الأسس السفلى للإستشراق لم تخضع لمنهج الشك هذا، بل اتخذت كمسلمات وحقائق بنا في طرق البحث العلمي المنهجي"[1].

منهج البناء والهدم: يعتمد هذا المنهج كما استخلصته من النماذج الاستشراقية التي عالجت القضايا الإسلامية على عنصرين بارزين هما: البناء أولا، بمعنى الاطراء والمديح من قبل المستشرق لبعض جوانب الظاهرة موضوع الدراسة، بحيث تكون هذه الجوانب غير رئيسية في الموضوع برمته، ثم الهدم ثانيا، وفيه يجرد الباحث أهم أركان موضوعه من كل مقوماته حتى يسقطه تماما.

بمعنى أن يكيل المستشرق مديحه وثناءه على بعض الظواهر الاسلامية كتحرير المرأة، والأخلاق السامية التي أرسى دعائمها الإسلام، فينطلق القارىء مع هذا المديح، مصدقا لنوايا صاحبه بمقولاته، ومسبغا عليه سمات الموضوعية والإنصاف، ثم لا تلبث أن تواجه ضربات قاصمة للعقيدة ذاتها.

ولقد وجدت هذا المنهج في كتاب "حضارة العرب" للمستشرق جوستاف لوبون، والذي ترجم إلى العربية وطبع عشرات المرات، وقرّضه الباحثون والدارسون المسلمون فجوستاف لوبون يشيد بما حققه الإسلام من مكاسب للعرب في الجزيرة العربية وكيف أنّه رد للمرأة اعتبارها وكيانها، وكيف أنّ الإسلام قد فعل كذا وكذا، ثم وسط هذا "البناء" نجده يوجّه معاول "الهدم" تجاه القرآن الكريم، فيرى

(1) محمد جلال إدريس، :الاستشراق الإسرائيلي"في الدراسات العبرية المعاصرة، ص43

أنّه من تأليف محمد، بل يهدم شخصية محمد صلى الله عليه وسلم كرسول ونبي، فيرميه بالهوس والجنون، ويتهمه بالصرع، كيف كانت أميته سببا في التناقضات الموجودة في القرآن[1].

وهو نفس المنهج الذي اتبعه "جوستاف جرونيباوم في كتابه "حضارة الإسلام" حيث ذهب الى سرد محاسن الإسلام ونظامه، كيف رفع العالم الناطق بالعربية إلى مستوى العوالم الأخرى ذات الكتب المنزّلة... ثم لا يلبث بعد هذا البناء والإطراء الذي كاله في حديثه للإسلام، أن يلجأ الى هدم الدين ويرى أن العربي الذي كان يبحث عن الصدق لم يكن يعنيه كثيرا ممن يأخذ آراءه الدينية التي يستولي عليها، ذلك أن حرمانه من كل ميراث قومي أجبره على الأخذ من مختلف العقائد[2].

كما نجد هذا المنهج عند هاملتون جب في كتابه دراسة في حضارة الإسلام، إذ يقول في معرض سياسة" البناء" أنّ الثورة التي حققها محمد، هي أنّه رفع فكرة الله ونزّهها من عوالقها الطبيعية. ولم يكتف بأنّ يسميه "الإله الأعلى" بل إنّه الواحد الصمد خالق السموات والأرض وما بينهما، خالق الإنس والجن وما يلبث أن يعرج إلى أسلوب آخر مناقض يتمثل في منهج الهدم فيسعى الى تصوير الاسلام كصورة متطورة للمعتقدات السابقة لبعثة محمد[3].

مناهج المستشرقين نظرة نقدية: أدرك جانب من المستشرقين المعاصرين سيئات ونواقض المناهج الاستشراقية التي سارت عليها الحركة الاستشراقية منذ ظهورها، كما أدرك ذلك أيضا العديد من الدارسين والباحثين العرب والمسلمين، ويحاول الباحث الوصول إلى وجهة نظر هؤلاء وهؤلاء، كي ندرك حقيقة الإنجازات الاستشراقية التي أصبح لها تأثير كبير في أوساط الدارسين.

(1) المرجع نفسه" ص43- 44

(2) جوستاف لوبون، : حضارة الإسلام، تر/عبد العزيز توفيق جاويد- الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1994، ص99 وما بعدها)

(3) جوستاف لوبون، : حضارة الإسلام، ص99وما بعدها) م س

ففي مقدمة لكتابه "مقدمة لتاريخ العالم الإسلامي القروسطي" بين القرنين السابع والخامس عشر الميلاديين، يتحدث المستشرق الفرنسي كلود كوهين عن هموم الاستشراق فيقول: "إذا كان الاستشراق بشكل عام، والدراسات العربية– الإسلامية بشكل خاص، يمثلان فضولا معرفيا إيجابيا، فإنّه لا يمكن إنكار أنهما كانا قد تطورا وترعرعا ضمن ظروف لا تخلو من بعض المخاطر والنواقص.فهي أولا تفرض على غير الشرقي – ولادة– أن يقضي وقتا طويلا في تعلم اللغة، مما يحرمه من امتلاك الوقت الكافي للتزود بمنهجية تاريخية حقيقية "أو تدريب حقيقي على مناهج العلم التاريخي" ثم نجد بحكم قوة الأشياء أنّ الغربيين قد ركزوا جهودهم على ما يجذبهم أكثر لدى الشرقيين، مدفوعين الى ذلك بوجهة نظرهم الخاصة وضمن أطر حضارتهم، أو حتى كرد فعل على هذه الحضارة.

ولقد ركزوا جهودهم على ما يجذبهم في تلك الحضارة كنوع من رد الفعل، وهو الأمر الذي أوقعهم أحيانا في نوع من الالتباس والفهم الخاطيء للشرق وللإسلام "انظر بهذا الصدد كل تلك الحماقات الغبية التي كتبها البعض عندما تحدثوا عن الروحانية الشرقية والمادية الغربية، لكأنّ الشرق كله روحاني والغرب مادي... أو لكأنّ الأمور بمثل هذه التبسيطة والضدية الثنائية[1].

ويربط كلود كوهين في رده على مقالة نشرها أنور عبد الملك في مجلة ديوجين تحت رقم 44/أكتوبر–ديسمبر 1963 بعنوان "الاستشراق في أزمة" بين اختيار موضوعات الدراسات والبحوث الاستشراقية من قبل المستشرقين، وبين حاجيات البيئات الاجتماعية التي ينتمون إليها وطبقا لفضولهم المعرفي وعقلياتهم، ومن ثم نراه يعترف في موضع آخر من هذا الرد بالتركيز الاستشراقي على دراسة بعض الفترات التاريخية، إهمال الفترات الأخرى التي لا تقل أهمية عن سابقتها[2].

(1) محمد أركون، اخرون: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ص33/32 م س

(2) المرجع نفسه، ص 37/35

وهكذا نستخلص من رأي كلود كوهين في الاستشراق مايلي:

- نقص التزود بمنهجية تاريخية حقيقية.
- تأثر الدراسات الاستشراقية بوجهات النظر الخاصة للمستشرقين وبحضاراتهم.
- الالتباس والفهم الخاطيء للشرق وللإسلام.
- عدم الموضوعية في معالجة الظواهر الاستشراقية بالتركيز على جوانب دون أخرى.

أما مكسيم رودنسون فقد عالج في محاضرة له ألقاها أمام مؤتمر المستشرقين الذي عقد في ليدن عام 1976 وعنوانها "الدراسات العربية والإسلامية في أوربا" ما للاستشراق وما عليه.

وقد جمع رودنسون منجزات الاستشراق في عبارة موجزة قال فيها: "لنذكر هنا باختصار بذلك العمل الطويل والمضني من فك أسرار المصادر– الأولى: أقصد بذلك تصنيف المخطوطات القديمة، ونشرها بطريقة نقدية وترجمتها، والتعليق عليها وشرحها، وقد تم إنجاز العديد من أدوات العمل والبحث العلمي على ضوء هذه المصادر، ونحن لا نزال نستخدم هذه الأدوات إلى حد كبير. نقصد بالأدوات هنا الفهرسة "والببليوغرافيا" والجداول البيانية الخاصة بالفرز والجرد، والمعاجم وكتب النحو الخ... وكذلك فقد تشكلت في تلك الفترة الأطر المتينة التي يمكن لانطلاقتنا أن تعتمد عليها الآن بكل ثقة: أقصد بالأطر هنا التاريخ الحدثي (الذي نسينا الآن إلى حد ما أنه ضرورة كقاعدة للبحث حتى عندما نريد تجاوزه بعدئذ "وكذلك الجغرافيا التاريخية"[1].

ونحن لا ننكر قيمة الإنجازات السابقة التي تمخضت عن الدراسات الاستشراقية المبكرة، وبغض النظر عن دوافعها، فهي ملك لكل متطلع الى المعرفة، تمده بالوسائل المعينة على البحث والدراسة؛ لكن يبدو أن تواقص الاستشراق – عند

(1) محمد أركون، آخرون: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ص 47

رودنسون – وسوآته أكثر من حسناته، إذ يعدد لنا هذه النواقص ويناقشها مناقشة جادة، فنراه يقول: "إذن، إذا كان مكتسب الدراسات الاستشراقية ضخما فإنّ النواقص كبيرة جدا أيضا".

ونستطيع إيجاز هذه النواقص كما رآها مكسيم رودنسون فيما يلي[1]:

أ) النزعة المركزية الأوروبية بمعنى رؤية المستشرقين للمجتمع الأوربي والحضارة الأوربية، كنموذج كوني أعلى صالح للجميع.

ب) نقل العوامل الفاعلة في الحضارة الأوربية والمجتمعات الأوربية، وتطبيقها بشكل ميكانيكي على كل مكان وبشكل دائم، وهذا أمر سلبي بشكل عام.

ج) اتسمت الرؤية الجوهرية تجاه الحضارات الكلاسيكية المتفوقة بتصور لاهوتي مركزي تمثل في الاعتقاد بضرورة البحث في الدين كجوهر ثابت في هذه الحضارات.

د) الارتباط الجزئي بين الاستشراق والممارسات الإمبريالية، والرؤى الجمالية "الإغرابية" المجلوبة من البعيد، والتي كان من نتائجها فساد الكثير من الأعمال الاستشراقية بسبب عدم تأطيرها بواسطة إشكاليات علمية صحيحة او صالحة.

ه) من أكبر عيوب الاستشراق العلمية ما تمثل في الاعتقاد بأنّ الفيلولوجي كلّيّ العلم " أي أن عالم اللغة يحيط بكل شيء " بمعنى أنّ الاختصاصي في اللغة العربية قادر على الكتابة حول الفلسفة الإسلامية وعلم الفلك الإسلامي، والزراعة الإسلامية...الخ، ومساوئ هذه الممارسة واضحة للغاية.

- إنّ اطمئنان المستشرقين إلى الجيتو الذي يسكنونه، وإعجابهم به، قد تفاقما بسبب ضرورات التخصص وإغراءات الاحتراف المهني الجامعي.

(1) المرجع نفسه ص49– 73

وقد يعتبر التخصص من ضرورات العمل العلمي الجاد والعميق، ولكنه يميل إلى توليد رؤيا خاصة للوقائع، بليدة وضيقة ومجتزأة.

وإذا كان كلود كاهين ومكسيم رودنسون قد عالجا مزايا ومثالب المناهج الاستشراقية بوجه عام، فهناك من أدلى بدلوه في قضايا منهجية محددة.

فالمستشرق يوهان فوك، في مقالة عن أصالة النبي العربي ينتقد طريقة العمل الاستشراقي فيقول: إنّه لا يمكن تقسيم القرآن إلى شذرات: كلمة وسورة وقصة وآية. بحيث أصبح الكتاب وكأنّه لوحة (فسيفساء)...."وللدارسين العرب والمسلمين وجهة نظر تجاه المناهج النقدية، لا تعالج في معظمها " الكليات وإنّما تقدّم رأيها تجاه جزئيات استشراقية تفيد أيضا في تقديم رؤية نقدية للمناهج الاستشراقية بوجه عام.

ففيما يتعلق بالمصادر التي اعتمد عليها المستشرقون في دراساتهم وأبحاثهم عن الإسلام بصفة خاصة، ويرى البعض أنّهم قد اعتمدوا على مصادر غير إسلامية بالدرجة الأولى، وإذا لجأوا إلى مصدر إسلامي كان لهم منه موقف يتسم بالتشكيك فيما يتعارض مع ما أوردته المؤلفات الاستشراقية، أو فيما استقر في ذهن المستشرق نفسه من آراء مسبقة، يلتمس لدعمها الدليل من الروايات الضعيفة، وبخاصة ما جاء منها في المصادر الثانوية أو غير الأصيلة فتراهم على سبيل المثال يحتجون في الأحكام الفقهية بما في كتب التاريخ ويستشهدون بكتب الأدب في دراسة علم الحديث، بل وكثيرا ما يغفلون النصوص والأخبار التي تناقض ما يقررون[1].

وفيما يتعلق باللغة، هناك أوهام كثيرة أشاعها المستشرقون بسبب تفسيراتهم الخاطئة لكثير من أمور اللغة، كأن فسر بعضهم المقصود في قوله تعالى

---

(1) محمد جلال إدريس:الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة،ص48 م س

" وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ..." بقوله بدون أحذية "[1]، وتراجم معاني القرآن الكريم خير شاهد على عدم إلمامهم باللغة العربية وأساليبها.

كما نلاحظ اعتماد المستشرقين على مؤلفات الأجيال السابقة من إخوانهم كمصادر رئيسية لدراسة الإسلام، فالمستشرق أسطفان فيلد يقول عن كتاب نولدكه عن القرآن:"وموقف نولدكه هذا بنصه المنقح المزيد ما زال أداة لا بد منها لكل مستشرق يريد الانطلاق في الدراسات الشرقية". ويقول مستشرق آخر عن تأثير ماسينيون في الفكر الاستشراقي المعاصر:" إنّ المستشرقين الذين يهتمون اليوم بالفكر العربي الإسلامي تأثروا جميعا بماسينيون بطريقة أو أخرى " ويعتمد جب في دراسته عن التاريخ الإسلامي على تسعة عشر مؤلفا مهملا المصادر الإسلامية[2].

والأمانة العلمية تحتم على الباحث لأمة من الأمم أن يرجع إلى مؤلفاتها ومصادرها، للوقوف على حقيقة الظاهرة التي يدرسها، لا أن يعتمد على رؤية الآخرين لها.

كذلك فإنّ ترتيبهم واختيارهم للوقائع، وطريقة عرضهم لها، يتم بصورة معينة ووفق ما يريدون هم، حتى يتم الوصول إلى النتائج التي يسمعون لإثباتها من مسخ وتشويه للإسلام وقلب للحقائق، مع اتخاذ بعض المظاهر العلمية حتى ينخدع بها الآخرون.

وهناك شبه إجماع على عدم موضوعية كثير من الآراء الاستشراقية، فهذا أحد أعلامهم وهو "بلاشير" يزعم في مقدمته للقرآن أن العرب لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهمهم أمر المستقبل، وهذا ما يفسر عزوف المسلمين عن جمع القرآن في

(1) محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه–دار الوفاء –المنصورة، ط1995/1 ص62

(2) عبد الفتاح أبو زايده: التبشير الصيلبي والغزو الفكري كتاب الجهاد 10، مالطا 1988ص71

عهد الرسول[1] وهذا رأي شخصي، لا حكم موضوعي، وفيه تعميم غير موضوعي كذلك.

ومن نماذج عدم الموضوعية: ما ذهب إليه المستشرق الفرنسي "كيمون" في كتابه باثولوجيا الإسلام" حيث يقول "إنّ الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هي مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن معاقرة الخمور ويجمع في القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي، وتكرار لفظة "الله" إلى ما لا نهاية، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهة لحم الخنازير والنبيذ والموسيقى، وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في الذات[2].

والأدلة على عدم الموضوعية لا تعد ولا تحصى، ولم يقف المسلمون والعرب وحدهم على ذلك، بل أدرك المستشرقون أنفسهم عدم موضوعية قدر كبير من إنتاجهم، وراح هذا يتهم ذاك بعدم الموضوعية.

فبرنارد لويس مثلا يفضح لنا عدم موضوعية الأبحاث الاستشراقية فيقول في كتابه "العرب في التاريخ" ما يلي: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية[3].

ومن صور النقد الموجه للدراسات الاستشراقية ما ذهب إليه "سامي سالم الحاج" حيث يرى أنّ اتساع نطاق الفلسفة الوضعية وتأثيرها المباشر على المفكرين الغربيين بعد أن وضع أسسها أوجست كونت، فأصبح الباحثون يعتمدون على

---

(1) محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه ص62 م س

(2) محمد عبد الله الشرقاوي:الاستشراق والغارة على الفكر الاسلامي- دار الهداية - القاهرة 1989 ص47)

(3) محمد جلال إدريس:الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة ص50 مرجع سابق

الدراسات العلمية المجردة لتفسير الظواهر والأفكار الإنسانية، وإخضاع هذه الدراسات إلى مناهج العلوم التجريبية التي تؤدي عادة إلى نتائج علمية مستساغة عند تطبيقها على الدراسات الإسلامية التي يلعب فيها الإيمان بالوحي والنبوة الدور الأكبر.

وتكمن سلبيات هذا المنهج فيما يلي:

1) رغم ادعاء هذا المنهج للعلمية، إلا انّ أصحابه كثيرا ما يطلقون الكلام دون أدلة تعضده، مع رفض متعمد للاستدلال بالمصادر الأساسية، أو التشكيك في هذه المصادر وإنكار مصداقيتها

2) الخلط بين مفهوم الإسلام كدين، وممارسات المسلمين كأفراد، مما أدى إلى تشويه صورة الإسلام الربانية.

3) الانطلاق من نظرة مادية بحتة، وإغفال وإنكار كل حقائق الإسلام الغيبية بحجة عدم دخولها ضمن الحقائق الموضوعية المشاهدة.

4) التأثر بآراء علماء الاجتماع الغربيين الذين كتبوا عن نشأة المعتقدات الوثنية، حيث طبقوا مقاييسهم وأساليبهم على دراسة للإسلام، فكما نشأت العقائد الوثنية، نتيجة البيئة وتأثيرها، فهكذا كان للإسلام. (منهجية علم الاجتماع المعرفي في كتابات بعض المستشرقين عن العقيدة الإسلامية، في دراسة استشراقية وحضارية[1].

وهكذا قدمنا لآراء المستشرقين في أنفسهم ولأراء الباحثين والدارسين للظاهرة الاستشراقية في مناهج معالجاتهم للقضايا المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية، كما بيّنا ما يعد من محاسن المستشرقين والحركة الاستشراقية بأسرها.

---

(1) محمد جلال إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة ص 52، م س

ومما تميزت به هذه المناهج كذلك:

- اعتقاد أمر، وتكوين آراء وافتراضات مقدما، ثم التماس التأييد لها، فإذا وجدوا في القرآن مايهدم نظريتهم تجاهلوه، والتمسوا الآيات التي تناسب المعنى المراد، ولا مانع من بترها إذا اقتضى الحال، أو تحريف معناها حسب الرغبة ومن أمثلة ذلك ما فعله المستشرق ولهلم رودلف في كتابه "صلة القرآن باليهودية والمسيحية" حيث إنّ الأساس الذي قام عليه البحث هو ما اعتقده المؤلف من أنّ القرآن من عمل محمد (صلى الله عليه وسلم) وتفكيره، فذهب يبحث عن المصادر التي مدحت النبي (صلى الله عليه وسلم) بهذه المعلومات – في زعمه – فأتعبه البحث كثيرا ولم ينته به إلا إلى افتراضات لم يجد لها دليلا[1]. ومما يدعو للغرابة أنّ هذا المستشرق يقر أنّ المعارف التي يبني عليها افتراضاته، هي معارف مفترضة وفي ذلك يقول": إننا مضطرون أن نفترض أنّ اليهودية والمسيحية قد عرفتا السبيل على نحو ما إلى مكة، التي يعنينا أمرها كثيرا لأنها موطن محمد، وإن لم يكن ثمّة ما يثبت أنّه كان بها يهود أو مسيحيين في عهد محمد، ومن العسير أن نظن أنّه كان بها كثير منهم، وإلا لاحتفظت لنا السير بأنباء أكثر إسهابا مما تناهى إلينا"[2]. إنّه منهج مبني على الافتراضات، والاضطرار فلا شك فإنّ النتائج ستكون خلاصة هذه الشكوك والاضطرارات.
- الكتابة عن الثقافة العربية الإسلامية بما يتصوره المستشرقون لا من واقع ما يعتقده أصحاب هذه الثقافة، ومن هذا المنطلق فإنّه من العلمية أن ينطلق الباحثون لأي تراث من بيئته، غير أنّ هذا لم يكن ليوجد إلا بشكل النادر في دراسات المستشرقين "فهم يؤكدون مثلا أنّ القرآن من إنشاء محمد، ثم يذهبون مذهبا بعيدا في تأسيس الأحكام التاريخية والعقيدية والأدبية وغيرها على هذا التأكيد، وسرعان ما ترتفع هذه بمحض الشهرة إلى مرتبة الحقائق[3].

---

(1) عبد الجليل شلبي: صور استشراقية – دار الشروق– القاهرة، ط1989/2 ص49– 95

(2) عبد الجليل شلبي: صور استشراقية – دار الشروق– القاهرة، ط1989/2 ص50

(3) علي محمد إسماعيل: الاستشراق بين الحقيقة والخيال مدخل علمي لدراسة الاستشراق ص130 م س

- الكذب وعدم تحري الأمانة في النقل: ومثاله ما نقله الدكتور مصطفى السباعي، حول تحريف جولدزيهر للنصوص، فقد ذكر كلام المستشرق، وعقّب عليه ببيان زيفه فقال:ثم زعم جولدزيهر أنّ الزهري اعترف اعترافا خطيرا في قوله الذي رواه عنه معمر: "إنّ هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث" وإنّ ذلك يفهم استعداد الزهري لأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند الأمة الإسلامية.

أما هذا النص الذي نقله فقيه تحريف متعمد يقلب المعنى رأسا على عقب، وأصله كما في ابن عساكر وابن سعد: أن الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس — ويظهر أنّه كان يفعل ذلك ليعتمدوا على ذاكراتهم ولا يتكلوا على الكتب — فلما طلب منه هشام ذلك وأصر عليه أن يملي على ولده ليمتحن حفظه، وأملى عليه أربعمائة حديث، خرج من عند هشام، وقال بأعلى صوته يا ايها الناس أنّا كنا منعناكم أمرا قد بذلناه الآن لهؤلاء، وإنّ هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة "الأحاديث" فتعالوا حتى احدثكم بها.

ويعلق السباعي على ذلك بقوله: فانظر كم الفرق بين أن يكون قول الزهري كما رواه جولدزيهر: أكرهونا على كتابة أحاديث، وبين أن يكون قوله كما رواه المؤرخون"[1].

- انتقاء المثالب وتضخيمها، إهمال الحقائق المنصفة: يذهب بعض المستشرقين إلى البحث عن النقائص التي حدثت في تاريخ المسلمين، ويقومون بتضخيمها وجعلها منطلقا لتصورات خطيرة، وفي هذا يؤكد الدكتور حسين مؤنس في دراسة كتبها تتضمن عرضا وتحليلا ومناقشة للفكر الاستشراقي من واقع ما كتبه المستشرقون، واختار كتابا للمستشرق "جوستون فييت" بعنوان "مجد الإسلام"— فلقد اعتمد "جوستون فييت" على تشويه الحقائق وتزييفها وانتقى

(1) مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي–المكتب الإسلامي – بيروت، ط1978/2 ص204– 205

ما رأى أنّه نقائص ووضعها تحت المجهر، بينما أغفل جاهلا متجاهلا الصفحات المشرقة من تاريخ الإسلام"[1].

- عدم دراسة الحضارة العربية الإسلامية من مصادرها المعتمدة[*]؛ ومما أورده مصطفى السباعي حين كان في أكسفورد وقد وجد يهوديا يعمل الاستخبارات البريطانية يشرف على قسم الدراسات العربية والإسلامية، وكانت مؤهلاته، لغة عربية عامية، تعلمها أثناء الحرب العالمية الثانية حين كان في ليبيا وقد تصدى لتدريس الكشاف والأحاديث من كتاب البخاري ومسلم، ويذكر الأستاذ السباعي أنّه حين سأله عن مراجعه، فأخبره أنّها من كتب المستشرقين أمثال جولد زيهر، ومرجليوث وشاخت، وحسبك بهؤلاء عنوانا على الدراسات المدخولة المدسوسة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين[2].

بل والأعجب من ذلك أن من المستشرقين من لم يكن له مرجع في الكتابة إلا الأساطير والحكايات الشائعة، وتاريخ الحركة الاستشراقية بعشرات بل مئات الخرافات والأساطير التي نسجت حول الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، وخاصة في العصر الوسيط، وهي أساطير من نسج خيال العامة ومن هذه الأساطير تلك التي ذكرها بفانموللر والتي تتعلق بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم "فالخنزير قد التهمه وهو في حالة سكرا ولهذا السبب أصبح أكل لحم الخنازير محرما لدى المحمديين"[3].

وينسحب هذا الرأي على من كتب الاستشراق، فهي تعتمد بالضرورة على كتب المستشرقين انفسهم ونادرا ما نجد مستشرقا اعتمد على كتب أصيلة يؤصل لمادتها، ومن أمثلة ذلك كتاب هاملتون جب "دراسات في الأدب العربي" وهو كتاب

---

(1) علي محمد إسماعيل: الاستشراق بين الحقيقة والخيال مدخل علمي لدراسة الاستشراق ص130

(*) ورد في المرجع المعتمد عبارة "عدم دراسة الإسلام" وأوردنا "عدم دراسة الحضارة العربية الإسلامية" وذلك أن عدم اعتماد المستشرقين على المصادر المباشرة في الدراسة لا يتعلق بدراسة الإسلام فقط بل معظم الدراسات الخاصة بالعرب والمسلمين.

(2) مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص144 بتصرف

(3) محمود حمدي زقزوق: الإسلام في تصورات الغرب- مكتبة وهبة – القاهرة، ط1/ 1987، وهو عبارة عن ترجمة لفصول مختارة من كتاب "موجز في أدب علوم الإسلام للمستشرق الألماني "جوستاف بفانموللر ص117- 118

من الحجم المتوسط يعالج عددا من القضايا المتعلقة بالأدب العربي وقد قسّم كتابه إلى:

- خوا طر في الأدب العربي:

1) بدء التأليف النثري.
2) نشأة الإنشاء الأدبي.

- في الأدب العربي الحديث:

1) القرن التاسع عشر.
2) المنفلوطي والأسلوب الجديد.
3) المجددون المصريون.
4) القصة المصرية.

فالمواضيع المعالجة على غاية من الأهمية وأنها تحاول أن تبحث عي عهدين متابعدين الأدب العربي القديم من موضوع بداية التأليف، ثم العصر الحديث من خلال موضوع نشأة القصة، ولكن الملاحظ أن كتبه المعتمدة كتب استشراقية أو كتب متأثرة بالفكر الاستشراقي فعلى سبيل المثال، فقد اعتمد على: كتب مصر لـ جورج يونج

- تاريخ آداب اللغة العربية وكتاب تراجم مشاهير الشرق لجورجي زيدان.
- الآداب العربية في القرن التاسع عشر للأب لويس شيخو.
- مقامات الحريري لشنيري.

بالإضافة إلى كراتشكوفسكي وكليمان وبروكلمان، وغيرهم من المستشرقين[1].

---

(1) هاملتون جب: دراسات في الأدب العربي-المركز العربي للكتاب -دمشق بط / ب ت ص 100 وما بعدها ينظر الهامش

الخـاتمة

لقد تحقق لنا حصاد نتائج نستعرضها في المضامين الآتية:

أولا: الحقيقة أن الاستشراق– شئنا أم أبينا– متداخل مع بنى الدولة الحديثة في الغرب، ومتشابك مع توجهات المجتمع المدني فيه. إنه "مؤسسة عامة" للتعامل مع الشرق– بكلمات أدوار سعيد– بدأ الاستشراق فردياً... ثم شعبياً اندهاشا..إلى أن صار مؤسسة تابعة للدولة، بل وغدا ملحقاً بالمخابرات وحتى لا نقول غدا تجسسياً" حسب ما لاحظ "د. خليل أحمد خليل". وفي كل الحالات، فإن الاستشراق، بصفته (المدّعاة) علماً، يضمر استعلاءً غربياً.

ثانيا: يعد الاستشراق من دوائر الغرب المتقدمة داخل العالم العربي والإسلامي ومؤسسة ذات أهمية استراتيجية، ومدرسة بحث قائمة متميزة عن غيرها من مدارس البحث – فبالإضافة إلى مهامها العلمية – لازالت تزود الغرب بما يدور في العالم الإسلامي. فقد كان بعض رواده في اغلبهم عسكريين أو ملحقين في السفارات الغربية في الدول العربية زيادة إلى كونهم علماء فيما يخص المشرق.

ثالثا: كان للمستشرقين تأثير كبير في التوجهات الثقافية التي سجلت على مستوى الفكر والأدب ونقده في الثقافة العربية، وذلك بما تميزوا به من أراء فقد حاولوا تطبيق ما توصلت إليه النظريات العلمية عامة كنظريات الأدب المختلفة وبمنهج علمي لم يبتدعه المستشرقون ابتداعا، بل هو منهج أشاعه في الغرب أعلام المفكرين من أمثال: مونتن، وتين، وسنت أفرموند، ومونتيسكيو وقد استغلوه أحسن استغلال. وتزودوا به قصد الجدل والاحتجاج.

قد كانت لهم أراء خاصة بهم توصلوا إليها بعملهم واجتهادهم على مستوى الأدب العربي خاصة كما تميزوا بالعمل الدؤوب، والجهد المتواصل والحرص على الدرس.

رابعاً:لقد بلغ المستشرقون من تعليم لغتنا ولهجاتها وحفظ تراثنا والكشف عن آثارنا، وإحيائها بالنشر وبالترجمة والتصنيف ذلك المبلغ بمنهج ومميزات ووسائل لم تتوفر جميعها لنا من قبل، طبعت هذه الاثار بطابع عملي.

فلذلك....

- لا يمكننا أن ننكر ما للمستشرقين من دور في ميدان بعث التراث فلولاهم ما سمعنا بكثير من أسماء الأعلام في الموروث العربي والإسلامي. فقد احتفوا به وصنفوه ونشروه في أجمل صورة.
- لا أحد ننكر انهم قدموا للغة العربية خدمة كبيرة من خلال تنصيبهم لكراسي لها في مختلف الجامعات الأوربية.

خامسا: لقد عرف المستشرقون بالثقافة العربية والإسلامية في الجامعات الغربية والعربية فبواسطتهم تعرف الغرب إلى العالم العربي والاسلامي. كما عرف شخصيات تاريخية كالحلاج وابن رشد وابن خلدون وغيرهم.

سادسا: لقد أسهم المستشرقون في إنشاء الجامعة العربية فدرسوا بها وشاركوا في إعداد برامجها وتأطير طلبتها. وفتحوا اقساما جديدة تخص الثقافة العربية والإسلامية وسهروا على ان يكون التكوين في مستوى طموحاتهم واما لهم العلمية و كانوا أعضاء في المجامع اللغوية وكم كانت اراءهم ذات شان في ميدان اللغة العربية وساهموا في إصدار القواميس.

سابعا: لقد ضرب المستشرقون الأمثلة الكبيرة والكثيرة في ميدان الحرص والعمل المتواصل في تخصصاتهم فقد كوّنوا نظام الرحالات وهجروا الاهل وابتعدوا عن الديار وصرفوا الأموال الكثيرة لتحقيق بحوثهم.... نستنتج أن ما قدمه المستشرقون من دراسات عن العالم العربي وتراثه كانت تتميز في أكثرها بالمنهج العلمي المتين، وكانوا يمتلكون أساليب التحقيق لثمرات كدهم العلمي من حجج وبراهين.

ثامناً: لقد كانت أهداف المستشرقين مختلفة ومتباينة، بل ومتناقضة، ولقد كاد هذا التناقض يختفي بينهم تحت واجهة الطابع العلمي، وهذا الطابع الذي لم يخف نزعة الشك والتحامل على الكثير من صفحات التاريخ العربي – الإسلامي وبأسلوب يصل إلى حد الكشف الواضح عن نفسه، وقد تنبه إلى ذلك التحامل عدد من مفكري الغرب أنفسهم قبل أن ينتبه إليه مفكرو العرب.

المصادر والمراجع

مراجع باللغة العربية:

- أحمد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق– سلسلة تصدر عن المنتدى الاسلامي– Educational Centre LONDON U.K. ب ط.
- أحمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي– دار نهضة مصر للطبع والنشر– القاهرة ط25 ب ت ص512.
- أحمد الإسكندري، وآخرون: المفصل في تاريخ الأدب العربي– مطبعة مصر– القاهرة، 1934 20/408 نقلا عن أحمد سمايل وفيتش، في كتابه فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر –دار الفكر– القاهرة د ط، 1998 ص27.
- أحمد الشرباصي: التصوف عند المستشرقين، – مطبعة نور الأمل– سلسلة الثقافة الإسلامية 1966.
- أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق، – المركز العربي للدراسات الغربية– القاهرة، ط1/1999.
- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر –دار الفكر– القاهرة د ط، 1998.
- أحمد غلبي: طه حسين رجل وفكر وعصر –دار الاداب –بيروت، ط1، 1985
- أحمد محمود هويدي: الاستشراق الألماني –تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، دراسات مختارة جمعها ونقلها من الالمانية إلى العربية، –مطابع دار التعاون للطبع والنشر– القاهرة – ب ط / 2000.
- ادوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر/ كمال أبو ديب – مؤسسة الأبحاث العربية – لبنان، ط4، 1995.
- إسحاق موسى: الاستشراق: نشأته، تطوره، أهدافه – مطبعة الأزهر– القاهرة– سنة1967.

- أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن: الموسوعة الإسلامية العربية "10"، دار الكتاب اللبناني – بيروت – دار الكتاب المصري "القاهرة"، د.ط، د.ت
- برنارد لويس: الغرب والشرق الأوسط.. ترجمة نبيل صبحي. القاهرة: المختار
- جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية– موفم للنشر– الجزائر، ج4، 1994ب ط.
- جولر كارولين: مستشرقو المدرسة الإيطالية "البحث عن الشرق"، تر/رانيا قرداحي –دار المدى– دمشق، ط1 2005.
- حسن حنفي: ماذا يعني علم الاستغراب؟ –دار الهادي– بيروت، ط2000/1
- الحاج سالم ساسي: نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية واثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي –بنغازي –ليبيا ج1، ط1، يناير 2002
- خوان غويتسولو: في الاستشراق الاسباني، ترجمة كاضم جهاد بيروت، 1987م.
- ديفيد صمويل مرجليوت: أصول الشعر العربي، تر: يحي الجبوري، – مؤسسة الرسالة– بيروت، ط2، 1981.
- ريجيس بلاشير: تاريخ الأدب العربي ترجمة: د.إبراهيم الكيلاني.الدار التونسية للنشر، سنة 1986م.ج1.ط1.
- فاطمة بن مفتاح: إضاءات على الاستشراق الروسي –اتحاد الكتاب العرب – دمشق د ط 2000.
- قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، الرياض، 1403.
- عقيلة حسين: المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي– دار ابن حزم– بيروت، ط2004/1.
- علي بن ابراهيم النملة: الالتفاف على الاستشراق محاولة التنصل من المصطلح مكتبة الملك عبد العزيز العامة– الرياض، ب ط /2007.
- عمر فروخ: الاستشراق بحث المستشرقون (ما لهم وما عليهم) – سلسلة كتب الثقافة المقارنة– بغداد، العدد1، ب ت.

- علي محمد إسماعيل، : الاستشراق بين الحقيقة والخيال مدخل علمي لدراسة الاستشراق—دار الكلمة— المنصورة مصر ط/ 3 السنة2000
- علي جريشة ومحمد شريف الزيبق أساليب الغزو الفكري — دار الاعتصام— القاهرة.
- عبده عبود:الأدب المقارن "مشكلات وآفاق":من منشورات إتحاد الكتاب العرب، د.ط، 1999م.
- عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين— دار العلم للملايين— بيروت، ط2،
- عبد الحميد حمدان: صالح طبقات المستشرقين، —مكتبة مدبولي— ب ط /ب ت
- عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء وات — بروكلمان — فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية، — المعهد العالمي للفكر الإسلامي — فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية ط1/ 1997
- علي إبراهيم النملة:الالتفاف على الاستشراق محاولة التنصل من المصطلح،
- عبد الكريم علي باز: افتراءات فيليب حتّي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي — تهامة للنشر— جدة:1403— 1983
- الزبيدي:تاج العروس من جواهر القاموس.. تحقيق:علي بشيري. — دار الفكر— د.ط سنة 1994. ج13.
- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب تر/ فؤاد حسنين على —مكتبة رحاب — الجزائرب ط/ 1986/ص أ— ب
- سعد المرصفي: المستشرقون والسنة — مكتبة المنار الكويت ومؤسسة الريان— بيروت —لبنان—
- سالم حميش: الاستشراق في أفق انسداده، —منشورات المجلس القومي للثقافة العربية— الرباط، ط1/ 1991
- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون — دار الوراق للنشر والتوزيع— بيروت، ط1، 1999بتصرف
- محمد حسن خليفة: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، — جامعة الإمام بن سعود الإسلامي —الرياض، ط1/ 2000

- محمد عبده:كتاب الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية –الجزائر، النشر الثاني 1990
- محمد أرناؤوط: مراجعة الاستشراق: ثنائية الذات / الآخر نموذج يوغوسلافيا–المدار الإسلامي– طرابلس، ط1/ 2002
- محمد البهي كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، –دار الفكر – بيروت، ط5/1970
- مالك بن نبي كتاب إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، – دار الإرشاد –بيروت، ط1/ 1969
- محمد أركون وآخرون: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، إعداد هاشم صالح– دار الساقي– بيروت، ط2 2000
- محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت، ط1/ 1982
- محمود محمد شاكر: أباطيل وأسفار:– مطبعة المدني – القاهرة، مصر ط2 – السنة 1970
- مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير الاستعمار في البلاد العربية– المكتبة العصرية –صيدا 1985 ب ط.
- محمد كامل عياد: صفحات من تاريخ الاستشراق. مجلة العلمي العربي. ج1، 1960.
- محمد حمدي زقزوق: اللاستشراق والخلقية الفكرية– دار المعارف– د.ط، 1997، د.ت.
- مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام– دار اشبيليا– الرياض، ط1/2000.
- محمد مصطفى هداوة: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، ج1، دط، 1985،
- منير بهادي: الإستشراق والعولمة الثقافية– دار الغرب للنشر والتوزيع– وهران، ط1، 2002.

- محمد الصباغ: الابتعاث ومخاطره – دمشق– المكتب الإسلامي، 1398هـ– 1978م.
- محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية، – مؤسسة الرسالة–بيروت، ط1402هـ– 1982).
- محمد السعيد الزاهري: الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير– دار الكتب الجزائرية– الجزائر، بدون تاريخ.
- محمد حسن خليفة: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية – عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية– القاهرة، 1997.
- محمد قطب: واقعنا المعاصر– مؤسسة المدينة المنورة للنشر والتوزيع–جدة– 1407هـ/1987م.
- محمد قطب: المستشرقون والإسلام. – دار وهبة– القاهرة، 1999م.
- ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر/ الطبعة الأولى(1410هـ– 1990م) بيروت.
- نجيب العقيقي: المستشرقون – القاهرة– دار المعارف– ج1، ط4، 1985.

مراجع باللغة الأجنبية:

- Thomas Arnold. The Caliphate. (Lahore: 1966) p.25
- Bernard Lewis." On The Quietist and Activist Tradition in Islamic Political Writing. In Bulletin of S. O. A. S Vol. XLIX Part 1, 1986.p.141 .
- B. Lewis." Communism and Islam. "in International Affairs. Vol. 30, 1954.pp.12 –1
- Washington Times, February 2,1991.And Washington. February 19,1991. Post
- Bernard Lewis. " The Middle East Versus The West." In Encounter .
- Vol Xxi, no.4 October1963.pp. 21– 29

المجلات والدوريات:

- مازن مطبقاني: الحياة الاجتماعية في المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق، المنهل(جدة) عدد 471، م 50 رمضان /شوال 1409،
- عبد اللطيف الجوهري. من أعلام الدعاة في أوروبا: العلاّمة الدكتور زكي علي. (جدة: عالم المعرفة 1418– 1988) ص123والمقالة التي كتبها الدكتور زكي علي نشرت في مجلة البريد الإسلامي في 1963/6/25. ولما رشحت لنيل جائزة السلام ظهرت أصوات يهودية ومعادية للإسلام والمسلمين تتهم المستشرقة بشتى الاتهامات، وقد توفت قريباً وكتب عنها الشيخ أحمد زكي يماني وهو يرى انها أسلمت ولكنها كانت تخفي إسلامها.
- عكاظ، عدد 10961، ربيع الآخر 1417، (16اغسطس 1996م، انا ماري شميل المستشرقة الالمانية التي انصفت الإسلام، أسرة، مجلة المنهل، العدد المتخصص " الاستشراق والمستشرقون" العدد 471رمضان /شوال 1409هـ– ابريل / مايو 1979م
- أيمن شرف "الاستشراق".. معركة مع المعرفة حين تصبح سلطة.! http:/ /www islamoline.net.
- عبد العظيم الديب، الاستشراق في الميزان...http://forum.rayaheen.net تاريخ الرسالة:2003/09/25.
- زكي مبارك: نفع المستشرقين اكثر من ضررهم. مجلة الهلال، العدد 3، سنة1933
- محمّد الدّسوقي، تقويم الفكر الاستشراقي أو الفكر الاستشراقي في ميزان النّقد العلمي:... مجلّة الحضارة الإسلامية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، العدد 7، السنة 2001
- شكري النجار: لماذا الاهتمام بالاستشراق، مجلة الفكر العربي، يونية 1983 السنة الخامسة

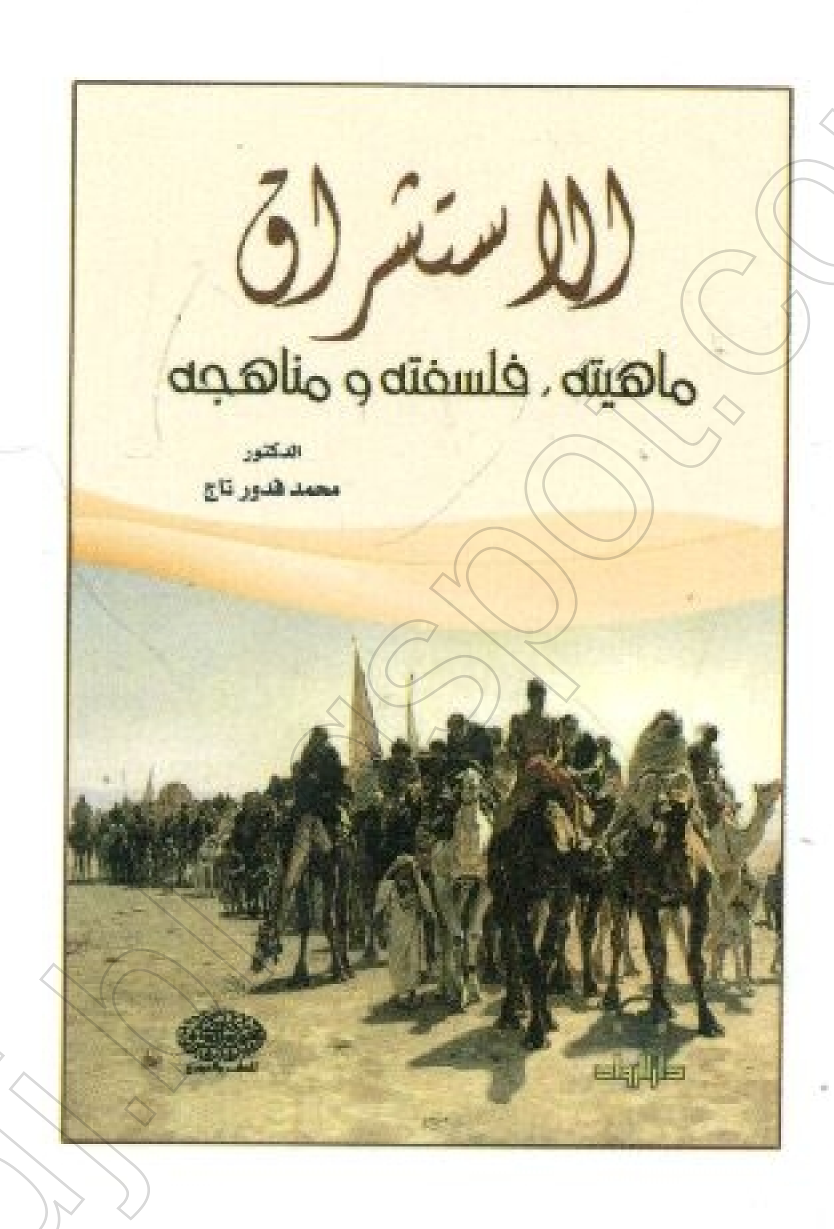
- انظر حوار مع المستشرق اندريه ميكيل مدير المكتبة الوطنية الفرنسية 194 في الاستشراق، ع2 شباط 1987م – بغداد: دار الشؤون العامة، 1987– ص197– 86– سلسلة كتب الثقافة المقارنة.
- مع المستشرقين كلود كوهين واندري ميكيل، مقابلة أجراها عبد الغني أبو العزم، شؤون عربية، ع 12 (شباط، /فبراير/ فيفري)1982
- محمد علي كرد: أثر المستعمرين من علماء المستشرقيات في الحضارة العربية، مجلة الإستشراق- العدد: 2– بيروت– 1988م.
- مصطفى عبد الغني: ترجمة جاك بيرك للقرآن –من القراءة إلى التفسير، الاجتهادع49 /السنة 12/ شتاء العام 2001
- علي العناني: المستشرقون والآداب العربية–الهلال – أغسطس ج1/ السنة 1932
- عبد القدوس الأنصاري: مجلة الأدب والعلوم الثقافية – دار المنهل، د.ط، د.ت.
- رضوان السيد: ثقافة الاستشراق ومصائره–مجلة الفكر العربي.

Inv:917

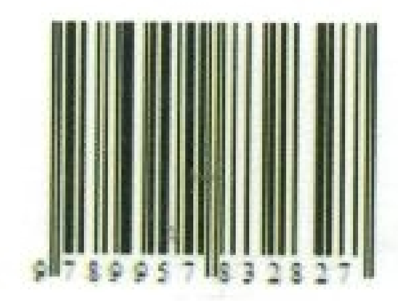
Date:16/2/2016

الاستشراق

ماهيته، فلسفته و مناهجه



مكتبة المجتمع العربي
الأردن-عمان-وسط البلد- ش السلط - مجمع ... +962
تلفون 5651920 79 962+ ص.ب 8244 ...
الأردن - عمان - الجامعة الأردنية - ش. الملكة رانيا العبدالله - مقابل كلية الزراعة - مجمع زهدي حصوة التجاري
www.muj-arabi-pub.com
E-mail:Moj_ pub@hotmail.com



الوكيل المعتمد في ليبيا



نشر - طباعة - توزيع
ليبيا - طرابلس - مجمع ذات العماد - برج 4 - الطابق الأرضي
هاتف: 218213350332/33+ فاكس: 218213350016+
ص. ب: 91969
البريد الإلكتروني: alrowadbooks@yahoo.com
الموقع: www.arrowad.ly